الجمهوريّة الجزائريّة الديمقراطيّة الشعبيّة
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم –
كليّة الأدب العربي والفنون
قسم الدّراسات اللّغوية
(التخصّص: لسانيات النصّ وتحليل الخطاب)

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه (ل.م.د) في اللّغة و الأدب العربي

موسومة بـ:

الإحالة النصية في الخطاب القرآني

"تفسيرسورة مريم لفخر الدين الرازى أنموذجا"

إعداد الطالبة:
هجيرة ليزيد

إشراف الأستاذ الدكتور:
حسين بن عائشة

أعضاء لجنة المناقشة:

الأستاذ	الصفة في اللجنة	الجامعة
أ.د الجيلالي بن يشو	رئيسا	جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
أ.د حسين بن عائشة	مشرفا و مقررا	جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
أ.د نور الدين دحماني	مناقشا	جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
أ.د سعيدي محمد	مناقشا	جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان
أ.د أحمد بن عجمية	مناقشا	جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف
أ.د ليلى مدني	مناقشا	جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

السّنة الجامعيّة: 2021 م/2022 م

الإهداء

إلى أبي و أمي حفظهما الله من كل سوء.

إلى كل أساتذة جامعة عبد الحميد بن باديس وكل من له يد في تأطيري و تكويني معرفيا و بيداغوجيا .

إلى الأستاذ المشرف " بن عائشة الحسين " جزاه الله عنا كل خير .

إلى زوجي و عائلته و أبو بكر الصديق ...

إلى كل من كانت له يد في إتمام هذه الرسالة العلمية .

شكر و تقدير

الحمد و الشكر له أولا على نعمه التي لا تحصى؛حمدا طيبا مباركا فيه.

أقدم جزيل الشكر لكافة القائمين على إدارة جامعة عبد الحميد بن باديس ،بدءًا برئيس الجامعة ،و عميد الكلية " الجيلالي بن يشو"على ما قدمه، وما يقدمه للجامعة وحرصه على إنجاح هذه المناقشات العلمية على أحسن وجه .

أخص بالامتنان و التقدير لأساتذتي " لجنة التكوين " الذين أطّرونا معرفيا، و بيداغوجيا طيلة فترة التكوين ،جزاهم الله عنا كل خير .

كما لا أنسى أستاذي الفاضل الأستاذ المشرف على أطروحتي " الدكتور بن عائشة الحسين " حفظه الله، و أطال في عمره ، على ملاحظاته القيّمة ،و نصائحه ،و حرصه، والذي كان له الفضل في إرشادي، و إتمام هذه الرسالة على أتم وجه ...جعل الله ذلك في ميزان حسناته .

الشكر أيضا للدكتور " سعيدي محمد " له خالص التقدير، والعرفان .

مقدمة

القرآن الكريم معجزة النّبيّ محمد – صلّى الله عليه وسلّم - ، أسلوبه ونظمه أبكم قرائح العرب وسحرهم ببيانه وبلاغته وتناسق عباراته، وهو ما لم يسر على قوانين شعرهم ونثرهم فرفع التّحدي بالإتيان بسورة من مثله ولايزال التّحدّي قائما ينتزع منهم أحقيّته والحجّة على صدق الرّسالة الإلهية فظّلت الحملات المغرضة تهتك بقدسيّته من قِبل المغرضين، والمشكّكين وادّعوا أنّه مفكك متناقض غير منسجم فجاءت التّفاسير القرآنيّة تحمل الرّد القاطع على هؤلاء ، وفي غمرة ذلك سلكوا مهيعا يدلّ على وَحدة النّص القرآنيّ، وترابطه ولعلّ من أهمّ مميزات الدّرس التّداوليّ على حد تعبير"محمد يونس "هو معاملة الخطاب القرآنيّ، والسّنة القولية كاللّفظة الواحدة ، وهذه الأخيرة هي في الأصل وحدة متكاملة متجانسة تحوي على شموليّة تستغرق الزّمان، والمكان السّاري مع طبيعة العلاقات التخاطبيّة على حد ما أشار إليها في كثير من المقامات، والسّياقات القرآنية ابن حزم الأندلسيّ والآمدي وفخر الدّين الرّازي، وهلمّ جرّا، فالنّص القرآنيّ من منظور هؤلاء ،وغيرهم كاللّفظة الواحدة ، إنّ كلّ جزء من هذه اللّفظة ينبغي بل يستوجب حتما النّظر إليه في رحاب علاقته مع الأجزاء الأخرى ، وعليه لا يجوز النّظر في واقع النّص القرآني منفردا بل عن طريق هذه الكليّة، والشّموليّة التّي تحتويها اللّفظة القرآنية تناسقا ،وتلاحما ،واتّساقا على حد تعبير "الجاحظ "، ولعلّ ما يقوي هذا التّماسك النّصيّ الذي يتنوّع بتنوّع القرائن النّصيّة الّتي تختلف باختلاف مبدأ الاستعمال ، فالأسرار التّي احتوتها التّراكيب القرآنيّة تدلّ دلالة واضحة على التّماسك ،والاتّساق على ما أشار إليه فخر الدّين الرّازي إلى ما يسمى في مجال التّداولي بالتّلازم الذّهني متوقفا في تفسيره عند الاتّساق، والتّرابط الواقع بين السّبب والمسبّب والعلّة والمعلول وهلمّ جرّا، هذه القضايا في الحقيقة إذا ما أردنا أن نربطها بواقع الدّرس اللّساني النّصي، فإنّها تلتقي إلى حد كبير مع ما أشار إليه "فان ديك "عند حديثه عن

مبدأ -التّعالق الجملي -الواقع في التّراكيب النّصيّة ، حيث بيّن أنّ من بين هذه العلاقات التّي تسير مع مفهوم الاتّساق علاقة العلّة أو السّبب، وعلاقة الملاءمة وغيرها من العلاقات التّي تصبّ في مجرى الاتّساق من الوجهة اللّسانية النّصية ثم إنّه لمّا كان حقل لسانيات النّص يحتوي على مفاهيم مثل :الاتساق والانسجام و التماسك النّصي،و التناص تمثل الحجر الأساس في هذا الحقل حيث كلّ مفهوم يشمل على عدّة جهات سياقيّة تختلف باختلاف المعطى المعرفيّ ،والمنهجيّ ،والإجرائيّ القائم في طبيعة الحقول المعرفيّة، اقتضى منا سيّاق البحث أن نكتفي بإجراء فرعيّ عن مفهوم الاتّساق، وهو الإحالة بصوره ،وأشكالها الاستعماليّة في ما يخصّ السّياقات التي أشار إليها فخر الدّين الرّازي من خلال تفسيره، ولعلّ هذه الإحالة تكفي لأن نقيم عن طريقها تصورا علميا يتماشى مع إشكاليّة البحث .

ظلّت الدّراسات اللّسانيّة ردحًا من الزّمن حبيسة الجملة مقتطعة عن السّياق الذي ترد فيه ،وحينما أدركوا هذا العجز في استيعاب الكمّ التخاطبيّ الذي يأخذ منحى تواصليا تفاعليا بين (المتكلّم والمتلقّي) استعاضوا عن الجملة إلى النّص باعتباره الوَحدة التّحليليّة الكبرى، فمفهوم النّص يتحدّد وفق معايير نصيّة حدّدها علماء النّص وفق تراتيب محكمة غير أنّ النّص القرآنيّ على وجه الخصوص يتميّز عن غيره من النّصوص بالإعجاز، فهو ليس نصّا لغويّا تنحدر في التّعامل معه وفق آليات لغويّة فقط ، بل يشكّل نسيجا متكاملا لفهم طبيعة الوجود الإنسانيّ ككلّ، البحث عن نصيّة النّص تحدوا بنا إلى معرفة طبيعة كل عنصر، ودوره في تشكيل هذه النّصية، والإحالة لها دور في التشكيل الأوّلي .

لذلك فهي تحظى بمنزلة مهمّة في الدّراسات النّصيّة،باعتبارها أحد الأدوات المفيدة في مجال الاتّساق النّصيّ، فيمتدّ دورها إلى عملية التّرابط والتّماسك.

من أهمّ الصّور المفاهيميّة التّي أشار إليها الرّازي في تعامله مع السّياقات القرآنيّة مفهوم الإحالة التّي غدت تأخذ عدّة صور تركيبيّة قرائنية اختلفت باختلاف القرائن على ضربيها اللّفظيّ، والمعنويّ، ممّا أهّل للإحالة من منظور الرّازي أن يُضفي عليها نوعا من الشموليّة ،والاستغراقيّة في التّصور، والمقصد والاستعمال، وهي رؤية نعتقد أنّنا سنتلقّى ما يسوّغها في الواقع المعرفيّ في حقل لسانيات النّص.

لعلّ التّساؤل المنهجيّ الذي يتشكّل عن سبب اختيار شخصيّة الرّازي لهذا البحث، والمعروف في شخصيّة الرّازي أنّه مفسّر أعطى العقلَ حقّه في تعامله مع النّص القرآنيّ على وجه أخصّ، وعالم المعرفة على وجه أعمّ، والنّظر العقليّ للرّازي مكنّها فيما بعد - على حسب ما تروي الرّوايات في شأنها - أن يجعل من واقع اللّغة تحوي على شموليّة من حيث التّعامل، والمنهج ،والقصد، الأمر الذي أدّى بغالبية مصنفاته يحدوها هذا النّوع من الشّموليّة، وعلى هذا المقصد حاولنا اختيار تفسير الرّازي لدراسة الإحالة بصورتها الاستعماليّة ضمن ما خلّفه الرّازي من حقائق، ومعارف مبثوثة في رحاب كتابه - مفتاح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير- ولعلّ مسار البحث يتطلّب فرض إشكاليات متأسّسة على السّؤال المعرفيّ التّالي: كيف وردت الإحالة في تصوّر فخر الدّين الرّازي؟ و ما هي أبعادها اللّسانيّة النّصيّة في واقع الخطاب القرآنيّ ؟ وهل استطاعت أن تلامس الدّرس اللسانيّ النّصيّ ؟ وعليه جاءت هذه الإشكاليّة الموسومة بالعنوان الآتي: الإحالة النّصيّة في الخطاب القرآنيّ في تفسير فخر

الدّين الرّازي "سورة مريم نموذجا"، وحلاّ لهذه الإشكاليّة المطروحة اقتضت الضّرورة أن تكون خطّة الأطروحة مبنيّة على مقدّمة ،ومدخل ،وأربعة فصول:

الأول نظريّ والثاني يحمل شقّا تطبيقيّا والثّالث نظري يحمل شقا تطبيقيا والرّابع تطبيقي ، تفرّع المدخل لعلاقة التّفسير بلسانيّات النّص مدرجة ضمنه ماهية تفسير الخطاب القرآنيّ، والتّحليل في ضوء ثنائِيتَي الاتّساق والانسجام.

أمّا الفصل الأوّل خصّص للمرجعيّة المعرفيّة، ولمنهجيّة حقلِ لسانيّات النّص من لسانيآت الجملة إلى لسانيّات الخطاب إلى مجال الخطاب التّداوليّ. المبحث الأوّل لدراسة لسانيّات الجملة تحت ما يسمى مفاهيم الجملة وصولا إلى الحاجة إلى نحو النّص، أهميّة لسانيات النّص وأهدافها. المبحث الثاني للسانيّات الخطاب، واللّحظة التأسيسيّة لهذا المجال حيث أدرجت تحته مفاهيم الخطاب ولسانيات التلفّظ، والفرق بين النّص والخطاب في محاولة رصد أهمّ وجه الاختلافات، أمّا المبحث الثّالث فهو لتداوليّة الخطاب، فالخطاب في صيغ تعامله مع اللّغة، أو الظاهرة اللّسانيّة ينحو نحو الوضع، والاستعمال ،والتّواصل، وبهذا يلتقي الخطاب مع التّداوليّة في تلكم العمليّة التواصليّة، والتّفاعل الخطابيّ والمعطيات اللّغويّة، والخطابيّة المتعلقة بعمليّة التّلفظ أي؛ الاستعمال اللغويّ. أمّا الفصل الثاني فهو بعنوان النّص القرآنيّ بين الشموليّة والوَحدة بحثا عمّا يؤسّس لهذين الفرعين في الموروث العربيّ، وبحثا عن وجودهما في الرّؤية الشموليّة للنّص القرآني لدى المفسرين، ووَحدة النّص القرآني ،وإجماع على ارتباطه، انتهاءً إلى دور التّناسب في إثبات وَحدة النّص.

والفصل الثّالث بعنوان: ثنائيتا الاتّساق والانسجام في التّفسير الكبير، وقسّمته إلى ثلاثة مباحث: المبحث الأوّل حول معيار الاتساق ،وبعض النماذج التّطبيقيّة، والمبحث الثاني معيار الانسجام، وبعض النماذج التطبيقية، والمبحث

الثالث التلقي والتأويل وعلاقته بالانسجام، أمّا الفصل الرّابع فقسّمته إلى ثلاثة مباحث تطرقت فيها إلى ماهية الإحالة، ومسيرة المصطلح عند الغرب والعرب ونظرة فخر الدّين الرّازي لمفهوم الإحالة، والمبحث الثالث صور الإحالة وأبعادها اللّسانية في شروح الرّازي ضمن النّموذج في سورة مريم، والخاتمة اشتملت على نتائج الدّراسة ؛محاولة الإجابة عن تلكم التّساؤلات المعرفيّة إضافة إلى التوصيات المقدّمة للبحث .

في ما يتعلّق بالمنهج الذي اعتمدنا عليه هو المنهج الوصفي والتحليلي الذي يصف الظواهر البحثية ويحلّلها ،وكذلك المنهج التكاملي الذي يوائم طبيعة المادة البحثية المتنوعة التي تجمع بين مختلف العلوم اللسانية و النقدية والبلاغية و النحوية و القرآنية و النّصية بحيث يحاول أن يأخذ بطرف من مجموعة مناهج بغرض التخلص من ضيق المنهج الواحد ومن صرامته من جهة أخرى ،غير أنّه اقتضى في بعض المباحث الحاجة لبعض المناهج والمقاربات مثل : المقاربة النّصية أثناء التحليل النّصي للنماذج التطبيقية الذي اعتمدنا فيها على التعالق، و الارتباط بين الأبنية الصغرى ،و البنية الكبرى الكليّة .

أمّا الدّراسات السّابقة حول الإحالة النّصيّة عند فخر الدّين الرّازي فهي مرتبطة بالتّصوّر اللّسانيّ في بعض جهاته، أو الدّرس (السيميائيّ ،العلاماتيّ) كالدّليل، والعلامة والقرائن وغيرها، أو الفكر اللّسانيّ الفلسفيّ، فهذه القضايا موجودة كثيرا في شأن شخصيّة الرّازي عن طريق مجموعة من الدّراسات نذكر منها:

-التّصوّر اللّغوي عند الإمام فخر الدّين الرّازي رسالة (ماجستير) في اللّغة العربية وآدابها، للباحث أمان سليمان حمدان أبو صالح .

-الإحالة في القرآن الكريم، دراسة نحويّة نصيّة للدكتور تامر عبد الحميد محي الدّين أنيس .

-المنهج اللغوي في تفسير مفاتيح الغيب للفخر الرّازي ،أطروحة دكتوراه العلوم في اللغة للطالبة زبيدة بن اسباع .

-منهج الإمام فخر الدّين الرّازي في توجيه القراءات من خلال تفسيره (سورتا الفاتحة و البقرة نموذجا)رسالة (ماجستير)لعبد الحي بن ذي الكفل

-الإمام فخر الدين الرازي منهجه ؛و آراؤه في المسائل الكلامية ،أطروحة دكتوراه ،للباحث :محمد شمس الدّين إبراهيم .

-منهج فخر الدّين الرّازي في تفسير القرآن للباحث صلاح الدّين كفراوي ؛رسالة ماجستير باللغة الإنجليزية .

-جهود فخر الدّين الرّازي في النحو ،والصرف رسالة دكتوراه للباحث عبد القادر هنادي .

-الرّازي مفسرا ،رسالة دكتوراه لمحسن عبد الحميد .

-الرّازي بلاغيا ،رسالة جامعية أعدّت ونوقشت في بغداد .

المنطلقات الفكرية عند الإمام الفخر الرّازي ،الباحث محمد العربي .

أمّا المصادر المعتمدة في البحث فهي تتنوّع من كتب التفاسير، وعلوم القرآن، والنّحو، والبلاغة، ومراجع مؤسّسة للسانيات النّص ،نذكر منها :

"مغنى اللّبيب عن كتب الأعاريب" لابن هشام ،"الخصائص "لابن جنّي ،"البيان والتّبين" للجاحظ، أبو بكر محمد الباقلاني، "إعجاز القرآن"،محمد بدر الدّين الزركشي، "البرهان في علوم القرآن "،جلال الدين السيوطي ،"الإتقان في علوم القرآن"،"الرسالة "لمحمد بن إدريس الشافعي ،"الموافقات" للشاطبي ،"دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني،"شرح جمل الزجاجي" لابن عصفور الإشبيلي "تفسير التحرير والتنوير" لمحمد الطّاهر بن عاشور ، الرّاغب الأصفهاني المفردات في غريب القرآن ،شهاب الدّين محمود الألوسي البغدادي ،روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ،"بلاغة الخطاب وعلم النّص"

لصلاح فضل ،"مدخل إلى انسجام الخطاب" محمد خطابي ،"نحو النّص "لأحمد عفيفي.

نأمل أن تكون هذه الدّراسة المتعلّقة بقضية الإحالة ببعض صورها وإجراءاتها وفق ما هو وارد في التّفسير الكبير تضيف لبنة للمكتبة الجامعيّة، آملين بعون الله أن تكون محطة تكامليّة للذين يأتون من بعدنا فيضيفون إليها، أو يعيدون النّظر في كثير من القضايا إذ أنّ المعرفة تصوّر، وتجدد، وتغيّر.

إنّ صعوبات البحث تظلّ هي المرفأ الّذي يزيد الطّالب الباحث في الاستمراريّة، وبذل الكثير في سبيل تحقيق ما يصبو إليه في مجال بحثه محاولا تذليلها .. كان بعون الله وإرشادات الأستاذ المشرف.

وأخيرا لا يسعني إلاّ أن أشكر من كان له موجب الشّكر والعرفان، فدرب المعرفة يضيء بقنادل تبدّد ظلام الجهل، وهم أساتذة أعانوني بما اغترفوا من بحر المطالعة، وسنوات البحث بدون استثناء جزيل الشّكر لهم على ما كان لهم من دور في إتمام هذه الرّسالة، وبه تتمّ الصّالحات وموجبات النّعم، والحمد لله ربّ العالمين منه وإليه وما كنّا لنكون.

ليزيد هجيرة ، سبتمبر 2020.

المدخل : الخطاب القرآنيّ ولسانيات النّص

1- المبحث الأول: مفهوم الخطاب القرآنيّ

2- المبحث الثاني: مميزات الخطاب القرآنيّ

3- المبحث الثالث: الخطاب القرآنيّ في ضوء التّفسير والتّأويل

4- المبحث الرّابع: الخطاب القرآنيّ ومناهج التّحليل

5- المبحث الخامس: ثنائيّة الاتساق والانسجام في تحليل الخطاب القرآنيّ

1- مفهوم الخطاب القرآنيّ

منذ نزول الوحي على نبيّنا محمد صلى الله عليه و سلم ،انجذب أولي البلاغة و البيان بقوته وسحر كلماته وبلاغته التّي شغلت قرائحهم وراحوا يبحثون عن سرّه ،فجاء الخطاب القرآني موجها إلى فئات ومشارب مختلفة يوحي بالقصدية و الحياة ولمّا كان القرآن هو محور الخطاب ولبّه الأساسي تداولته أقلام الباحثين والمحللين المعاصرين بشتى المناهج الجديدة للكشف عن قراءات تواكب العصر الراهن للوقوف على القصد والمعنى المرشد لحقيقة القرآن و غاياته .

تعريف كلمة " قرآن " لغة

جاءت لفظة القرآن في المعاجم العربيّة كالتّالي: في كتاب العين للخليل الفراهيدي :" **قرء، وقرأت القرآن عن ظهر قلب، أو نظرت فيه، فالقرآن مقروء وأنا قارئ ، ورجل قارئ عابد ناسك، و فعله التقرّي والقراءة**".[1]

وفي الصّحاح للجوهري :" قرأت الشيء قرآنا، جَمَعْتُه وَضَمَمْتُ بعضا لبعض، وقرأت الكتاب قراءة وقرآنا ومنه سمي القرآن، وقال أبو عبيدة: سُمّي القرآن لأنه يجمع السّور فيضمّها، قال الله - تعالى -: " إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعه وَقُرْآنه " القيامة 17. [2]

---

[1]– الخليل أحمد الفراهيدي – تحقيق :مهدي المخزومي؛ إبراهيم السامرائي،كتاب العين : ج5 مادة قرء ، مؤسسة دار الهجرة ، ط2 ، إيران 1409 هـ ، ص: 204 .

[2]– إسماعيل حماد الجوهري ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، مادة قرأ ، دار الحديث ، مصر 2009 ، ص: 924.

وفي لسان العرب لابن منظور :" قرأ: القرآن التنزيل العزيزُ وإنّما قدّم على ما هو أبسط منه لشرفه : قرأه يقرؤون قراءة وقرآنا الأولى عن اللّحياني ، فهو مقروء"[1].

تعريفها اصطلاحًا:

1- وجهة تتعلّق به من حيث كونه صفة من صفات الله - تعالى - وهي الكلام، فيذكر أئمة السنّة ،وعلماء السّلف *أوصافا، وخصائص له هي :

1- إنّه كلام الله تعالى حقيقة، وإنّه صفة ذاتية وفعلية منه بدأ سبحانه وليس كلاما في النّفس فقط .

2- إنّه غير مخلوق .

3- إنّه يرفع قبل القيامة في آخر الزّمان من المصاحف ،والصّدور .

4- إنّ الصّوت والألحان صوت القارئ له، بينما المكتوب والمقروء هو كلام الله.[2] هذه الصفات المثبتة تخصّ حقيقة القرآن ،لأنّه كلام الله المنزّل على نبيّنا محمد "ص" المعجز بلفظه و معناه المنقول إلينا بالتواتر .

و عرّفه أبو حامد الغزالي (ت: 555ه) فقال :" حدّ الكتاب ما نقل إلينا بين دفتي المصحف نقلا متواترا" .[3]

---

[1]– ابن المنظور الإفريقي ، لسان العرب المادة قرأ ، دار المعارف ، القاهرة ،1981 ، ص :35–63 .

*– نذكر منهم :أبو حنيفة النّعمان ،مالك بن أنس،الشّافعي ،أحمد بن حنبل ،البخاري،الترمذي....

[2]–حازم سعيد حيدر ، علوم القرآن بين البرهان و الإتقان ، دراسة مقارنة دار الزمان ، مكتبة للنشر والتوزيع، المدنية المنورة ، 1425 هـ ، ص: 20 .

[3]–أبو العباس بن محمد بن علي الفيومي ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ،مكتبة لبنان ، بيروت، سنة 1408 هـ ، ص: 180.

قال الشوكاني : ت(125ه) :" وأما حدّ الكتاب اصطلاحا فهو: الكلام المنّزل على الرّسول المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا نقلا متواترا".[1]

أما عند الحداثيين المجدّدين *، فهم يعدّونه نصًا لغويًا يمثل في تاريخ الثقافة العربية نصا محوريا، وأنّ تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، هي "حضارة نص" بتفاعل الإنسان مع القرآن وجدله معه [2]،وهذه النظرة هي نتاج دراسة القرآن الكريم بمناهج غربية : مثل التاريخية ،تنّم عن قصور في فهم طبيعته وإعجازه اللّغوي،واعتباره نص لغوي ثقافي كسائر النصوص يسري عليه ما يسري على الكلام البشري وهنا يفتح المجال للتأويل البشري في تحليل النص القرآني .

يعتبر مفهوم الوحي ،هو المفهوم المركزيّ للنّص إضافةً إلى أسماء أخرى مثل " الكتاب "، " والذكر " فهو مفهوم يستوعب ،ويشتمل على كل النصوص الدينيّة الإسلاميّة ،وغير الإسلاميّة .[3]

1- مفهوم الخطاب القرآنيّ

إذا كان الخطاب هو جملة ما يصدر عن المتخاطبين من أجل الإقناع والتّأثير، وتوجيه رسالة معيّنة مع اعتبار الظّروف ،والممارسات التّي يتم

---

[1]–محمد بن على الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، طبع بطبعة مصطفى النيابي الحلبي وأولاده ، بمصر ، ط1 ، سنة 1306 ، ص 60–61.

*–نذكر منهم :نصر حامد أبو زيد في كتابه : مفهوم النّص دراسة في علوم القرآن.

[2]– ناصر حامد أبو زيد ، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن ، مكتبة الفكر الجديد المركز الثقافي العربي – (الدار البيضاء المغرب) ، ص :9.

[3]– المرجع نفسه ، ص: 31.

فيها الخطاب[1]، فإنّ مسألة الخطاب القرآنيّ هي متفرّدة خاصة، وأنّ هذا الخطاب صادر من الله - عزّ وجلّ - وهو منزّه عن المشابهة، ولعلّ أهمّ ميزة تفرّق الخطاب الإلهيّ عن الخطاب البشريّ تظهر في مقولة " شمس الدين الخولي " وهو يحاول استجلاء الفرق " علم التّفسير عسير يسير أمّا عسره فظاهر من وجوه، أظهرها أنّه كلام متكلم "، لم يصل النّاس إلى مراد بالسّماع منه، ولا إمكان للوصول إليه بخلاف الأمثال والأشعار، فإنّ الإنسان يمكن علمه بمراد المتكلّم بأن يسمع منه ،أو يسمع ممن سمع منه، أمّا القرآن فتفسيره على وجه القطع لا يعلم إلّا بأن يسمع من الرّسول عليه السلام ". [2]

إنّ النّص القرآنيّ بوصفه وحيا محفوظا لا يمكن أن نسمه بالشفوية ، فالاختلاف بين النصّ المكتوب، والنصّ الشفويّ (الخطاب) هو اقتضاء وجوب المخاطب والمخاطب والمخاطبة من باب المفاعلة هذا ما جعل الباقلاني [3] يرفض قبول تسمية كلام الله - تعالى - على وجه الحقيقة ، لذلك أحلنا أن يكون كلام الله - عزّ وجلّ - مخاطبة على الحقيقة، لأنّ المخاطبة والخطاب تقتضي وجود مكلّم.

2)- مميزات الخطاب القرآنيّ : يختلف الخطاب القرآنيّ عن غيره من الخطابات الأخرى، ويتميز بأنّه معجزة نزلت على النّبيّ الكريم تؤيده، لهذا فالقرآن " يعد نهاية لفعلي التّبشير ،والتّنذير أي؛ هو خلاصة الإعجاز لجميع

---

[1]– ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري إستراتيجيات الخطاب ،مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد، (بيروت لبنان)، ط1 ، 2004 ، ص: 63.

[2]– ينظر: يحي رمضان ، القراءة في الخطاب الأصولي الإستراتجية والإجراء، نقلا عن البرهان في علوم القرآن 16/12 ، ص: 136 .

[3]– المرجع نفسه ، ص: 135.

الإشارات الإلهية عن ذاته ،والغيب والشّهادة، والإعجاز اللّغويّ الّذي يمثّل نهاية اللغة ،واكتمال المعاني، فلغته مرتبطة بأسس الوجود" [1]، وهو يرتبط مع القارئ عن طريق الفهم، فهو يختلف عن غيره من الخطابات ليحقّق معاني الإلهية، إنّه مرتبط بجميع التّشريعات التّي تنظّم علاقة الفرد بربّه ، وبمحيطه، وبالكون ليصل الإنسان إلى مرحلة من الوعي الكامل، يعرف ربّه ،ويحقق وظيفته المنوطة به .

3)- الخطاب القرآني في ضوء التّفسير والتّأويل

يعدّ القرآن النصّ التّأسيسيّ للثقافة العربيّة، ومصدر كافة العلوم التي ستأتي بعدها فهو ليس فقط مرجع الاعتقاد ، بل يعدّ الأساس الذي دارت عليه جلّ العلوم كالنحو ،والبلاغة ،والتّصوف، والتّفسير .

لقد كان النّبيّ – صلى الله عليه وسلّم - أوّل شارح ،ومفسّر للقرآن الكريم لأنّه مؤيّد بالوحي، ومحاط بالعصمة، ومكلّف بالتّبليغ، وبعد ذلك يرجعون إلى أقوال الصّحابة فهم أفضل معين لفهم النّص القرآنيّ ثمّ التابعين، فللتفسير معينات ،وركائز يتّخذها المفسّر وسيلة في منهجه العلميّ وقد ذكرها السّيوطي [2]، وجمعها في خمسة عشر علما، فمعرفة علوم اللغة العربيّة من نحو وبلاغة وكذا علوم القرآن وأسباب النزول وعلم الناسخ والمنسوخ ،وعلم القصص القرآني، وعلم المناسبات علم الوجوه ،والنظائر،

---

[1]– عمار ناصر، اللغة والتأويل مقارنة في الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، دار الفارابي منشورات الاختلاف ، ط1 ، 1428 هـ ،2007 ، ص:100 .

[2]– ينظر: فهد الرسيوني ، النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر مدخل إلى نقد القراءات وتأصيل علم التدبير القرآني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، ط1 ، 1431هـ ، 2010 م ،ص :24-30.

علم الفقه، علم أصول الفقه، علم المقاصد معرفة الألفاظ التّي يقتضي الإيجاز استعمالها في التّفسير كذلك معرفة فقه الواقع ،والعلوم النظريّة البحثة .

كما أنّ الوصول إلى المعاني القرآنيّة، وشرح القرآن عبر التّفسير و"كذلك التّأويل الذي أضحى ملاذا واسعا، وممارسة كبيرة خاصة لمّا بدأت خلافات حول معاني الآيات القرآنيّة فقد جرى التّأويل بطريقة سماع الرواية مستدلين بالسّنة النبوية الشّريفة"[1].

فالتأويل هو تفسير ما جاء في النّص القرآنيّ من غموض واتّسع معناه مع قراءة النّص الدّينيّ ليأخذ أبعادا أخرى مع باحثين حداثيين أمثال "نصر حامد أبو زيد" ،و"محمد أركون"، فصار يتناول المعرفة في العلوم الإنسانيّة كالتّاريخ ،وعلمي الاجتماع و(الانتروبولوجيا)، وأضحى كفعل قرائي لأيّ ظاهرة تاريخية، فلسفية، أدبية، سياسيّة ،والسّياق وسنن العلامات ، و الرّسالة [2]، وهو ما استعانت به جلّ آليات الفهم ،والقراءة والتحليل، وحتى لسانيات النّص الحديثة التّي اعتمدت على خاصية التأويل لتحديد الانسجام بحيث يصبح التّأويل هو الخاصّية ،أو الآلية التّي تمنح الملتقّى (المؤول) خاصية البحث ،والانتهاء إلى مقاصد الكاتب ،وتجاوز الظّاهر النّصيّ (الخطابي) إلى الباطن (المخفي).

الوقوف على كثافة المعنى، والمفاضلة بين وجود الدّلالة ثم إلى التفكيك الذي يهتمّ بفراغات النّص ،وحفرياته [3]، وهنا انتقلنا من التأويل

[1]– الغزالي، إحياء علوم الدين ، ج1، دار المعرفة (بيروت) ، (د.ط) (د ت) ، ص :104.

[2]– ينظر: نصر حامد أبو زيد ، الخطاب والتأويل ، المركز الثقافي العربي، ط1 ، 2000 ، ص: 176.

[3]– ينظر: أمينة غصن ، قراءات في التلقي والتأويل ، دار الأدب ، بيروت ، ط1 ، 1999 ، ص :45.

بمعنى التّفسير الّذي ارتبط أوّل الأمر بتأويل الرّموز ومعرفتها، وتفسير المعاني إلى التّأويل الذي تبنّته آليات ،ومناهج حداثية، وفلسفيّة .

فقد ظّل القرآن ،أو الخطاب القرآنيّ بداية الأمر مرتبطا بالتّفسير والتّأويل إلى غاية العصر الحديث، ونظرا لتطورات العلوم الإنسانيّة الحديثة أبعدت علم التّفسير، وأقصته لتحلّ مكانه مناهج معرفيّة لتحليل النّصوص، والخطابات الدينية للوقوف على قراءته ،و تحليل بنيته اللّغوية و التركيبية ،و النحوية ،والتقرب من أسراره العجيبة التّي تعدّ أحد أوجه الإعجاز فيه .

4)- الخطاب القرآنيّ ومناهج التّحليل

بعد الثورة التّي أحدثها "دي سوسير" خاصة بعد محاضراته في علم اللغة[1] ،تشكّلت معالم اللّغة الحديثة فعلم اللّسانيات - وعبر مستوياته اللّغوية - أمدّ مناهج التحليل الآليات اللاّزمة لتحليل وحدات اللغة التّي انطلقت من الدّاخل، والنّموذج البنيويّ هو المثال الذي اشتُغل عليه في الكثير من الدّراسات بحيث جعل من النّسق البنية علامات تنبني عليها الأنظمة اللّغويّة وبهذا تبقى العلاقات ضمنية داخل النظام، تفسر ضمن علم العلامات ،" انتقل علم اللغة إلى وجهين: هما الدّال (الشّكل) والمدلول، أصبح التّحليل الدّلاليّ مع حالتين: التّحليل الصّوتيّ مع الدّال، والتّحليل الدّلاليّ مع المدلول، وهما معيارا العلامات اللّغويّة، فالمحور الأساسيّ الذي يجمع هذه العلوم هي الجملة باعتبارها الوَحدة التي ترتكز عليها التّحليلات اللغويّة".[2]

---

[1]– ينظر: بول ريكور ، نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى، تر : سعيد الغانمي المركز الثقافي العربي – المغرب ، ط2 ، 2006 ، ص :26 .

[2]– المرجع نفسه، ص :31.

لذلك عمد الكثير من المشتغلين في قراءة الخطاب الدّينيّ وتحليله إلى تحليل الخطاب القرآنيّ بمناهج حديثة مستمدين آلياتها المختلفة للوصول إلى بنيته والوقوف على تماسك آياته ،وتناسق معانيه وإعجازه اللغويّ والأسلوبيّ.

وممّا لاشك فيه أنّ "زليغ هاريس" zellig harris"، "يعدّ من الأوائل الذين اهتموا بتحليل الخطاب ،وقد انتقى من اللّسانيّات البنيويّة ما يساعده على الانطلاق للتّحليل من الجملة إلى وحدة أكبر ألا ،وهي الخطاب".[1]

يُعرّف "جورج مونان"" Mounini George"تحليل الخطاب :" بأنّه كل تقنيّة تسعى للتّأسيس العام والشّكليّ للروابط الموجودة بين الوحدات اللّغوية للخطاب المنطوق، أو المكتوب في مستوى أعلى من الجملة "[2]، ويقصد بالمستوى الأعلى من الجملة النّص ، فهو يهدف إلى إعطاء وصف صريح ومنظّم للوحدة اللّغوية المدروسة ، وهذا من خلال دراسة النّص والسياق – وهذا الإقرار بوجود مستوى من الناحية الإجرائية أعلى من مستوى الجملة هو الذي فتح المجال لتعريفات أخرى أخذت بعين الاعتبار العناصر الخارجيّة غير اللغويّة .[3]

هذا الانتقال النّوعيّ من الجملة إلى ما فوقها هو ما جعل " فان ديك " يقدم بدراسات تنظر إلى النّص بوصفه البنية العميقة لا تتجسّد إلّا من خلال الخطاب الذي يعتبر وحدة لسانيّة تتجلى في ملفوظ لغويّ فهو يدعو إلى

[1]– صبحي إبراهيم الفقي، علم اللّغة النصي بين النظرية والتطبيق ،ص:23

[2]–عمر بلخير،الخطاب الجزائري المكتوب دراسة تداولية ، دار الحكمة ، الجزائر، 2009 ،ص :116 .

[3]– المرجع نفسه ، ص:116 .

تجاوز الجملة إلى وحدة الخطاب كتجلّ عمليّ لوحدة النّص لتحقيق غاية تفسير العلاقات النّسقية بين النّص ،وسياقه التداولي [1]، كما أنّه اعتبر تحليلَ الخطاب تحليلَ عناصر الانسجام المتمثلة في مظاهر النّص، والسّياق والتّرابط ،وانسجام مكونات المقطع اللغويّ الواحد.

هذا الانتقال من الجملة إلى الخطاب/ النصّ باعتباره وحدة كليّة تتألّف من صيغ ،وجمل متراصة منسجمة، وهو ما أحدث التّقارب بين الدّراسات القرآنيّة للنصوص التّي تنطلق من وحدة النّص الكريم مصدرا وموضوعا [2] "فانطلقت مقاربات علماء القرآن من المؤسّسات نفسها التّي شكّلت جوهر نظرية الخطاب وتحليل الخطاب "[3].خاصة بعد الحملات التّشكيكيّة التّي نالت من إعجاز القرآن الكريم ،وعدم انسجامه ،واتّساقه.

استفاد الخطاب القرآنيّ من الآليات التّي تعدّ جوهر الدّراسات اللّسانيّة النّصيّة من شمولية النّص، وتماسكه، واتساقه والترابط النّصي ،والخطاب الكلّي الشامل ،ووحدته النّصية ،" فالقراءات الجزئية ،القديمة التّي اهتمّت فقط بألفاظ القرآن ،وشرحها على حدى، تجاوزها الباحثون المشتغلون في هذا المضمار،" [4]فلم يعد ممكنا حصر النّص القرآنيّ في دراسة الأصوات والمفردات المعجميّة ،والتّراكيب والجمل، وراحوا يستنطقون جماليات

---

[1]– ينظر: فان ديك النص والسياق ، تر: عبد القادر قنيني ، إفريقيا الشرق ، بيروت، لبنان ، 2000، ص 18 .

[2]– ينظر:محمد عبد الباسط عيد ، النّص والخطاب قراءة في علوم القرآن ، تقديم صلاح رزق ، مكتبة الآداب القاهرة ، ط1 ، –2009 ، ص: 17 .

[3]– المرجع نفسه، ص: 18 .

[4]ـطه جابر العلواني،الوحدة البيانية للقرآن المجيد ،مكتبة الشروق الدولية ،القاهرة ،ط 1 ، 2006،ص:10

انسجامه ،وبلاغة تماسكه ،ومعانيه الكلية مراعين في ذلك السّياق ،وأسباب النزول، والتناسب[1].

5)- الاتساق والانسجام في تحليل الخطاب القرآنيّ

كان البحث في لغة القرآن ،وأساليبه يتمثّل في أحد المستويات اللغويّة دون ربط شامل لبقية المستويات الأخرى، فقبل نظرة " عبد القاهر الجرجاني "، " والزّركشي " ، والسيوطي " ، لم تكن هناك أيّ دراسات جادة تبحث في نصيّة القرآن الكريم، فتمّ التقاط بعض أوجه البّحث النصيّ وملامحه " نحو النّص " من كتب إعجاز القرآن الكريم ، فلا يمكن التغافل عن أعمال علماء أجلاّء مثل :الباقلاني ،والرّماني والخطابي ،وعبد القاهر الجرجاني[2] والدّراسات اللغوية الحديثة في الإعجازالقرآني ،"وبعض القضايا تضاهي في تناسبها مع ما أفرزته لسانيات النّص ثنائية الاتساق ،والانسجام مثل التّضام والتّأليف، والنّظم والتّعليق" [3].

كما أنّه يتعين علينا معرفة" أهمية لسانيات النصّ التّي تسعى لمعرفة نصية النّص، وتحديد القواعد الكبرى التّي تشكّله، ويعتمد في ذلك على خاصيتين: الوصف، والتحليل وفق آليات وشروط ، فهي تدرس النّص وتحليل الخطاب ، ولأنّ ثنائية الاتساق ،والانسجام تعدّ الحجر الأساس ومن أساسيات لسانيات النّص بل أحد الأوجه النصية"[4]، معياران لتحليل

---

[1]– ينظر :محمد عبد الباسط عبيد ، النص والخطاب قراءة في علوم القرآن ، ص: 21

[2]– ينظر: أشرف عبد البديع عبد الكريم ، الدرس النحوي النصي في الكتب إعجاز القرآن الكريم ، كلية دار العلوم ، جامعة مينا ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ص: 6 .

[3]– المرجع نفسه، ص :28 .

[4]– الخليل بن ياسر البطاشي ،الترابط في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير للنشر، ط1، 1430هـ 2009 م ، ص :47-49.

النّصـــوص، والخطابـــات خاصـــة منهـــا الدينيّـــة ،والقرآنيّـــة ،والنّبويّـــة. قامـــت دراســات عديـدة مـن هـذا المنظـور مـن التـرابط النّحـويّ إلـى النّـرابط الـدّلاليّ انتهـاءً إلـى التأويـل ،وإشـراك القـارئ كعنصـر أساسـيّ فـي عمليـة التّواصـل والتّحليل والفهم.

1)- الاتساق والانسجام (المفاهيم و التصورات)

يـــرتبط مفهـــوم الاتســـاق عنـــد " فـــان ديـــك "(vandijk)"[1] بمصـــطلح التـرابط الـذي يعنـي العلاقـة المباشـرة التّـي تجمـع بـين القضـايا كـذلك يعـدّ مفهومـا دلاليـا إنّـه يحيـل إلـى العلاقـات المعنويـة القائمـة داخـل الـنّص ،والتّـي تحـدده كـنص " [2]. وهنـا و بهـذا الإقـرار لا يمـنح الأفضـلية فقـط للمفهـوم الـدلالي الـذي نصـل إليـه ،بـل هنـاك داخـل الـنص أيضـا علاقـات تبـدأ مـن البنيـة لتشـكل لنـا الاسـتمرارية و التتـابع و النسـيج المحكـم ، لتتبـاين لنـا تلـك الخطـوط الرفيعـة نسـدلها لتكتمـل عمليـة الفهـم فـلا وجـود لتـرابط دلالـي دون تـرابط نحـوي، لغايـة مـا نصـل إلـى مسـتوى آخـر مـن التفاعـل بـين الـنّص ،والقـارئ، والتفاعل بينهما لتتم عملية الفهم .

وهـو يأخـذ بعـين الاعتبـار العلاقـات فـي الخطـاب ، فهـو يشـير إلـى مجموعـة مـن الظروف التّي تربط بين شيئين، وهذا الربط يكون من خلال علاقة معنوية.[3]

---

[1]– فان ديك ، النص والسياق واستقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني ، إفريقيا الشرق ، ص :137.

[2]– محمد خطابي ، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت ، ط1، 1991 ، ص:17.

[3]– المرجع نفسه ، ص :17 .

وقد أفرد كلّ من "هاليداي ،و رقية حسن" أدوات الاتساق وفق عناصر اختصراها في كلّ من الإحالة، الاستبدال، الحذف، الوصل، وقسّما الاتساق إلى معجمي يضّم التكرار والتضام "[1].

أمّا" CARTER " فيعرفه:" بأنّه ناتج عن العلاقات الموجودة بين الأشكال النصية أما المعطيات غير اللسانية مقامية تداولية فلا تدخل إطلاقا في تحديده "[2]، وهو بهذا المفهوم يلتقي مع نظرة العرب القدامى حول الاتساق" النظم ،التعليق " الذي يحدث على مستوى النصّ الداخلي.

أمّا "الانسجام فيتجلّى مفهومه في اللّسانيات مع دروس " غوستاف غيوم « Gustave Guillaumet"الذي جعل منه خاصية للسان باعتباره نسقا، ومع انتقاله من لسانيات اللّسان إلى لسانيات الخطاب قد اكتسب معنى آخر ، بل تساوى مع مفهوم الاتساق في اللّسانيات النّصية[3]، فكل منهما يتمم الآخر في عملية البناء .

يرى" دي بوغراند"Robert de Beaugrande أنّ الاتساق هو مظهر للنحوية، في حين أنّ الانسجام مظهر للمدلولية، ويعتمد على الروابط المنطقية الدلالية لتحقيق الانسجام، وهو يحتاج إلى وسائل غير لسانية كالمقام ،ومعارف معجمية موسوعية [4]، كما "أنّ "ميشال.شارول" * يجعل

---

[1]– المرجع السابق، ص: 18–19–20.

[2]– نعمان بوقرة ، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية ، جدار للكتاب العالمي ، (عمان الأردن) ، ط1، 1429 هـ ، 2009 م ، ص: 81 .

[3]– ينظر :باتريك شاردو– دومنيك منغونو ، معجم تحليل الخطاب تر: عبد القادر المهيري – حمادي صمود ،دار سيناترا ، تونس، 2008،ص: 100 .

[4]– المرجع نفسه ،ص :100 .

من الانسجام مبدأ عام للتأويل ،كما أنّه يحدده وفق الأحكام المتعلقة بالنصية ،وهذه الأحكام هي من صلاحيات المتكلم المثالي ، ويشترط أيضا طابع الاستمرارية أي وجود عناصر تكرارية التي توفرها لها اللّغة عبر مجموعة من الأدوات التّي تسمح بتحقيق هذه الاستمرارية "[1].

يرتبط الانسجام بالقارئ إذ يتضمن حكما عن طريق الحدس ، والبديهة ،وعلى درجة من المزاجية حول الكيفية التّي يشتغل بها النّص، وهنا يُمكن القارئُ أن يحكم على نص ما أنّه منسجم فلأنّه عثر على تأويل يتقارب مع نظرته للعالم ، لأنّ الانسجام غير موجود في النص فقط ،ولكنّه يحدث نتيجة ذلك التفاعل مع مستقبل محتمل [2]. فالانسجام غير متوافر في النص إلاّ عبر التأويل من قِبل المتلقي ،والقارئ الذي يمكنه أن يحكم عليه بالانسجام من عدمه.

أما "فان ديك" (vandijk) فاعتبره تماسكاً دلالياً بين الأبنية النّصية الكبرى، وقد أدرج" ديك" الانسجام ضمن المباحث الدلالية فإنّ " الترابط على المستوى السطحي يعتمد على وسائل لغوية ذات وظيفة مشتركة أمّا التماسك الآخر الذي يعني الوحدة ،والاستمرار ،والتشابك فيقوم على قواعد

---

*ميشال شارول ، يعود اهتمامه بمسألة الانسجام لما نشر مقالا بعنوان Grammaire de texte théorie de dis cours narrativité

[1]– مفتاح بن عروس ، الاتساق والانسجام في القرآن رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة تخصص لسانيات النص ، إشراف زبير سعدي، السنة الجامعية 2007–2008 ،ص :23.

[2]– ينظر: نعمان بوقرة ، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية ،ص :92.

وأبنيــة تصــورية تجريديــة " [1]، وهنــا تمتــزج عوامــل مختلفــة مــن كفــاءة الشـخص العـادي إلـى كفـاءة المفسـر الـواعي لأنّـه يحمـل معـارف متنوعـة ممّـا يجعلـه ينـأى عـن التـرابط ،ويتجـاوزه ليتصـل بـذلك العـالم الخـارجي الـدلالي الشعري .

كمــا أنّ مهمــة الانســجام تظهــر فــي البحــث عــن "البنيــة العميقــة " أو "البنيــة الكليــة " التّــي تعـدّ اللّبنــة الأساسـية فـي تشـكيل قاعـدة الـنّص ومنـه يـتم التماســك النّصــي ،وتفسّــر طبيعــة الأجــزاء ،وتضــمن تناســقها مــع التفكــك الخارجي .

لـم يكتـف "فـان ديـك" vandijk عنـد هـذا الحـدّ بـل إنّـه يـرى البحـث فـي مسـتوى أعلـى مـن الجمـل يجـب أن يكـون عبـر "العلاقـات التداوليـة، ومفـاهيم الموقــف والمقــام ،والاتصــال فهــي تخــرج الــنّص مــن البنيــة إلــى الموقــف الاتصـالي الـذي يطلـق عليـه سـياق الـنّص، وهـذا مـا عمـل عليـه "ديـك" فـي كتابـة النص والسياق"[2].

فمسألة الانسجام متعلقة بثلاث مستويات وهي:

أ- المستوى التركيبي.

ب- المستوى الدلالي.

ج- المستوى التداولي.

يمكــن (قولبــة) بعــض مفــاهيم الانســجام لــدى البــاحثين العــرب الــذين اســتفادوا مــن المفــاهيمَ الغربيــة، وأضــافوا موجــوداتهم البحثيــة الجــادة إلــى

[1]–سعيد حسن البحيري ، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، مكتبة لبنان ناشرون ، الشركة المصرية العالمية للنشر لوجهان ،لبنان ،ط1 ،1998، ص :133.

[2]–فان ديك ، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، تر:عبد القادر قنيني ، إفريقيا الشرق، (بيروت لبنان) ،2000،ص :258 .

نماذج قاعدية تتأتى من التراث الغربي، وهي نفسها ما عمل عليه معظم الباحثين في تحليل النصوص القرآنية من معايير نصيّة (الاتساق والانسجام) لكن بتصورات غير غربية ممّا أكسبه مصطلحا حسب ترجمته ف"سعد مصلوح" يسميه الحبك [1]، و"صلاح فضل" يطلق عليه التماسك الدلالي أما "حسان تمام" الالتحام والتعليق [2]، وهناك من يقرن بينهما مثل "محمد خطابي "،[3] وهذا التدّاخل ،والاحتدام ناتج عن تباين الترجمات، والمعنى المكتسب المتولد من طبيعة المعارف ،وأيضا مردّه صعوبة هذا المفهوم وتعقيده في حدّ ذاته.

يرى "سعد مصلوح" أنّ "الحبك Cohérence " *هو معيار يرصد

الاستمرارية المتحققة في عالم النّص، وهذه الاستمرارية الدلالية تتجلّى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرّابطة بينهما أي؛ أنّه عمليات إدراكية مصاحبة للنّص إنتاجا وإبداعا ،وتلقيا وألحقه بعلم النفس الإدراكي بحيث اعتبر منظومة المفاهيم جزء من الوحدة ،والاتساق في العقل [4]، نستشف من هذا التعريف أنّ الانسجام هو عملية إدراكية تتعلق بالمبدع المنتج و المتلقي الذي يستقبل هذا النص بناء على منظومة فكرية ،وعمليات تتعلق بالذهن لذلك ألحقه بما يسمى مجال علم النفس الإدراكي، وهنا يتمثل لنا أنّ عملية

[1]–ينظر: مصلوح سعد ،نحو آجرومية للنص الشعري دراسة في القصيدة الجاهلية ، مجلة فصول ، مصر ،مج 10،ع،1،2 سنة 1991 ، دار المنظومة ،2016 ، ص 161.

[2]–ينظر : روبرت دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء، تر : تمام حسان ، علا الكتب للنشر، القاهرة ، ط1 ، 1418 –1998، ص: 175.

[3]–ينظر: محمد الخطابي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ،ص 9.

[4]–ينظر : سعد مصلوح ، نحو آجرومية للنص الشعري ، دراسة في قصيدة جاهلة ، ص 154.

الانسجام لا تحصل فقط على المستوى الدلالي، بل هي عملية معقدة في حد ذاتها .

في حين يرى "محمد خطابي" أنّ الانسجام أعمّ ،وأعمق من الاتساق لأنّه يشرك المتلقي ويصرف اهتمامه لتقصّي جهة العلاقات الخفية التّي تنّظم النص، وتولّده بحيث يتجاوز رصد المتحقق ،وغير المتحقق (أي الاتساق) إلى الكامن " الانسجام ،ومن تمّ يصبح التمايز قائما بينهما في بعض المفاهيم مثل: موضوع الخطاب، البنية الكلية ،والمعرفة الخلفية فهي تبقى خصيصا للانسجام دون غيره [1]، هذه الرؤية تتجلى في أهمية الانسجام وتكمن في الجزء الذي يتدخل فيها القارئ ليتفاعل ،ويحكم على انسجام النّص وهذا الحكم يكون عبر عدّة شروط من بينها القدرة والكفاءة، ومنه يمكن فهم النص، و تأويله من منطلق إدراكه العقلي وانسجام المعلومات من البنية الداخلية لغاية ما يصبح خطابا في حلته الأخيرة.

أمّا "الفقي صبحي" فيرى أنّ الانسجام " الحبك " من أهم معايير النّصية التّي اشترطها اللّغويون لوصف النّص بالترابط والتماسك وهو يتأسس على خاصية أو معيار السبك و ينتقل من العلاقات الداخلية إلى العلاقات المقامية المتعالقة التّي تؤدي إلى فهم النّص[2]، وقد وضع وسائل ثلاثة مرتبطة بالحبك متمثلة فيما يلي:

1- العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص.

---

[1]– ينظر:محمد الخطابي ،لسانيات النّص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ،ص :6.

*–يتبنى سعد مصلوح هذا المصطلح والذي يقترب مفهومه من مصطلح الانسجام،يعني :التماسك المعنوي

[2]– صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، الخطابة النبوية نموذجا ،مجلة علوم اللغة ، المجلد التاسع ،العدد الثاني ،2006 ،ص :8 .

2- معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف.

3- السعي إلى التماسك فيم يتصل بالتجربة الإنسانية وينتج الالتحام بتفاعل المعلومات التّي يعرفها النّص من المعرفة السابقة بالعالم " [1]؛ فهذه المستويات الثلاثة التّي استعان بها " الفقي" كشروط للحبك هي نتائج المدرسة الغربية، مع ذلك استطاع الخروج من بوثقة هذه المدرسة ،وانعتق منها بحيث استعان على ما تملكه مخرجات الدرس العربي من آليات وظّفها للاستثمار في النّص القرآني ،واستنطاقه، لأنّ تحليل الخطابات القرآنية تختلف في تعاملها مع بنيتها ،ولغتها، وأسلوبها عن بقية الخطابات الأخرى لهذا فهو يستمد من بنية النّص نفسه الآليات التّي جعلته منسجما و يلاقح بينها وبين ما أثمرته المدارس النصية الغربية.

تعدّ هذه المفاهيم التّي عرضناها سواءً في المدرسة الغربية أو عند بعض دارسي العرب مصدرا يعيننا على الاغتراف منها لتشكيل نموذج تحليلي يتكئ على ثنائيتي الاتساق، والانسجام للاقتراب من الخطابات وتحليلها ،واستخلاص كيفية بناء النصوص ،وتماسكها ،وتحضيرها للمتلقي كحلقة أخيرة .

إنّ معياري الاتساق ،والانسجام لتحليل النصوص القرآنية والخطابات الدينية يرى في طبيعة القرآن ،وانفراده شرطا ضروريا، ومن تمّ توافق هذين المعيارين، وتلاؤمهما ممّا يمنحانه مميزات تضفي على القرآن المزية ،والجمال علاوة على براعة النّظم، وسحر أسلوبه ،وتكشف عن وَحدته الكلية ،ونسيجه المتشابك ،وتبيّن نصيته " وتقف على التوافق

[1]–صبحي إبراهيم الفقي ،المرجع السابق، ص: 8.

بين انسجام المضمون وتماسك النّص "[1] وفقا لمراد الله - عزّ وجلّ - فعلوم القرآن اهتمت بالخطاب الكلّي الشامل الذي لا وجود معه للأحكام الجزئية.

ومنه أيضا "فالتحليل النصي يعتمد على التماسك سواء أكان الشّكلي أو الدلالي في تحقيق النّصية من عدمه ، ويعمل على كيفية تركيب النّص كصرح دلالي" [2].

1- **الاتساق (الربط الرصفي) :** يعدّا "هاليداي" و"رقية حسن" رائدا في هذا المجال بكتابيهما " الاتساق في اللغة الإنجليزية "، وهنا نبيّن أولا بنية الخطاب أو النص، ثم تحليل الوسائل النحوية ،والصرفية والمعجمية والروابط التركيبية [3]، أي؛ بعد عرض بنية النّص التركيبية تؤدّي أدوات الربط دورا مفيدا في هذه المهمة عبر عدة مستويات نذكر منها:

1-المستوى النحوي: بالنسبة إلى هذا المستوى نجده هو الآخر يعتمد على جملة من العناصر الأساسية في تحقيق الاتساق النصي التّي تعتبر وسيلة في إيجاد نصية النّص معتمدة العناصرَ التالية:

ا- **الحذف**: ومهمته تنبيه المتلقي بوجود عنصر أو جملة محذوفة فتجعله يرجع إلى الخطاب السابق لإعادة القراءة، وهو بذلك يمثل علاقة مرجعية

[1]–محمد عبد الباسط عبيد ، النص والخطاب قراءة في علوم القرآن تقديم : صلاح رزق ، ص :18 .

[2]– صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق ، دراسة تطبيقية على السور المكية دار قباء للطباعة والنشر القاهرة ،ط1 ،2000 م ، ج 2، ص: 96 .

[3]– ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النّص البحث في ما يكون به الملفوظ نصا ، ينظر: الروابط التركيبية وكيف يتم تحليل مستويات النص عبر القواعد، ص:200.

ب- **الإحالـــة**: تكـون عبـر الضـمائر، والأسـماء الموصـولة، وأسـماء الإشـارة، والتكرار وإعادة الذكر.

د- **الوصـل**: هـو آليـة للـربط بـين أجـزاء الـنص عـن طريـق أدوات الـربط المختلفة.

ك- **الاسـتبدال**: هـو عمليـة تعـويض عنصـر فـي الـنص بعنصـر آخـر بشـرط أن تكون داخل النص.

2- المسـتوى المعجمـي (الاتسـاق المعجمـي): هـو يحتـوي علـى عناصـر تتفرع عنه نذكر منها :

أ- التكـرار: هـو تكـرار عناصـر فـي الـنص ممـا يـؤدي وظيفـة الاسـتمرارية و التماسك على مستوى الوحدات النصية.

ب- المصـاحبة المعجميـة: وهـو تـوارد زوج مـن الكلمـات بالفعـل أو القـوة لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك[1].

أمـا التحليـل علـى مسـتوى الانسـجام أو المسـتوى الـدلالي نعتمـد علـى مـا ورد عنـد "فـان ديـك" مـن خـلال الـربط المفهـومي ،وتحقيقـه العمليـات الذهنيـة التّي يشترك فيها المتلقي عن طريق خبراته السابقة:

1)- معرفة البنية الكبرى ،وتتلخص البنية الكبرى فيما يلي:

أ- الربط بين أجزاء النّص الواحد ،أو بين فقرات النصوص.

ب- تقديم مختصر للنّص (الخطاب).

ج- إنتـاج نـص جديـد يحتـوي علـى علاقـات خاصـة بـالنص الأصـلي ،أو الأول[1]، هـذه الخطـوات تضـبط البنيـة الكبـرى بدايـة بـالربط الـذي يعتبـر أهـم

[1]– جميل عبد الحميد ،البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية ،ص:109

خاصية لتكوين النّص ،ومن ثم تكوين الفكرة العامة عن الخطاب أو النص، وبعدها يمكن إنتاج نص جديد انطلاقا من التعاليق الأولى للنّص: الأول عبر علاقات تسهم في الربط الدلالي بين أجزاء النص.

2- تحديد العلاقات التّي تساهم في انسجام كل مقطع وهي:

أ- **التطابق الذاتي**.

ب- **علاقة التضمن والعضوية** مثل: الجزء والكل.

ج- **تحديد مفهوم الإطار**.

د- **علاقات التكرير**.

ه- **تعالق الجمل في شكل مقاطع تربطهم علاقة**.

ز- **العلاقات الرابطة بين المواضيع الجديدة** [2].

3- **مراعاة ترتيب الخطاب** :الذي يسميه الترتيب العادي للوقائع في الخطاب، وهو يخضع إلى علاقات تحدث على مستوى الإدراك.

و قد حصرها "ديك" فيما يلي:

ا- **العام و الخاص**: هي علاقة ترتب عملية ترتيب الخطاب على مستوى الإدراك بحيث تكون من الخاص إلى العام على مستوى الأحوال الموصوفة.

ب- **الكل و الجزء**: هي علاقة تجعل الأحداث مرتبة على مستوى الذهن أي ترتيب يقتضي وجود انتظام ترابطي خاضع من الجزء إلى الكل وعن طريقه يحصل التأويل.

---

[1]– ينظر: فان دايك ، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات تر:د.سعيد حسن البحيري ، كلية الألسن جامعة عين شمس ،2001م،1421هـ، ص:208-209 .

[2]– ينظر: محمد خطابي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص ،ص :39.

ج- **المجموعة والمجموعة الفرعية والعنصر**: هي عناصر مترابطة تكون مرفقة في النص تتلخص في المجموع والفروع والعنصر الرئيسي والفرعي.

د- **الكبير والصغير**: إدراك الشيء الكبير قبل إدراك الشيء الصغير.

ه- **المالك والمملوك**: يفسر عبرها علاقات الأشخاص وفق الأحداث في السياق[1].

4- الخطاب التام – الخطاب الناقص

يقصد بالخطاب التّام الخطاب غير القابل للحصر، وهنا يستعمل القارئ آلية الاستدلال لفهم الخطاب، وتأويله ، وملء فراغاته، وإفراغ البياضات ،ويمكن تصنيف الخطاب الناقص أنّه خطاب ضمني كما أنّه مرتبط بهدف ، ومقصدية [2]، ويقرن هنا الباحث الاستدلال الذي يعد عملية منطقية للتمكن من تأويل الخطاب الضمني والبحث ما بين السطور ليتم الفهم الصحيح.

5- موضوع الخطاب

يعتبر "فان ديك"" vandijk" البنية الدلالية لانسجام الخطاب، هي أداة إجرائية حدسية تقارب البنية الكلية للخطاب، وقد اعتبر" ديك "رد فعل القارئ أو المستمع في قبوله أو عدم قبوله لمتتالية ما أو خطاب نسبة إلى وجود بنية كلية وردّها إلى بيانات مختلفة [3].

---

[1]– ينظر: فان ديك ، النص والسياق ،ص: 155.

[2]– ينظر: محمد الخطابي، لسانيات النص، ص: 40.

[3]– ينظر: فان دايك ، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، ص: 185–208.

الأولى: " مجموعة متتاليات ليست لها بنية كلية تعتبر غير مقبولة في السياقات التواصلية ".

الثانية: وجود جمل متعددة متنوعة تعبر عن قضايا كلية وتترك المهمة للمستمع القارئ وهي تتسم اتّساما نمطيا في بداية المقطع أو نهايته .

الثالثة: الروابط المختلفة التّي تشكل المقاطع ،والقضايا مثل " بالإضافة إلى ذلك، مع ذلك، لكن، لهذا".

الرابعة: الإحالة التّي تعبّر عنها الضمائر المحيلة ،وأسماء الإشارة ،وأدوات المقارنة والأسماء الموصولة.

الخامسة: التطابق الزّمني والمكاني.

وهذه الآليات اللغوية هي من تحدد موضوع الخطاب الذي يمّر عبر مرحلة حدس البنية الكلية ضبطها ،و تحديدها .[1]

6-السياق: يعد الوحدة الأساسية لتحليل النصوص / الخطابات ،" فهو يعالج الدلالة، ويحدّد دلالة الصيغ، كما يلعب المقام الوضع الذي يحدث فيه التواصل دورا في تحديد الملامح الفسيولوجية النفسية للمتكلم "[2].

تعدّ النظرية السياقية مرحلة تمهيدية مهمّة بالنسبة إلى النظرية التحليلية، فلا يمكن الكشف عن المعنى إلاّ من خلال تسييق الوحدة اللغوية في معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدة أخرى[3]، وأنّ معاني هذه

[1]– محمد خطابي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص ، 47–48 .

[2]– منقور عبد الجليل ، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دمشق ، ط1،2001، ص:93.

[3]– جون لينز ، علم الدلالة ،تر: كاظم حسين باقي وآخرون ، كلية الآداب جامعة البصرة ،(د،ط،د،ت) ،1980،ص: 12.

الوحـدات لا يمكـن وصـفها ،وتحديـدها إلاّ بملاحظـة الوحـدات الأخـرى التّـي تقع مجاورة لها.

وضـمن مـا توصّـل إليـه علمـاء اللّغـة فـي إطـار النظريـة السـياقية هـو فكـرة الرّصـف ،ويعنـي مراعـاة وقـوع الكلمـات مجـاورة لبعضـها بعضـا وقـد اعتبـر" فيـرث Firt " أنّ قائمـة الكلمـات المتراصـفة مـع كـل كلمـة تعـد جـزءًا من معناها"[1].

يحـدث الانسـجام حينمـا تتضـافر العلاقـات التماسـكية الدلاليـة، والشـكلية مـع السـياق فـي تحقيـق التماسـك النّصـي للـنّص فهـو يحتـوي علـى العلاقـات داخليـة ،وأخـرى خارجيـة مثـل السـياق الثقـافي فهـي ضـرورية لكـي يـتم التواصـل والإبـلاغ [2]، فالفـارق هـو السـياق الـذي يـؤدي دورا فـي تشـكيل معـالم الانسجام سواء السياق اللغوي أو الخارجي كسياق الحال.

كمـا أنّ " بـراون ويـول " «Brown ,yule"عـدّا السـياق الـذي تشـكل مـن المـتكلم الكاتـب، والمسـتمع القـارئ، والزّمـان ،والمكـان مـن أهـم مبـادئ الانسـجام التّـي تـؤدي إلـى تماسـك الخطـاب دلاليـا[3]، فهـو يمثـل قاعـدة أساسـية لعمليـة التماسـك الـدلالي، لأنّـه لا يمكـن تأويـل؛ أيّ نـص يكـون معـزولا عـن ظـروف إنتاجـه، ومجمـوع مـا يمنحـه الـنّص مـن إشـاريات اجتماعيـة ،وزمنيـة ومكانية توضّح في سياقها لتحدد مرجعية الملفوظات.

[1]– ينظر: منقور عبد الجليل ،علم الدلالة أصوله و مباحثه في التراث العربي ،ص :95 .

[2]– ينظر: سعد سرحت ، لسانيات النص مداخل نظرية مع دراسة إجرائية في كتاب طوق الحمامة، سلسلة منشورات تون ، ط1 ،2016،ص :96.

[3]– محمد خطابي ،لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ،ص :54.

الشكل :رقم 01 -عناصر السياق-

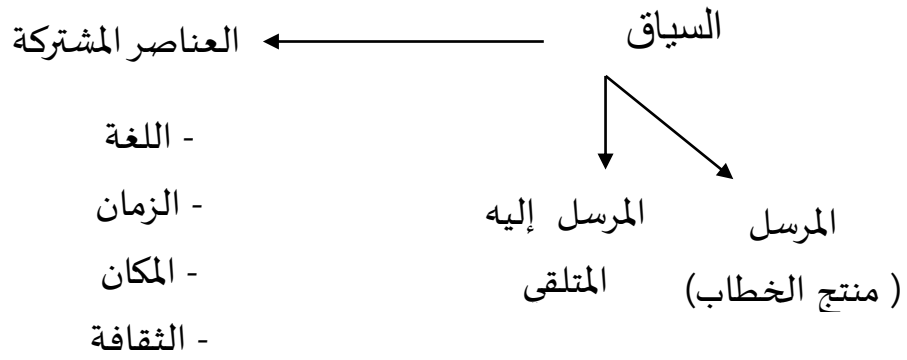

"فالخطاب القابل للفهم ،والتأويل هو الخطاب الذي يوضع في سياقه" [1]، وهذه المقولة تعزّز قيمة السيّاق ، لأنّ النّص الذي يعزل عن سياق يؤطره ويحدد معطياته سواء أكان السياق مقاليًا، أو مقاميًا- يعدّ نصا غير مفهوما فهو يساعد المحلل على فهم الملابسات، ويمنح المتلقيَ جانبا هو الآخر يشترك في الموقف اللغوي، والإشاريات ليحصل التأويل وفق مشروع متكامل ذهني يبدأ من اللغة ،والنسق الدّاخلي إلى غاية العالم الخارجي.

6-المتلقي وأهميته في عملية التحليل

حينما يستقبل الملتقي خطابا/ نصا فإنّه يشرع في تأويله على ضوء ما يملك من معطيات تكون عادة من التجربة السابقة يستطيع من خلالها المتلقي الفهم ،والتأويل خاصة حينما ننظر إلى الخطاب الحالي، ونضعه مع الخطابات سابقة انطلاقا من مبادئ ذكرها" يول وبراون Brown ,yule "[2].

أ- مبدأ التأويل المحلي : وقد بيّنه " الخطابي " بأنّه "يعتمد على السياق وتحديد الفترة الزمنية في تأويل مؤشر زمني مثل :" الآن، كما أنّه مرتبط

[1]– المرجع السابق ،ص: 58.

[2]–المرجع نفسه ،ص:59

باستراتيجية التشابه فمن خصائصه أنّه يقيد التأويل، ويجعله يبتعد عن التأويل غير المنسجم مع المعلومات الواردة في الخطاب" [1]، وهنا يكون التأويل انطلاقا من النص والسياق الذي يؤدّي فيه المتلقي دورا تحركه مجريات السياق وتضبط القدرة التأويلية لديه .

ب- مبدأ التشابه: " يعد أحد المعطيات التي يتبناها المستمعون، والمحللون في تحديد التأويلات ضمن السياق" [2]، وهنا يعني به التجربة السابقة التّي تهب المحلل القدرة على التوقع، وبناء المعرفة السابقة على اللاحقة، واستنتاج العلاقة المتشابهة التّي تربط الخطابات السابقة مع الحالية وبالتالي تسهم في عملية الفهم ،والتأويل.

ج- التغريض: ويتخذ مفهوم الموضوع عند "براون ويول « Brown yule"

نقطة بداية قول ما وبما أنّ الخطاب هو مجموعة من المتتاليات متدرجة تحكمها الخطيّة، فإنّ العنوان له تأثير في تأويل النّص لأنّه يحتوي على علاقة وثيقة مع موضوع الخطاب .

وينظر للعنوان على أنّه وسيلة قوية للتغريض لأنّ أيّ لقطة مضمنة في العنوان تنسحب على الموضوع ، وهي تهيئ القارئ وتوجّهه لقراءة النّص [3] ، و يتجلى التغريض كإجراء خطابي بتكرير اسم، استعمال ضمير محيل إليه، تكرير جزء من اسمه، استعمال ظرف زمان يخدم خاصية من خصائصه [4].

---

[1]– محمد خطابي لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب) ، ص: 58.

[2]– المرجع نفسه ،ص: 60.

[3]– ينظر: خليل بن ياسر البطاشي ،الترابط في ضوء التحليل اللّساني للخطاب ،ص: 229.

[4]– ينظر: محمد خطابي ،لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب) ،ص :62.

فدور المتلقي يكون في الحكم على انسجام النّص انطلاقا من الفهم والتأويل فلا يوجد نص منسجم وآخر غير منسجم، وهذا ما اعتمداه (بروان ويول) بل الأمر كله مرتبط بالمتلقي إذ " يقوم بإدماج النّص أو المقطع اللغوي ضمن عمليات معقدة تشبه عمليات الحاسوب تقود في نهاية المطاف إلى الحكم على انسجام النّص من عدمه أي؛ أنّ الخطاب يستمد انسجامه من فهم المتلقي ،وتأويله"[1]،و هذا ما فتح لعلم التأويل كتخصص كان لعلوم القرآن أو الخطابات الدينية ليتحول إلى آلية للتحليل، والفهم ،وانفتح على بقية التخصصات الأخرى التّي جعلت منه مركزية فكرية مهمة .

[1]– ينظر: مفتاح بن عروس الاتساق والانسجام في القرآن الكريم أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات جامعة الجزائر ،2008، ص: 120.

الفصل الأول : المرجعية المعرفية والمنهجية لحقل لسانيات النّص والخطاب.

1- المبحث الأول: بين لسانيات الجملة ولسانيات النّص.

2- المبحث الثاني : لسانيات النّص مفاهيمها واتجاهاتها الأساسية.

3- المبحث الثالث :لسانيات الخطاب النشأة والتأسيس.

4- المبحث الرابع :الخطاب و التداولية.

المبحث الأول:

1)- بين لسانيات الجملة ولسانيات النّص

1- لسانيات الجملة :

اكتست الجملة موقعا مهمّا في الدراسات التراثية النحوية العربية، لكنّها بقيت محصورة بين تصورات، ومفاهيم قننوا بها النحو ،وانطلقوا منها لتأسيس قواعد تحمي اللّغة العربية من الاندثار ،ومعظم هذه الدراسات اعتمدت على الجملة بوصفها الوحدة اللغوية الكبرى للدراسة [1].

إنّ انطلاقة النحو العربي من النحو الجملة ،وتقوقع تحليلات النحو ضمن منظور الجملة، هو أحد الأسباب التّي عجلت بميلاد لسانيات النّص،" لحاجة ماسّة إلى وضع مفاهيم ،ومقولات جديدة تضّم عناصر لغوية ،وغير لغوية لم تجد مكانا متسعا في نحو الجملة " [2]، فالتحليل النحوي كان يعزل الجمل عن سياقها في النّص ويصبح مجرد عدد من الجمل غير قادر على استيعاب المعنى إلاّ من خلال تتابع مجموعة من الجمل تتفاعل داخل النص الكلّي.

هذا ،وقد اعتمدت دراسات التراكيب اللغوية جميعها على وجه التقريب على مفهوم الجملة دون غيرها [3] ، بحيث أنّه التركيب الأساسي الذي أحاط به الغموض وكثرت التعريفات ،والتصورات المتشعبة دون تحديد معايير ثابتة لجملة الجملة، وقد تناولت كتب علماء النحو، والبلاغة تعريفات الجملة ضمن ما يسمى الكلام .

---

[1]– ينظر: الأزهر الزّناد ، نسيج النص بحيث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط1 ، 1993 م ،ص: 14 .

[2]– نعمان عبد الحميد بوقرة، الخطاب والنظرية وإجراء، دار الجامعة الملك سعود للنشر، (د.ط.د.ت) ،ص: 14 .

[3]– ينظر : روبرت دي بوجراند ، النص و الخطاب و الإجراء ، تر : تمام حسان ، عالم الكتب القاهرة ، ط1 ، 1418 – 1998 ، ص :88 .

ورد معنى الجملة في لسان العرب على النحو التالي : هي جماعة كل شيء بكماله من الحساب وغيره يقال أجملت له الحساب و الكلام [1].

يرى ابن جني (ت392ه)، وعبد القاهر الجرجاني (ت 471ه) والزمخشري (ت538ه) أنّ الكلام هو نفسه ما يسمونه الجمل .

فابن جني لم يدع لنا غموضا، ولا شكّا في أنّ :" الكلام كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه وهو الذي يسميه النحويون الجمل" زيد أخوك وقام محمد" ، "وضرب سعيد"، و"في دار أبوك" وصه، مه ورويدا، و"جاء وعاء في الأصوات" وحس، ولب وأف وأوّه ، وكل لفظ استقل بنفسه وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام" [2]. ويقول :" الجملة فهي كل كلام مفيد مستقل بنفسه[3] "ويشترط في الجملة الاستقلالية والإفادة[4]، من خلال تعريفات النحويين نستشف أنّ تعرضهم للكلام كان في إطار ما يسميه الحداثيون الجمل، ويمكن إجماله بخصائص تتوافر أثناء عملية التبليغ مرتبطة بتحقيق الفائدة للمخاطب، وإفادته، استقلالية اللّفظ بنفسه، والإسناد الذي يكون بفائدة تامة أو غير فائدة ،و أخيرا حسن السّكوت دلالة على كمال الجملة.

يؤكد " الزمخشري " (ت 538 ه) أنّ الكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى، وذلك لا يتأتّى إلّا باسمين كقولك : زيد أخوك " أو فعل واسم نحو

---

[1]– ابن منظور ،لسان العرب ،دار صادر ،بيروت لبنان ،ط4،1997، مادة (جمل) ، ص :128.

[2]– أبو الفتح عثمان بن جني ، الخصائص ، تح : محمد على النجار ، المكتبة العلمية ، ج1، ص 17.

[3]– ابن جني ، اللّمع في العربية ، تحقيق حسين محمود شرف ، عالم الكتب بيروت ، ط2، 1979 م ، ص: 110 .

[4]– ينظر : محمود أحمد نخلة ، مدخل إلى دراسة الجملة العربية ، دار النهضة العربية ، بيروت لبنان (د.ط)1408 هـ – 1988 م ص :13 .

قولك بضرب زيد "...ويسمى جملة " [1]. هذا التعريف الذي ورد لدى "الزمخشري تتفق عليه تعريفات النحويين، فالتركيب الذي يتضمن الإسناد يحتمل معه تحقيق الفائدة أو لا تتحقق، وقد فصّل فيها القدماء أكثر في" باب الإسناد الأصلي المقصود لذاته أو بالذات"، و"الإسناد الأصلي المقصود لغيره ".

أما" سيبويه" فلم يستعمل مصطلح الجملة، وكان يستعمل مصطلح الكلام ماعدا اتخاذه لفظتي (جملة- جمل) في الاستعمال اللّغوي ،ويمكننا أن نرصد مواضع الجملة في سبعة مواقع ذكرت في صفحات الكتاب، ولفظة الجمل جميعا في موضع واحد على النحو التّالي:

1- قال في آخر (هذا باب ما يحتمل من الشعر):" وما يجوز في الشعر أكثر من أن أذكره هنا، لأنّ هذا موضع جمل وسنبيّن ذلك فيما نستقبل إن شاء الله [2].

2- قوله: ومما أجري مجرى الأبد، والدهر ،واللّيل ،والنهار المحرم ،وصفر وجمادى، وسائر أسماء الشهور إلى ذي الحجة لأنّهم جعلوهنّ جملة واحدة لعدة أيّام، كأنّهم قالوا: سير عليه الثلاثون يوما " [3].

3- قوله: في (هذا باب، ما يضاف إلى الأفعال من الأسماء " جملة هذا الباب أن الزّمان إذا كان ماضيا أضيف إلى الفعل وإلى الابتداء و الخبر، لأنه في معنى إذ...[4].

---

[1]– ابن يعيش ، شرح المفصل ، عالم الكتب ، بيروت ، (د.ط) ، (د.ت) ، ج1 ، ص: 18.

[2]– أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب كتاب سيبويه ، تحقيق :عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي القاهرة ، ط3 ، 1408هـ–1988 م ص: 26 .

[3]– المصدر نفسه ، ج3 ، ص :23 .

[4]– – أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب كتاب سيبويه ، الجزء 1 ، ص :23 .

4- قوله :" فكل اسم يسمى بشيء من الفعل ليست في أوله زيادة وله مثال في الأسماء (انصرف)، فإنّ سميته باسم في أوّله زيادة وأشبه الأفعال لم يتصرف فهذه جملة هذا كله "[1].

5- قوله :" ومما جاءت مصادره على مثال لتقارب المعاني قولك:" يئست يأسا ويآسة وسئمت سأما وسآمة وزهدت زدها و زهادة فإنّما هذا الترك الشيء ..." [2].

6- قوله:" وقد جاء على فعل يفعل وهو فعل أشياء تقاربت معانيها، لأن جملتها هيج وذلك قولهم:" أرج يأرج أرجا وهو أرج "[3].

7- قوله: " فجملة هذا أن كل ما كانت له الكسرة ألزم كان أقوى في الإمالة "[4].

8- قوله: " جملة هذا الباب في التحرك أن يكون الساكن الأول مكسورا وذلك قولك : اضرب ابنك "[5].

هذه المواضيع لا تعني انعدام الجملة كمصطلح، بل تتوافر على المفاهيم، وهو ما أقرّه بعضهم من أنّ البذرة الأولى الممهدة لتحول اللّفظة إلى حقل الاصطلاح النحوي الذي ظهر فيم بعد عند الفرّاء و المبرد في كتابه المقتضب.[6]

---

[1]– المصدر السابق ، الجزء 3 ، ص: 119 .

[2]– المصدر نفسه ، الجزء 4 ، ص: 16 .

[3]– المصدر نفسه ، الجزء 1 ، ص :127 .

4 –المصدر نفسه ،الجزء1،ص:128

[5]– المصدر نفسه ،الجزء 4، ص :156.

[6]– ينظر : حسن عبد الغني محمد جواد ، مفهوم الجملة عند سيبويه ،دار الكتب العلمية (بيروت لبنان) ، ط1 ، 2007 ، ص :30.

يرى " الحاجب" ت(646 ه)، و" ابن هشام "ت(761 ه) [1] بوجود فاصل بين الجملة والكلام، ويتّضح هذا في قول ابن الحاجب:" الكلام هو القول المفيد بالقصد والمراد بالمفيد ما دل على معنى يحسن السكون عليه والجملة عبارة عن الفعل وفاعله، قام زيد، و المبتدأ وخبره: كزيد قائم، وما كان بمنزلة أحدهما"[2].

الفرق بين الجملة والكلام هو الغرض الذي ينشأ من الكلام ألا ،وهو المعنى أما الجملة فهي لا تعدو أن تكون ضمن بواعث الإسناد " مسند ومسند إليه " هذا ما يجعل وجود بعض الالتباس في تحديد الجملة عند لغوي لعرب الذي نلفيه أيضا عند الغربيين، حيث يقول " روبرت دي بوجراند ": لقد اعتمدت دراسات التراكيب اللّغوية جميعها على وجه التقريب منذ نشأتها في العصور السحيقة على مفهوم الجملة دون غيره، ومن المتفق أنّ هذا التركيب الأساسي قد أحاط به الغموض، وتباينت صور التعريف به حتى في وقتنا الحاضر "[3].

تتخذ الجملة مع النظرية التوليدية التحويلية مفهومين هامين هما، السلامة النحوية شديدة الاتصال بالبنية التركيبة حيث أنّه يشترط في الجملة أن تكون سليمة من حيث تركيبها النحوي ، تواكب قياس اللّغة تتناسب مدلولات اللّغة المعيّنة [4]، فهو يعتبر الجملة أكبر وحدة للتحليل ،وهذا التعريف للجملة يحدد كل من استقلالية النحو

---

[1]– ينظر ابن هشام ،مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الإتحاد العربي ، القاهرة ، (د.ط)، (د.ت)، ج2 ، ص :416.

[2]– رضي الدين محمد بن الحسن الإستربادي ، شرح الراضي على كافية ابن الحاجب ، دار الكتب العليمة ، بيروت ، ط1، 1419 هـ ، 1992 م ، ج1 ، ص :88

[3]– دي بوجراند، النص و الخطاب و الإجراء : تر: تمام حسان ، ص: 88 .

[4]– ينظر : خوله طالب إبراهيمي ،مبادئ في اللسانيات ،دار القصبة ، (الجزائر) ، ط2 ، 2006 ، ص :105.

والدلالة، أحداهما عن الأخر فهما يعدّان مكونين للغات المنطقية فقط، لا اللغات الطبيعية في حالة الاستعمال[1].

أورد " دي بوجراند" Robert de Beaugrande": بعض المفاهيم عن الجملة ، فهي "عبارة عن فكرة تامة " [2]، و" هي تتبع من عناصر القول ينتهي بسكتة " [3] فهي، "نمط تركيبي ذو مكونات شكلية خاصة"[4]، وهي اتجاهات قيّدت بالجملة إمّا في نطاق شكلي، تركيبي، أو منحى دلالي، مجرد عن السياق ،وعن العلوم الأخرى التّي تؤدي إلى التواصل، وهي الإشكالية التّي لم تستطيع النظرية اللّسانية تخطيها في تعاملها مع الجملة.

الجملة "هي أكبر وحدة لغوية قابلة للوصف والتحليل اللّغوي في عرف اللّسانيات فهي نهاية المطاف لأيّ مستوى من مستويات الدرس اللّغوي" [5].

ففي مفهومها التقليدي هي الجملة المفيدة ذات تركيب مكثف بنفسه، وتامّة الإفادة وهي مؤلفة من كلمتين أو أكثر، وهي في تحديد آخر أقلّ ما يفيد من الكلام لقولك: جاء الولد أو أكل الولد تفاحة أو أقل ما يفيد هو المسند والمسند إليه، أي التركيب الإسنادي " [6].

و هذا إذا اعتبرنا أنّ نحو الجملة مقتصرا على التركيب فقط على اعتبار الجملة منتهى التركيب.

---

[1]–ينظر : المرجع السابق ، ص:105

[2]– دي بوجراند ، النص و الخطاب و الإجراء ،ص: 88 .

[3]–المرجع نفسه ، ص :88

[4]–المرجع نفسه ، ص: 88

[5]– سعد سرحت ،لسانيات النص مداخل نظرية مع دراسة إجرائية في كتاب طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي، سلسلة منشورات نون ، ط1 ،2016 ، ص: 62.

[6]– خوله طالب الإبراهيمي ، مبادئ في اللسانيات ، ص: 97

وهذا المنظور الذي يتأتّى في نحو الجملة، بحيث يقتصر على دراسة الجملة منزوعة من سياقها أو الاستقلال النسبي الذي يقتضي فيه أنّ " الجملة وحدة تركيبة تؤدي معنى دلاليا واحدا، واستقلالها فكرة نسبية تحكمها علاقات الارتباط والربط والانفصال في السياق "[1]، وهنا نستنتج أنّ الجملة تعد تركيبا يفيد من ناحية الدلالة تراص مجموعة من الكلمات، أي؛ أنّها مستقلة بحالها عن بقية الجمل ،ولأنّنا حين نتواصل لا يمكن أن نتواصل عبر جملة معزولة عن السياق الذي لا يعطي المعنى حقه ،ويعطل عملية التواصل،ولأن النحو لايستقل عن الدلالة هما متكاملان.

وهذا الاستقلال النسبي *كما أورده " أحمد عفيفي"، هو منطق الدراسة فقط فهو حكم مؤقت، لأنّ الجملة جزء من النسيج العام في بنية النص الكلية [2].

اتخذت كل الدراسات اللغوية إلى غاية النصف الأول من القرن العشرين، وهي الفترة التّي شهدت فيها اللّسانيات الوصفية البنيوية رواجا كبيرا ،ولعلّ الاقتراب من النظرية التوليدية التحويلية "لتشو مسكي" مع النحو أو حين يتم تعريف اللغة من حيث المبدأ بأنّها (مجموعة من الجمل)، فكل ما لا يوجد في الجملة كالاسم مثلا لابدّ أن يقدر بالتحويل أو الاستنباط "[3]، إنّ "الجمل هي أكبر الوحدات الموصفة في اللّغة التّي يجب أن توصف أبنيتها انطلاقا من أصغر وحدات اللّغة حسب شواهد الكلام (أي حسب المنطوقات) "[4]. فالجملة هي أحد الأسس التّي بنت

[1]– مصطفى حميدة، نظام الارتباط و الربط في تركيب الجملة العربية ،مكتبة لبنان الشركة المصرية العالمية للنشر –لونجمان (لبنان بيروت)ط1 ، 1997 ، ص :148.

[2]– أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، 2001 ، ط1 ، ص :18.

[3]– روبرت دي بوجراند ، النص و الخطاب و الإجراء، تر: تمام حسان ، ص :88.

[4]– كارل ديبربونج ، المدخل إلى علم اللغة ، تر: سعيد حسن البحيري– مؤسسة المختار ، ط2 ، 1431 هـ ، 2010 م ، ص: 183.

عليها المدارس اللّسانية ركائزها خاصة، التوليدية التحويلية ،واعتبروها أي؛ اللغة مجموعة متناهية ،أو غير متناهية من الجمل، ونظام القواعد هو المسؤول عن تحديد الجمل من اللّاجمل، لذلك فقد تدارك ذلك فيما بعد خاصة بعد المرحلة الثانية التّي ميّز فيها "تشو مسكي" بين البنية العميقة والبنية السطحية، وبين الكفاءة اللغوية ،والأداء وبهذا يمكننا القول : إنّه أكسب مفهوم الجملة العمق والرحابة وأضاف لها المعنى الذي أهمله سابقا، فأضحت الجملة تقوم على هذه المبادئ اللسانية.

هذا التصنيف الذي حظيت به الجملة ،"لأنّها أكبر مركب مستقل "،[1] فإنّه يقضي بالقول إلى نفي وجود وحدات لغوية أكبر من الجملة بما في ذلك النّص.

وقد وقف الدرس اللّساني عند حدود الجملة[2]. فبيّن مكوناتها ،ومختلف القواعد التّي تحكمها، وعلى ذلك قامت النظريات النحوية ،والاتجاهات اللّسانية المختلفة، فالجملة بنية قارة في الكلام، لذلك فهي من الناحية النظرية نوعان:

أ- **جملة نظام**: وهو شكل الجملة المجرد الذي يولد جميع الجمل الممكنة والمقبولة في نحو لغة ما.

ب- **جملة نصية**: وهي الجملة المنجزة فعلا في المقام ،وفي هذا المقام تتوفر ملابسات لا يمكن حصرها يقوم عليها الفهم والإفهام[3]، أي الجملة التّي تكون ضمن سياق تواصلي بحيث تراعي المقام ،والأحوال ،والظروف التّي يمكن أن نفهم من خلالها القصد ،وبالتّالي لا تكون مفصولة ،أو مبتورة عن سياقها .

---

[1]– ينظر : محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية المؤسسة العربية للتوزيع ، بيروت ، ط1 ،2001 ، ص: 37.

[2]– ينظر: حمادي صمود وآخرون ،مقالات في تحليل الخطاب ، كلية الآداب و الفنون و الإنسانيات ، جامعة منوية ، ط1 ، 2008 ، ص: 56.

[3]– ينظر: الأزهر الزنّاد ، نسيج النص بحيث فيما يكون به الملفوظ نصّا ، ص: 14.

بحيث تتعدد الجمل في المقام الواحد، وهذا التعدد يعود إلى التفرد من حيث البنية المولّدة للجمل أي إلى نحو الجملة، ولكنّه يخرج عنها عندما يتعلق الأمر برصد عمل الدلالة في النصوص في وجوهه المختلفة: مثل الانسجام في الموضوع والزمان والأشخاص أو المفاهيم[1]. وهنا يقصد الباحث ضرورة وجود " نحو النص" الذي تضيق به نحو الجملة خاصة في ما يتعلق بالبحث عن العلاقات الدلالية كالانسجام ،والاتساق ،وبقية المعايير النصية.

2- الحاجة إلى نحو النصوص.

استنادًا إلى ما تقدّم وصفه من تعريفات للجملة، تبيّن وجود ما يسمى نحو الجملة " sentence grammar "، وهو" طراز من التحليل النحوي يفيد معالجته بحدود الجملة، أو القول المفيد فائدة يحسن السكوت عليها "[2]، بحيث تعتبر قواعدها منتهى همه، والغاية القصوى له. إنّ التحليل النحوي يجتزئ الجمل ،ويعزلها عن سياقها **"النص أو الخطاب"** على هذا النحو يصبح السلوك اللغوي مجرد تحقيق لانهائي لعدة نماذج من الجمل فكانت الدعوة إلى نحو النص، " لتنقل اللّسانيات الحديثة بوسائلها المنهجية من **نحو الجملة،** وهو الذي يرى أنّ الجملة أكبر وحدة في التحليل إلى نحو النص" Text gramar" هو النمط الذي يجعل من النص كلّه وحدة للتحليل". [3]

إنّ هذا التجاوز لنحو الجملة حسب رأي علماء لغة النّص، مرّده " أنّ البشر حين يتواصلون لغويا يعملون ذلك في جمل مفردة منعزلة، بل في تتابعات مجاوزة

[1]– المرجع السابق ، ص:14.

[2]– سعد مصلوح ،من نحو الجملة إلى نحو النّص، تحقيق: عبد السلام هارون ،إعداد د.وديعة نجم ود.عبده بدوي ، الكتاب التذكاري لقسم اللغة العربية، جامعة الكويت ، 1990 م ، ص :406 .

[3]– المرجع نفسه ، ص :409 .

للجملة مترابطة متماسكة "[1]. هذا التصور القائم على الترابط والتماسك بحيث لم يغفلوا أهمية الجمل في التواصل غير أنّهم اشترطوا فيها التتابع ،والاستمرارية والترابط، أي ؛ليست جزءًا مستقلا ،وإنّما هي داخل كلّ منسجم يستطيع أن يحقق تعيين الدلالات ،وبالتّالي القدرة على التواصل.

3- نحو النص :

فقد كثرت المفاهيم حول نحو النّص، ومنهم من يرى أنّ" نحو النّص أّنه ذلك الفرع من قواعد النّص التّي لم تتم بعد، وهو الذي يصف وسائل التعبير عملية تشكيل النص إذ يهتم بالوسائل اللغوية المتحققة نصا ،والعلاقات بينها" [2]، وهذا الاتجاه الجديد هو ناتج تفاعل مجموعة من العلوم المتنوعة، بعضها لغوي والآخر غير لغوي، علاوة على أنّه جاء تطويرا لبحوث لغوية مكثفة قامت بها مدارس لغوية أوروبية، وأمريكية لفترة طويلة بحيث تداخلت كثير من الدراسات وتمازجت مثل مدرسة براغ ،وفوضى نظرياتها [3]، واستمرت الدراسات اللسانية على تلك المنهجية إلى أن بدأت إرهاصات نحو النص على يد هاريس" Harris " في بداية النصف الثاني من هذا القرن ،وتطورت الدراسات النصانية في السّبعينيّات على يد "فاندايك" vandijk "الذي يعد مؤسسَ علم النص، أو نحو النص[4] حتى أرسى نحو

[1]– زتسبسلاف وأورينياك : مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص ، ترجمة: د.سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 1424 هـ –،2003 م ، ص: 36–37..

[2]– المرجع نفسه ، ص: 60.

[3]– ينظر : سعيد حسن البحيري ،علم اللغة النص المفاهيم و الاتجاهات ،الشركة المصرية العالمية للنشر، مكتبة لبنان ، ناشرون ، ط1 ، 1998 ، ص :156.

[4]– ينظر: أحمد عفيفي ، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ، ص :33 .

النص الذي تولد من رحم علم النص، أو نظرية النص علم مستقل على يد الأمريكي " روبرت دي بوجراند "Roberte baugrande" في الثمانينيّات [1].

مصطلح نحو النص يعني وصفَ الأبنية النصية ودراستها ،وتحليل المظاهر المتنوعة لأشكال التواصل النّصي. يرى"فان دايك" أنّ علم لغة النص وظيفته الأولى دراسة نحو النص "[2] ضمن منهجه القائم على معايير بناء النص، ناهيك على أنّه علم يعني بتقديم تفسير أرحب، ورؤية أكثر إقناعا ممّا كانت عليه دراسات (نحو الجملة) إذ يعني بما هو أكثر عمومية وشمولية فيما يرتبط بالأشكال التي ينتجها النص وإذا كانت التتابعات الجميلة (الجمل التي تحقق فيها معنى صادقا (اتصالا)، فإنّ نصف الفهم (الاتصال، الآخر يتحقق من خلال إمكان التحول إلى فهم النص كوحدة ومن يعطي تفسيرا كليا ،وأرحب ،وفهما أعمقا [3]، نستنتج من المقولة أنّ نحو النص يختلف عن نحو الجملة من حيث النظرة الشمولية الكلية التّي تعمل وفق نظام اتصالي ،وتبحث في مستوى العلاقات داخل جمل النص، ومستوى العلاقات بين الجمل ومستوى العلاقات بين الجمل ،ومستوى العلاقات بين الفقرات.
تبرز قيمة نحو النص بعزل "مهمة نحو الجملة" القاصرة عن تزويدنا بدلالات /تصورات احتمالية للبنة الكبرى للنّص"[4]. وفي هذه المسألة تضارب آراء: فمنهم من يرى "أنّ نظريات النّص أو التحول عن المسار التقليدي التّي كانت تتعامل مع

[1]– ينظر : أحمد محمد عبد الراضي، نحو النص بين الأصالة و الحداثة ، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة) ط1 ، 1429 هـ –2008 ، ص :37.

[2]– سعيد البحيري ، علم لغة النص المفاهيم و الاتجاهات ، ص :222.

[3]– ينظر : سعيد حسين البحيري ، علم لغة النص نحو أفاق جديد ، مكتبة زهراء الشرق ،القاهرة ،ط1، 2008ص :126.

[4]– ينظر: أشرف عبد البديع عبد الكريم ،الدرس النحوي النص في كتب إعجاز القرآن الكريم ، كلية دار العلوم ، القاهرة ، ط1 ،2008 ،ص: 83.

أجزاء لغوية هي في الحقيقة لم تستقل عنها كلية بل ضمّنت مكوناتها (الأساسية الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، والأسلوبية) وفي نفس الوقت تطلعت إلى ما وراء الجملة فتمخض عنها رؤية جديدة، بإدخال عناصر كانت معزولة" [1]. لذلك حتى يتبين لنا نحو النص علينا أن نقارن بينه ،وبين نحو الجملة في بضعة عناصر تحدد أهم ملامح نحو الجملة، وكذا نحو النّص.

1- إنّ "الجملة ذات دلالة جزئية لا يمكن أن تقرر بتحديد الدلالة الحقيقية لكل جملة، داخل مايسمى بكلية النص إلاّ بمراعاة الدلالات السابقة ،والأحقية في ذلك التسلسل/ التتابع الجملي، بينما النص ينظر إليه مهما صغر حجمه على أنّه وحدة كلية مترابطة الأجزاء"[2]، وهنا ليس الحجم الطولي هو الفيصل إنّما الأبنية الكبرى المتلاحمة داخليا التّي يقدمها النّص، فهو يتحدد بالتلاحم ،والتسلسل ،والارتباط .

ا- تنتمي الجملة إلى نظام افتراضي (النحو) في حين يعدّ النّص نظاما واقعيا، تكوّن من خلال الانتخابات من بين مختلف خيارات الأنظمة الافتراضية [3]، أي أنّ الجملة يتحكم فيها نظام معياري، وهو النحو أمّا النّص فتتداخل في تكوينه علوم أخرى.

ب- تكون الجملة قواعد أولا تكون البتّة، أما النّص فلا تنطبق عليه معايير النصية بمثل هذه الحدة [4]. النّص لا يخضع لسلطة المعايير النّصية فيكفي الترابط الشكلي، والدلالي أما الجملة فلا خيارات لها ،وهي ملزمة بالقواعد النحوية التّي تكسبها الصحة النحوية ،والاحتراز من الخطأ.

---

[1]– سعيد حسين البحيري ، علم لغة النص المفاهيم ، و الاتجاهات ، ص: 76 .

[2]– ، المرجع نفسه ،ص: 139.

[3]– المرجع نفسه ، ص: 19 .

[4]– د. إلهام أبو غزالة وآخرون : مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات نظرية روبرت وولفجانج دريسلر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999 ، ص :15.

ج- تتحدد الجملة بمعيار أحادي (علم القواعد) من نظام معرفي وحيد علم اللغة في حين تتحدد نصية النّص بمعيار عدة من مختلف الأنظمة المعرفية [1].

د- يُعد النّص حدثا يوجهه المرسل إلى المستقبل لإنشاء علاقات متنوعة وتوصيل مضامين يعينها المنتج ،ولا تقتصر على العلاقات القواعدية، في حين لا تعني الجملة إلاّ بالعلاقات القواعد ية [2]، والفرق هو وجود مرسل ،ومستقبل وتواصل.

ه- ينبغي للنّص أن يتصل بموقف تتفاعل فيه مجموعة من المرتكزات والتوقعات والمعارف، وهي تسمى بسياق الموقف، أمّا تركيب النصّ الدّاخليّ فهو سياق البنية، بينما التخطيط للجمل، لابّد أن يرد دون تكلّف إمّا لكونها أطول أو أعقد أو أكثر توابع، فالقواعد التجريدية لتكوين الجملة لا يمكن التقنين لطوله أو عدد مكملاتها بحيث يتوقف بعده تتابع العناصر لتصبح الجملة جملة [3]، وهنا الميزة الفارقة التّي أسست لعلم النص، والحاجة إلى نحو النص هو أنّ الجمل غير قادرة على استيعاب القدرة التواصلية لأنّها مبتورة عن سياق الموقف.

بعد أن وضّحنا الفروق بين نحو الجملة ،ونحو النص، ولو بعض المحاولات للتمييز بينهما، يرى" فانديك vandijk " أنّ نحو الجملة يشكل جزءًا (كمّا) غير قليل من نحو النص"[4]، وتعد "أهم مهمة لنحو النص هي صياغة قواعد تمكنّنا من حصر كل النصوص في لغة ما بوضوح ومن تزويدنا بوصف للأبنية" [5]. يجب أن يّعد مثل ذلك" النّحو النّصي إعادة بناء شكلية للكفاءة اللّغوية الخاصة بمستخدم اللّغة

[1]– المرجع السابق ، ص: 10 .

[2]– روبرت دي بوجراند ، النص و الخطاب و الإجراء ، ص: 89 .

[3]– المرجع نفسه ، ص :91.

[4]– سعيد حسين البحيري ، علم لغة النص و المفاهيم و الاتجاهات ،ص :135.

[5]– المرجع نفسه ، ص: 136.

في إنتاج عدد لانهائي من النصوص "[1]. وهنا إعادة لدور الكفاءة لأنّ كل فرد ينشأ في بيئة معينة ،ويتحدث بلغة بيئته ،ومنه تكون عملية الإبداع في إنتاج النصوص، انطلاقا من المكاسب الاجتماعية التّي تلقفها أثناء تعلمه، يمكن أن يوظّفها في نصوص ،ومواقف تواصلية، وفي وصف ظواهر اللغة، لذلك "فإنّ وصف الكلام من خلال الجمل إجراء غير مضمون، ولابدّ أن يكون موضوع الدراسة وحدة لغوية أشمل "[2]،

" فنحو النص يدرس النّص لاستخلاص القواعد منه لا من خارجه ولهذا فقضيته الكبرى هي تحديد القواعد الكبرى التّي تعترف للنص بنصيته"[3]، فهو نمط من التحليل ذو آليات بحثية مركبة تمتد قدرتها التشخيصية إلى مستوى ما وراء الجملة، إضافة إلى امتدادها لعلاقة المكونات التركيبية داخل الجملة أي أنّه يستمده منه، ثم تنتقل خارج أسوار الجملة لتجسيد العلاقات بين الجمل، ثم الفقرة ثم النص أو الخطاب.

إذن "فنحو النّص هو اتجاه غربي لغوي يعني بوصف البنية الكلية للنّص وتحليلها، وبيان علاقتها من دون الاقتصار على دراسة الجملة، كما هو مألوف في النحو العادي مع تركيز الاهتمام على توضيح أوجه الاطراد، وتتابع اللغوية والنّصية التّي تحقق تماسك النّص وتناسقه "[4]، فالحاجة إلى نحو النّص أصبحت ضرورة لتشكيل النّص، ووضع قواعد تحليلية تهدف إلى الكشف عن ترابطه واتساقه ،وانسجامه، وهو يحمل على عاتقه المعايير السبعة التّي تؤسس لنصية

[1]– عمر محمد أبوخرمة ، نحو النص ،نقد النظرية وبناء أخرى ،عالم الكتب الحديث،إربد .(الأردن) ، ط1 ، 1425هـ –2004 م ،ص: 29.

[2]– سعيد يقطين ،انفتاح النص الروائي النص و السياق ، ط2 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ،2001 ، ص :205 .

[3]– أحمد عفيفي ، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ، ص: 55.

[4]–سعيد حسن البحيري ، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ،ص :53.

النّص، وهو لا يستغني عن نحو الجملة في كثير من وسائله اللغوية ،ومجموع آليات الترابط التّي انتهت إليها سواء في الدرس القديم أو الحديث.

3- أسباب الخروج عن النحو الجملة والتأسيس لعلم النص

1- "إقصاء المعنى والمقام "[1]، وهذا ما نلمسه في دراسات " دي سوسير " حينما فرق بين اللّغة والكلام وبين لسانيات اللّغة ولسانيات الكلام [2] معتبرا أنّ اللغة هي موضوع الوحيد الذي يستحق الدراسة، و"معتبرا أن لسانيات الكلام أي ؛الجانب المستعمل ومن اللغة لسانيات درجة ثانية"[3]. وظلّ المعنى مستبعدا فترة طويلة من قِبَل اللسانيات البنيوية (البلومفيدية)، متجاهلين استعمال اللغة الفعليّ في إطار المجتمع، ولأنّ الضوابط التّي تحكم الاستعمالات والسياقات هي التّي تحدد معاني الكلمات.

هذا ما عرّض المدرسة لانتقادات تيارات ومذاهب أخرى نشأت كرد فعل معاكس بسبب استبعادهم السياقَ والمعنى والمقام والتواصل مما جعلهم يعيدون هذه الحيثيات من جديد إلى الدراسات اللسانية.

2- "ظهور هذه المذاهب النقدية الحديثة في أوروبا جعل اللسانيين يستفيدون منها في تحليلاتهم في الدرس الأدبي، ممّا جعل اللغويين يتمردون على الجملة، لأنّها أصبحت قاصرة في نظرهم عن التحليل الكلي أمام النص" [4]. إنّ التغييرات الحاصلة في المجال النقدي أدّى إلى ضرورة مواكبتها واستفادتها في الدراسات اللغوية.

---

[1]– محمد شاوش ،أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ، ص: 69 .

[2]–ينظر : شفيقة العلوي محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة أبحاث للترجمة و النشر (بيروت – لبنان) ط1 ، 2004 ، ص: 18 .

[3]– منذر العياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب ،مركز الإنماء الحضاري ، ط1 ، 2002 ، ص:21.

[4]– أحمد عفيفي ، نحو النص ، ص: 39.

3- "كثير من الظواهر التركيبية لم تفسر في إطار الجملة تفسيرا ملمّا "[1]، هذه الظواهر كانت تحتاج إلى وَحدة أكبر من الجملة ، لذلك استدعت الضرورة أن يكون نحو النص شاملا لهذه العناصر التّي عجز نحو الجملة عن استيعابه، فنحو النص يهتم في تحليلاته بقواعد أخرى مرتبط بعضُها ببعض لتتمكن من الاقتراب من مساحة هذه المعايير جديدة لتحليل بنية النص وتصور معايير التماسك لترابط الانسجام.

4- اعتبرت اللسانيات أنّ الجملة أكبر وحدة لغوية تخضع للتحليل، أما الوحدات التي تعلوها فلم تتلق عناية اللّسانيين، وهنا تتابع الجمل إلى ما يسمى بالنّص.

5- ارتباط تحليل الخطاب بنحو النص، "وجود مذاهب نقدية جديدة تركز على النص كبنية كلية، لا على الجمل باعتبارها بنى فرعية، حيث بقيت الحاجة ملّحة إلى نحو النص الذي يشتمل النص وسياقه وظروفه وفضاءاته ومعانيه المتعالقة مراعيا ظروف الملتقى وثقافته"[2]، يشير في ذلك "تمام حسان" إلى أنّ المناهج التراثية لم تكن تنظر إلى مجمل النّص بل كان الشرّاح يبنون شروحهم على المفردات فترى الواحد منم يعرض للفظ المفرد ثم يعوض في الدلالة المفردة لهذا اللّفظ دون مراعاة العلاقات العضوية إلى أجزاء النص وبالتّالي لم يكن هذا المنهج يحقق الفهم الكامل للدلالة ،والمقاصد [3]، إذن يمكن لملمةُ هذه الأسباب كلها في حاجة الدرس اللّساني إلى معين آخر غير نحو الجملة ؛تتم بواسطته البحث عن نصية النصوص، وتشكيل رابط التواصل بين الأفراد لفهم النصوص وتفسيرها.

---

[1]– سعيد حسن البحيري ، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ،ص :134.

[2]– أحمد عفيفي ، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ، ص: 38.

[3]– ينظر : مقدمة كتاب النص والخطاب و الإجراء ، ص: 4 .

المبحث الثاني :

4- لسانيات النص : مفاهيمها واتجاهاتها الأساسية

1- النشأة والتاريخ:

يعدّ علم لغة النّص أحدث فروع اللّغة، وهو بذلك لم يرتبط في نشأته وتطوره ببلد معين أو مدرسة معينة بل ترجع البدايات الأولى لهذا العلم إلى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين والأرجح أنّه نشأ في الستينيات، ومر بعدة ثورات بالرغم من تاريخه القصير، ويذكرها العلماء في ثلاث مراحل سنذكرها لاحقا [1]، ظهرت أصناف كثير من اللّسانيات النّصية في أوروبا أنطولوجيا (فانديك 1985) (جانديللو 1997)، فهي أهّلت النّص لكي يكون موضوعا للسانيات [2]. يرى " كرستين أدمتسيك " أن بيترهارتمان" "Peter Hartman" من المؤسسين الأوائل للسانيات النّص سنة 1968 حيث كان يدعو إلى دراسة النّص لسانيًا ،وتجاوز الجملة في التحليل[3]،فهي إذن فرع نسبي حديث كان الاهتمام الأول ضمن مجال الدراسات الفيلولوجية التّي اهتمت بدراسة الأصوات، والأشكال اللغوية، إضافة إلى دراسة نظام الوحدات اللّغوية في إطار الجملة بمختلف مستوياتها وفق نظام التعارضات الثنائية أي؛ تخضع بنائية النصوص لمجموعة من النظم تحلل إلى وحدات صغرى، و هنا لا يمكن أن نستبعد الإرهاصات التّي تطورت عبرها لسانيات النص وهي

---

[1]– ينظر: كريستن أومتسيك ، لسانيات النص عرض تأسيسي ، ترجمة :سعيد حسن البحيري ، مكتبة زهراء الشروق (القاهرة) ، ط1 ، 2009م ، ص: 16.

[2]– فرانسوا راستيلي ، فنون النص وعلومه ، تر: إدريس الخطاب دار توبقال للنشر ، (المغرب ، الدار البيضاء) ، ط1 ،2010 ، ص:31 .

[3]– ينظر : جميل حمداوي ، لسانيات النص وتحليل الخطاب بين النظرية و التطبيق ، ردمك ، (المغرب)، ط1 ، 2019 م ، ص: 61 .

مراحل شكّلت لبنات في تصورها الأخير التّي هي عليه، ثم أهم مرحلة هي مرحلة "زليغ هاريس" (Zellig Harris) الذي أدخل مفهوم التحويلات التّي تؤدي إلى معادلات نصانية ،وهي نفسها من أدخلها في تحليل الخطاب [1].

"ويستهدف علم النص ما هو أكثر عمومية وأكثر شمولية، فهو يتعلق من جهة بكل أشكال النّص الممكنة وبالسياقات المختلفة المرتبطة بها ويعني - من جهة أخرى -" مناهج نظرية ووصفية وتطبيقية " .[2] وهنا يرتبط النّص أكثر بالسياق.

تعددت مفاهيم لسانيات النص، فكلّ عرفها بأسلوبه ،والأغلب أنّ الاتفاق حول "تجاوز الدراسة اللغوية من مستوى الجملة إلى مستوى النص ،وباللغة والموقف الاجتماعي، مشكلةً اتجاها لسانيا جديدا على النحو يتخذ النّص كله وحدة للتحليل"[3]، وهذا هو المفهوم الذي يجمع تعريفا شاملا متكاملا للسانيات النّص.

وهذا الانتقال المعرفي المنهجي من الجملة إلى النص مردّه أنّ الحقول اللغوية الصغرى (الجملة) لم تعد كافية للوصف اللغوي، وكذلك عجزت عن تفسير ظواهر عديدة من أهممها ظاهرة الإحالة القبلية والإحالة البعدية [4].

فهي اتخذت هدفا رئيسيا ألا ،وهو الوصف وتحليل المظاهر المتنوعة لأشكال التواصل النصي.

في تحليل الخطاب نرتكز على دعامتين :

---

[1]– ينظر : يوسف نور عوض ، علم النص ونظرية الترجمة ، دار الثقة للنشر و التوزيع (مكة المكرمة) ، ط1 ، 1410 ، ص: 13–14.

[2]–تون أ، فا نديك ،علم النص ، مدخل متداخل الاختصاصات ترجمة : د.سعيد حسين بحيري ، ص :14

[3]– برندسبلنر، علم اللغة والدراسات الأدبية دراسة (الأسلوب ، البلاغة علم اللغة النص ، ترجمة محمود جاد الرب ، الدار الفنية للنشر والتوزيع (القاهرة)، ط1 ، 1991 ، ص :184

[4]–ينظر : بسمة عروس وآخرون ،مقالات في تحليل الخطاب تقديم حمادي صمود ، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ، ط1 ، 2008 ، ص :57.

1- العلاقات التوزيعية بين الجمل

2- الربط بين اللغة والموقف الاجتماعي[1].

بعد ذلك بدأت بعض الأنظار تتجه إلى المشكلتين اللّتين أشار إليهما "هاريس" وإلى ضرورة تجاوز الدراسة اللغوية من مستوى الجملة إلى مستوى النص، والربط بين اللغة ،والموقف الاجتماعي هو ما شّكل هذا الاتجاه الجديد الذي أخذت ملامحه ومناهجه وإجراءاته في التبلور [2]، وتعددت مصطلحاته بين لسانيات النص " texte linguistique" واللسانيات النصية " texetual linguistics "، أو نحو النص" texte grammare "، وعلم اللغة النّص وعلم النّص ؛كلّها تصب في ماهية واحدة النّص ووحدة التحليل[3] .

هو ما جسّده في ما بعد العالم الهولندي "فان ديك " "vandijk" الذي أرسى قواعد ،وملامح "نحو النص" في عمل متكامل منذ سنة 1972 حيث ظهر كتابه بعض (مظاهر أنحاء النص) (somme aspects of thé texte grammar) ثم مع كتاب آخر(النص و السياق) (Texte and contexte)،"فهي تولدت كرد فعل على المناهج السابقة ،وفي نفس الوقت انبثقت من رحم البنيوية الوصفية

[1]–جميل عبد الحميد ، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، ص: 68

[2]– ينظر: المرجع نفسه ، ص :68

[3]– ينظر: صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، ج1 ، ص :24 .

القادمة على نحو الجملة في أمريكا، قد قام "دل هيمر" "d.hymer"بدراسة ركّز فيها على الحدث الكلامي في موقف اجتماعي "[1].

أما البدايات الأولى لظهور لسانيات النّص فقد بدأت في أواخر الستينيات بمحاولتين لدراسة تراكيب ما فوق الجملة، إحداهما قام بها "هاريس" 1952، والأخرى قام بها "ميتشل" (mitchelle)1957 " فهاريس "(harris) قدّم منهجًا لتحليل الخط المترابط (conected) سواء في حالة النطق ،أو الكتابة[2] استخدم فيه إجراءات اللسانيات الوصفية بهدف اكتشاف بنية النص (structure of thé text)، ولهذا فقد رأى "هاريس أنّه لابّد من تجاوز مشكلتين وقعت فيهما الدراسات اللغوية الوصفية والسلوكية هما" [3]:

1- قصور الدراسة على الجملة والعلاقات بين أجزاء الجملة الواحدة

2- الفصل بين اللغة langage والموقف الاجتماعي social situation مما يعيق الفهم الصائب.

---

[1]– المرجع السابق : 24.

[2]–ينظر : جورج يول ، معرفة اللغة ، تر: محمود أفراح عبد الحافظ ، دار وفاء لدنيا الطباعة والنشر (الإسكندرية) ط1 1995 ، ص:143.

[3]–ينظر: جميل عبد الحميد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط1 ، 1998 ، ص: 67

إنّ ما قدّمه "فانديك" vandijk ذلك هو إضافة نوعية لهذا الاتجاه، فيؤكد على" تداخل علم النص بتخصصات أخرى، وإنّ تحليل بنية النصوص ،ووظائفها يتطلب منهجا متداخل التخصصات"[1].

ويرى أيضا أنّ "علم النّص مهمته وصف الجوانب المختلفة لأشكال الاستعمال اللغوي، وأشكال الاتصال ويوضّحها، كما تحلل في العلوم المختلفة في ترابطها الداخلي والخارجي" [2].

أما كتابه : (النص والسياق) فهو مساهمة في لسانيات الخطاب، يتعرض فيها "ديك" إلى موضوعات نظرية الخطاب ومفاهيم مثل الترابط والاتساق والعلاقات بين السيمانطيقا و تداولية الخطاب [3].

كما أنّه لا يمكن إنكار انجاز الباحثة الأمريكية (i.nye) في أطروحة للدكتوراه عام 1912[4].

ولا يمكننا أن ننكر جهود "دي بوجراند"R.de bougrande"" في مجال علم النص ،والمعايير النّصية التّي أضافها للبحوث النصانية ،ومنه نذكر كتابه (النص والخطاب والإجراء) ترجمة الدكتور تمام حسان الذي أصدره عام 1980، والملاحظ أنّه اهتم بالترابط الوصفي ،والمفهومي" وكذا الكفاءة الإعلامية والنصية[5]، "والغرض منه إنشاء علم النص متعدد الأوجه يبدأ من الرصف إلى طريقة التوصل

---

[1]–فان دايك ، علم النص مدخل متداخل التخصصات ، ص: 15 .

[2]–المرجع نفسه ، ص :15 .

[3]– فان دايك ، النص و السياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، ترجمة :عبد القادر قنيني ، منشورات إفريقيا الشرق ،المغرب، ط1،2000، ص: 14 .

[4]– سعيد حسين البحيري ، علم لغة النص المفاهيم و اتجاهات ، ص :18.

[5]–ينظر : دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان ، ص : 128،171،249،299.

إلى الإعلامية فبناء النموذج لغاية تطبيق نتائج الدراسة على المحادثة ،والقصص وصور الإنتاج النصي الأخرى، ثم الانتفاع بهذا العلم في القراءة و الكتابة وتعليم اللغات الأجنبية "[1].

كما أنّ "دي.بوجراند" نوّه إلى أنّ الصفة المميزة للنّص هي استعماله في الاتصال و أنّ الخطاب مجموعة من النصوص ذات علاقات مشتركة أي أنّه تتابع مترابط من صور الاستعمال النصي، يمكن الرجوع إليه في وقت لاحق هذا ما يعني أنّه يعتبر النص وحدة كلامية مخصصة لأغراض الاتصال من خلال التفاعل بين المستويات المختلفة في البيئتين الداخلية والخارجية للنص[2].

ويعد "كلاوس برينكر" هو الآخر علم من أعلام البحث في علم النص، فقد أسهم منذ السبعينيات، وهي نفسها الفترة التّي وضعت فيها أسس هذا العلم الجديد، واكتملت ملامحه ونضجت تصوراته، ومن أهم إنتاجاته :

التحليل اللغوي للنص[3] الذي صدر سنة 1985 ضمن فيه مفاهيم هذا العلم ومستوياته الثلاثة المستوى النحوي والدلالي و(البرجماتي) للوصول إلى كفاءة تفسيرية متميزة ودقيقة في وصف أنواع النصوص وتحليلها.

لا يمكن حصر تاريخ المساهمات في علم النص لأن التتابعات الإنتاجية جاءت متناثرة بين المدرسة الألمانية والبريطانية والفرنسية، "فهاليدي " M.A.K" . Halliday 1973" الذي قدّم أعظم عمل في تحليل الخطاب البريطاني وغيّر مفاهيم كثيرة في المدرسة اللّغوية، فكتابه (الاتساق في اللغة الانجليزية) "من تأليف

[1]– المرجع السابق ، ص :6 .

[2]– ينظر: يوسف نور عوض ، علم النص ونظرية الترجمة ، ص: 11 .

[3]– ينظر: إلى كتابه التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية و المناهج . تأليف كلاوس برينكر، ترجمة: د. سعيد حسن البحيري، وهي ترجمة عربية عن الأصل الألماني لكتاب linguistische textanalyse « enie einfuhrung gumdbegriffe and methoden »

"هاليدي" (cohésion un English) الصادر بلندن عن دار لونكمان سنة 1976، وهو يتألف من مدخل وسبعة فصول[1]، خصص المدخل لتحديد بعض مفاهيم مثل النص والنصية والاتساق وخصصت ستة فصول لبحث مظاهر الاتساق التالية:

الإحالة، والاستبدال، والحذف، والوصل، والاتساق المعجمي، ومعنى الاتساق، أما الفصل السابع فقد قام فيه بتحليل نصوص متنوعة تطبيقا لما صيغ في الفصول النظرية [2].

فعلم اللغة النصي " هو فرع من فروع اللغة يدرس النصوص المنطوقة والمكتوبة، وهذه الدراسة تؤكد الطريقة التي تنتظم بها أجزاء النص، وترتبط فيما بينها لتخبر عن الكل المفيد"[3].

فحسب هذا التعريف يتناول محددات مضبوطة أولها: أن لا تستثني نوعية النصوص، بل تهتم بطرق ربط أجزاء النص، والأدوات التي تعمل على ذلك حتى يتشكل لدنا نصا كاملا مفيدا، و"الفقي" يعتبر أنّ علم اللغة النصي هو فرع من اللسانيات باعتبارها دراسة اللغة العلمية، وهي تجعل من النّص محور دراستها الوحيدة وكيف يتشكل لينتج لنا كلاً معرفيا تواصليًا.

و هو ما قصدته <nils> بأنّ علم لغة النّص يعني في العادة دراسة الأدوات اللغوية للتماسك النّصي الشكلي، والدلالي مع وجوب تأكيد أهمية السياق وضرورة وجود خلفية لدى الملتقى حين تحليل النّص.

---

[1]– ينظر: محمد الخطابي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص :13 .

[2]– محمد خطابي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 13 .

[3]– صبحي إبراهيم الفقي ،علم النص النظرية والتطبيق ،دراسة تطبيقية على السور المكية ، الجزء الأول دار قباء و النشر و التوزيع (القاهرة) ، مصر ، ط1 ، 2000 ، ص :34 نقلا عن :

Jake Richards et al , Longman dictionary of applied linguistics , p 292.

أمّا اللسانيات النصية وتاريخها عند الباحثين العرب فقد بدأت منذ أواخر الثلاثينيات هذا القرن حيث دعا الأستاذ "أمين الخولي" إلى مجاوزة البحث البلاغي، المستوى الذي وقف عنده مستوى الجملة إلى مستوى وراء الجملة في الفقرة والنص، وهي الدعوة التّي غيرت مسار التفكير البلاغي العربي المعياري، ثم إنّه صادف ظهور الاتجاه اللساني المعاصر عند الغربيين[1]،"... فإنّنا اليوم نمد البحث بعد الجملة إلى الفقرة الأدبية ثم إلى القطعة الكاملة من الشعر أو النثر ننظر إليها نظرتنا إلى كلّ متماسك وهيكل متواصل الأجزاء نقدر تناسقه وجمال أجزائه وحسن ائتلافه "[2].

فكتاب لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب لمحمد خطابي[3]، وهو إضافة للمكتبة العربية ،ولعلم النّص من ناحية التنظير العربي يبحث فيه عن انسجام النّص القرآني بمقاربه لسانية نصية، وأهم ما جاء عند العرب القدامى من آليات تماسك النّص القرآني معتمدا على كتاب الاتساق "هاليدي" و"رقيه حسن" وأهم كتب التفسير كما أنّه أعاد دراسة التناسب، ومقاربته بما جاء في معايير النّصية بعدما كان مختصرا على خاصية الإعجاز اللغوي القرآني في كتب القدامى[4].

فيما يظهر لنا (نسيج النّص ؛بحث في ما يكون به ما الملفوظ نصا) تندرج محاولة الأستاذ "الأزهر الزّناد" في بحث "نحو النصوص" ،والبحث في خصائص النصوص ،والتركيز على الروابط التّي تحدد الصّلة بين عناصرها المكونة في

[1]– ينظر: جميل عبد الحميد ، بلاغة النص ؛ مدخل نظري ودراسة تطبيقية ، دار غريب ، القاهرة ، 1999، ص: 6.

[2]– المرجع نفسه ، ص :05 .

[3]– ينظر: جميل حمداوي ، لسانيات النص وتحليل الخطاب بين النظرية والتطبيق ، ص :197 .

[4]– ينظر : محمد الخطابي ، لسانيات النص ، ص :6

درس الروابط اللّفظية والمعنوية والروابط الزمنية و الإحالية فنسّق بين التنظير والتطبيق[1].

أمّا كتاب (علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات) لسعيد حسن بحيري إضافة علمية تشكل فارقا جوهريا في صلب البحث النصي بما في ذلك التركيز على التداخل المعرفي لعلم لغة النص ببقية العلوم والمعارف[2]، ومفاهيم النص وبنيته النحوية والدلالية والبنية الصغرى والكبرى وعلاقتها بالأساس التي تشكل نصيات نص ما، وكذلك نحو النص، وأيضا بحث في الاتجاهات المختلفة للتحليل النّصي التّي تكشف عن التماسك الكلي للنّص كما عزّز مفاهيم تداولية النّص التّي جاء بها "فان ديك" [3]، فهذه المساهمات أثرت الدرس اللساني العربي النّصي فاستفادوا المدارس الألمانية والغربية ،وحاولوا أن يقيموا مقارنة بما ورد لديهم في الموروث العربي نحوا وبلاغة وتفسيرا في المقابل استفادوا معمارية الدرس النصي وآلياته وقاربوا ذلك بما جاء في مخزونهم الثقافي والأدبي وغيره من العلوم التّي تعدّ باكورة لمساهمات أخرى.

أمّا أهم من جسّد دعوة "أمين الخولي"[4]، هو"جميل عبد المجيد" في دراسته البديع بين البلاغة العربية، واللسانيات النّصية سنه 1998 ،وهي إعادة النّظر في البديع من منظور لسانيات النّص الذي لا يقتصر على وظيفة التحسين فقط بل أضاف له فاعلية ربط أجزاء النص، وهي دعوة لإحياء البلاغة العربية ،وإعادة دراستها وفق

[1]– ينظر : الأزهر الزناد ، نسيج النص ؛ بحث فيما يكون به الملفوظ نصا المركز الثقافي العربي ، بيروت، الدار البيضاء ، ط1 ، 1993 م ص: 5–6.

[2]– ينظر : سعيد حسن البحيري علم اللغة النص المفاهيم والاتجاهات ،الشركة المصرية العالمية لونجمان ،(مصر) ، ط1 ، 1998 ، ص :6

[3]– ينظر : المرجع نفسه ، ص :218 .

[4]–ينظر :سامي منير عامر، مدخل أمين خولي إلى الدراسات الجمالية البلاغية ملامحه أثاره ، منشأة المعارف (الإسكندرية) ، (د.ط،د.ت) ، ص :09 .

العلوم الإنسانية الحديثة ،والآفاق المنجزة عنه، فلسانيات النّص هي امتداد للبلاغة القديمة ،وتجديد لها في نفس الوقت، وهو ما تنبّه إليه معظم رواد هذا الحقل، وراحوا يعيدون غربلة هذا الإرث الذي كان جافا معياريا في إطار نظريات التواصل ،و تحيين أهم فروعه لتقارع بذلك ميدان الدرس النّصي.

لسانيات النّص حسب "سعد مصلوح" تتمثل في" نحو النّص الذي يراه نمطا تحليليا بوسائل البحث المركبة تمتد إلى مستوى ما وراء الجملة بالإضافة إلى المكونات التركيبية للجملة، ويشمل علاقات ما وراء الجملة ،وعلاقات ما بين الجمل ثم الفقرة ثم النّص، بتمامه أو الخطاب برمته"[1] ،وهي رؤية متكاملة للنّص التحليلي والعلاقات التّي تربط بين الجمل، وتكوّن النّص ،وتجعله متماسكا الذي يمتد أيضا للخطاب، وهو بذلك يرسي دعامته نحو النّصية العربية باعتماده على جملة المقولات اللسانية العربية أي؛ بالاعتماد على النحو المقامي الذي تمثله البلاغة العربية [2].

2-وظيفة لسانيات النص و أهميتها

نظرا لقصور نحو الجملة الذي لم يعد كافيا في تفسير، ووصف وتحليل الظواهر اللغوية فقدّم الرافضون لنحو الجملة الحجج ،والأسباب التّي حملتهم إلى الدعوة، والخروج من بوثقة التحليل على مستوى الجملة إلى مستوى أكبر، "فالبشر عندما يتواصلون لغويا لا يمارسون ذلك في جمل منفردة منعزلة بل في تتابعات مجاوزة للجملة مترابطة (متماسكة)، ولا تدرك النفوس بذلك أساسا بوصفها أفعالاً

[1]– خوله طالب إبراهيمي ،مبادئ في اللسانيات ، ص :167.

[2]– ينظر نعمان بوقرة ، لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس و الإجراء ، دار الكتب العلمية ، (بيروت لبنان)،ط1 ، 2012 ، ص: 34 .

تواصلية فردية بل بوصفها نتائج التفاعلات المتجاوزة للأفراد ممّا يعني أنّ كل تحليل لغوي يجب أن ينطلق من النّص لكونه مجال الدرس"[1].

في حين انبرى علماء الألمان منذ الستينيات إلى اعتبار أنّ "لسانيات الجملة عجزت عن تفسير ظاهرتي الإحالة القبلية، والإحالة البعدية ana phore et cataphor"[2].

بحيث لا يمكن تحديدها بمنأى عن اتحاد العلوم النحوية ،والدلالية ،والتواصلية وهو ما يدعي بالإطار الأوسع من إطار الجملة لنتمكن من تحديد وظيفته ،أو الغاية من هذا العلم الجديد الذي يهدف إلى صياغة القواعد الممكنة من تحديد كل النصوص النحوية ،وتزويد المتلقي بوصف شامل للأبنية هذا على مستوى الوصف النصي[3]، ثم بعد ذلك يترتب عنه إحصاء الأدوات ،والروابط التّي تجسدهم في التحليل لتنتقل إلى المستوى التحليلي ألا ،وهو الكشف عن أبنية النّصوص السطحية العميقة من خلال البحث في علاقات الاتساق ،والترابط ،والتناغم وفق رابطة القارئ ،والنّص والمنتج ضمن ثلاثيه (النّص السياق ،والتداول)[4].

يحصر صبحي "إبراهيم الفقهي" وظيفة علم اللغة النصي في شيئين أساسيين:

1- الوصف النصي t.Description

---

[1]– زتسبسلاف وأوزيناك : مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص ، ترجمة د.سعيد بحيري مؤسسة المختار ، للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 1434 هـ ، 2002 م ، ص: 36.

[2]– ينظر: هشام القلفاط وآخرون، مقالات في تحليل الخطاب، تقديم: حمادي صمود ، كلية الآدا والفنون ، جامعة منوبة ، 2008 ، ص: 57 .

[3]– ينظر: نعمان بوقرة ، لسانيات الخطاب مباحث في التّأسيس والإجراء، ص: 34 .

[4]– ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1 ، ص :55 .

2- التحليل النصي t.analysis

و يرجع بداية بالوصف بأن يوضح مكونات النّص ابتداءً من الجملة الأولى ثم بيان الموضوعات التّي تناولها النّص لغاية بيان الروابط الموجودة في النّص بعد هذه المرحلة تأتي عملية التحليل النصي.

قبل تبيان عملية التحليل النّصي ، يجدر بنا أن نتّبع العناصر التّالية:

1- أهمية الجملة الأولى.

2- الإحالة.

3- التماسك.

4- التواصل بين المتحدث ،والمتلقي ،والسياق.

هذه خطوات ذات أهمية كبيرة في رسم الخطوط الأولى التّي نتبعها في التحليل النّصي، يبدأ بالروابط اللغوية، وينتهي إلى إشراك المتلقي في العملية، فهو يبدأ بالجملة الأولى لأنّها المفتاح للولوج إلى بقية المتتاليات، ثم إنّه يظهر أهمية الإحالة باعتبارها أحد المكونات النّصية التّي تسهم في ربط النّص.

"فعملية التحليل تبدأ من تحديد ملامح الأبنية الكبرى للنصوص التّي تعد عبارة عن تتابعات جملية مترابطة تشكل بوجه عام نصا لها بنية كبرى تحددها" [1].

ويتميز التحليل النّصي عن تحليل الجملة إذ إنّه يبدأ بالتحليل النحوي واجتزاء الجمل، وعزلها تقريبا عن سياقها في النّص أو الخطاب ،وما على النحوي إلاّ الكشف عن هذه النماذج ،وضبط قوانينها التّي تتحكم في تركيبتها أمّا النّص فهو

[1]– صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق ، ج1،ص: 58 .

مجموعة من الجمل تكون متسلسلة[1]، يظهر الفرق جليا بين تحليل النص ،والجملة وطريقة اشتغال كليهما، فخاصية الاجتزاء والعزل تكون بين دلالات الكلمات والعلاقة النحوية بينها لكن لا تتضمن السياق، فتكون مهمة النحوي متابعة القوانين التّي تنتظم من خلالهما.

فنجد" فاينريش" يقدم لنا نهجا استكشافيا يبحث فيه عن نقطة البداية في التحليل ابتداءً بالوحدة الكبرى في النّص لغاية الوحدة الصغرى ويرى منهج التجزئة منهجا بديلا[2].

فهو يقدم لنا منهج تجزئة النّص الذي يحلّل وفق أقسام الكلام من جهة التّي يطلق عليها المقولات (الأجناس النحوية) وفق عناصر الجملة من جهة أخرى مثال عن ذلك النّص : إنّ قضية التعليم لم تعد مقصورة على المتخصصين

1- أقسام الكلام: حرف توكيد ونصب + اسم مفرد منصوب + الجملة الفعلية في محل الرفع.

2- عناصر الجملة: رابط استدراك + موضوع + محمول[3].

إذن فهو لا ينظر إلى الجملة باعتبارها جزءًا مستقلا مفيدا يمكن عزله عن بقية الأجزاء الأخرى المكونة لكلية النّص هي جزء مكمل له وفي إطار ذلك فهو لا يرفض مستوى الجملة بل يعتبرها نقطة البداية في التحليل[4]، وهنا نستنتج أنّ أهمية الجملة في تكوين بنية النص وتحديد كليته لا يمكن التغافل عنها فهي تمثل الوحدة الصغرى.

---

[1]– ينظر: تون أ. فانديك ، علم النص مدخل متداخل التخصصات، ترجمة: د سعيد حسن البحيري ،كلية الألسن جامعة عين الشمس، ط 1، 1421 ، 2001 ، ص: 78 .

[2]– ينظر : سعيد حسن البحيري علم اللغة النص المفاهيم و الاتجاهات، ص: 205.

[3]– ينظر : المرجع نفسه ، ص :206.

[4]– ينظر: المرجع نفسه ، ص :207 .

فقد اعتبر أنّ النّص هو تلك الوحدة التّي ينجز بواسطتها النشاط اللغوي بوصفه نشاط اجتماعيا وتواصليا، فهي وحده تواصلية تحدث في إطار شروط تواصلية، تتابعات صوتية، ومعان تنتج عنها جمل ذات بنية دلالية نحوية منجزة في سياق تواصلي[1]، فبنية النّص هي لغوية منطوقة في المقام الأول، غير أنّها مرتبطة في استمرارها بأركان التواصل الجانب الأساسي للتحليل اللّغوي للنص هو تحقيق الوظيفة التواصلية[2]، وتحقق المغزى من عملية التتابع وإذا فقدت أحد عناصرها انهارت بنيته وتناثرت أجزاؤه غير أنّها تحتفظ بدلالتها المحددة[3].

علاوة على هذا الرأي في عملية التحليل النصي لا يمكن تجاهل مساهمات الكثير من علماء النّص فكل باحث له آلياته، وهو طريقته الخاصة لذلك فإنّ " فان ديك"[4] له رؤية مغايرة تبدأ ببيان أوجه عدم كفاية نحو الجملة لوصف ظواهر تتجاوز حدود الجملة أي النص .

إنّ عملية التحليل النّصي، تستلزم إدخال عناصر دلالية وتداولية، فهو يرى أنّ النّص وحدة أساسية لا يمكن التخلي عن مفهومها، وأطلق على الإطار الخاص بها - نحو النص - نحو الخطاب ، أو آجرومية النص.

إنّ نموذج " فان ديك " للتحليل تعتمد على تحديد خاصيتي البنية الكبرى والبنية الصغرى وحدّد مفهوم النحو الذي يبني عليه نظريته، "فهو ليس مجموعة قواعد صارمة تطبق على النص إنما القوانين تستخلص من النص نفسه، ولا

---

[1]– ينظر: سعيد حسن البحيري ، نقله إلى العربية وعلق عليه ، إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة ،مؤسسة المختار ، ط1 ، 2008 ، ص :25 .

[2]– ينظر: كلاوس برينكر ، التحليل اللغوي للنص تر: يعيد حسن البحيري ، ص :191 .

[3]– ينظر: سعيد حسن البحيري ،علم اللغة النص المفاهيم و الاتجاهات، مرجع سابق ص: 205.

[4]– ينظر: نعمان بوقرة ، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية ، جدار للكتاب العالمي ، (الأردن)،ط1 ،1429 هـ– 2009 ، ص: 42 .

تخضعه لسلطتها بل تهدف إلى تحديد المعنى الكلي للنّص أي؛ الكلية للنص مجموع المعاني الجزئية للجمل" [1].

وقد اتّبع النموذج التحويلي التوليدي في التحليل لمعالجة الأشكال النحوية (معايير الحذف) [2] الإضافة، والاستبدال، والإحلال ، إضافة إلى المجاورة والازدواج.

يرى "فان دايك" أنّ أيّ عملية لتحليل النّص أو فهمه، وتفسيره لا تسبقها ثنائيتا التواصل - السياق، لم ينجر عنه الفهم السليم، بل تحدث الغرض الأساسي من عملية التحليل أي إنتاجا ،وهو حد ذاته نصا لذات محللة[3].

3-النصية و معاييرها

- لا يمكننا أن نتغاضى عن دور النّصية في مجال لسانيات النّص، وأهميتها تكمن في أنّها المحدد الأساسي الذي يعيننا على التمييز بين النّص واللّانص، أو النّص اللغوي عن بقية الأشكال الأخرى حدّد "دي بوغراند" (R.De Bougrande) النصية وفقا لسبعة معايير، وهي كالآتي:

1)-السبك Cohesion: وهو يعني بالإجراءات المستعملة في توفير الترابط بين عناصر النّص كبناء العبارات ،و الجمل ،واستعمال الضمائر وغيرها من الأشكال البديلة [4].

---

[1]–ينظر: سعيد حسن ، البحيري علم لغة النص المفاهيم و الاتجاهات ،ص: 229.

[2]– اعتبرها " فان ديك " القاعدة الكبرى فكل معلومة غيره مهمة غير جوهرية يمكن أن تحذف خاصة وظيفتها بالنسبة إلى النص، ينظر فان ديك، علم النص مدخل متعدد التخصصات، ترجمة سعيد البحري ص :85.

[3]– ينظر: منذ عياشي ، العلاماتية وعلم النص، المركز الثقافي العربي (الدار البيضاء –المغرب)، ط1 ، 2004 ، ص :141.

[4]– روبرت دي بوغراند ، وآخرون مدخل إلى علم لغة النص ، مطبعة دار الكتاب (نابلس)، ط 1 ،1993م، ص: 11.

هذه الترتيبات الإجرائية الّتي تعمل على إخراج العناصر السطحية بحيث تحقق الترابط الرّصفي الذي يتخذ من وسائل النظام ،والترابط ،والإحالة المشتركة والحذف والرّوابط موضوعا له[1]. يمكن أن يكون الترابط اللّفظي بديلا ،و مكملا يسميه " دي بوجراند " السبك، ويخلق نصية النّص، والاستمرارية ،والاطراد و الإفادة ، والفهم[2] وهنا تحدد الباحثة أهمية السبك ،ودوره الشامل الذي لا يقتصر فقط على الترابط كما أنّه يشتمل على الترابط المعجمي، الترابط النحوي ،ويضمّ الربط النحوي التوابع الاستبدال ،والحذف، والإحالة ،والترابط الصوتي بضمّ السجع الجناس، والوزن، والقافية.

2-الحبك (Coherence): يمكن أن تنتجه من مجموعة إجراءات للوصول إلى الترابط المفهومي، خصّص " دي بوجراند "وسائل الالتحام كالتالي:

أ- العناصر المنطقية :كالسببية والعموم والخصوص.

ب- معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف.

ج- السعي إلى التماسك فيما يصل بالتجربة الإنسانية [3].

هذا ما حدّده" دي بوغراند" حول الانسجام (الالتحام)، فهو " يختص بالاستمرارية المتحققة في عالم النص ونعني بها الاستمرارية المتحققة (الدلالية) التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات"[4] فلا بّد من وجود علاقات تربط بين المفاهيم حتى يكون النّص مفهوما منطقيا حينما يفسره أو يتلقاه المرسل إليه، ونستنتج أنّ الانسجام

---

[1]– روبرت دي بوجراند، النص و الخطاب و الإجراء، تر: تمام حسان ،ص :108.

[2]– ينظر: يسرى نوفل، المعايير النصية في السور القرآنية دراسة تطبيقية مقارنة، دار النابغة للنشر والتوزيع، ط1، 2014 ،1436هـ ،ص :33.

[3]– روبرت دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ،ص: 108.

[4]– سعد مصلوح، نحو آجرومية للنص الشعري في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية ، فهرسة مكتبة الكويت الوطنية (الكويت) ،ط1، 2003، ص :228 .

عنده مرتبط من الناحية الدلالية الكلية ،ويمكن أن يشمل تحقيق "الاتساق" أي الترابط الشكلي لغاية ما نحقق الترابط المفهومي ثم التأويل من القارئ.

فالانسجام يحدث حينما نبحث كيف تتألف العناصر المكونة للنصوص ليس على المستوى الشكلي الظاهري الذي تتحكم فيه القواعد النحوية، بل يتم على المستوى الباطني أو الترابط المفهومي[1]. العثور على الانسجام يتطلب مجموعة إجراءات ما تتنشط به عناصر المعرفة لإيجاد هذا الترابط الدلالي ،وقد استفاض "دي بوجراند" في تحديد هذه الإجراءات المتعلقة بالناحية الإدراكية التي تمكن من التقاط مكونات الاستمرارية الدلالية عبر المفاهيم، وتتبعها، والعلاقات "السببية، والتفسير، والتخصيص، والعموم، والارتباط الزمني، "حيث تتحدد عبرها مظهر الانسجام، فاستعمال المفاهيم والعلاقات عبر العمليات الاتصالية ،والإدراكية هو من يوصل إلى الترابط المفهومي" [2].

3- القصد: يتضمن ذلك أنّ النص ليس بنية عشوائية، وإنّما هو عمل مقصود، وله هدف أي ؛هو عمل مخطط يهدف به تحقيق غاية بعينها، و يحدث أنّ منشئ النص لا يلزم بهذا العنصر، فذلك لا يعطي المجال لإخفاق النّص بصورة كاملة [3]، وهذا لا يسقط "أنّ منتج النّص يقصد من أية تشكيلة لغوية ينتجها أن تكون نصا متضاما متقاربا "[4]، وهنا يجب أن يتضمن إنتاج النّص وجود معياري الاتساق والانسجام ليتحقق بذلك القصد ،وهو الغاية من وجود هذا النّص.

[1]- ينظر :روبرت دي بوجراند ، مدخل إلى علم اللغة النصي ، ص: 152

[2]- ينظر: روبرت دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ص: 188

[3]– يوسف نور عرض ، علم النص و نظرية الترجمة ، ص :49 .

[4]– إلهام أبو غزالة وآخرون ، مدخل إلى علم لغة النص ، ص: 152.

4- الموقفانية: ويعني أن يكون النص موجها للتلاؤم مع موقف معين بغرض كشفه أو تغييره، وقد يحتمل الموقف طريقتين إما مباشرة يمكن إدراكها من البيئة أو غير مباشرة استخلاصها مع النص، مرسل و مستقبل [1]. وهنا يكون النص مرتبطا بموقف أو سياق ويحصل اتصال عبر تفاعل جراء تفاعل بين النص والسياق والمتلقي.

كما أنّه اصطلح عليها "دي بوغراند" ،" برعاية الموقف "، ارتباط النّص بموقف سائد يمكن استرجاعه، وقد يغير النّص الموقف[2].

5- التناص: ويعد أهم عنصر في نظرية أنواع النصوص وذلك أنّ النّصوص إنّما تكتب بحسب رأيه في إطار خبرة سابقة.

يعيد النّص توزيع اللّغة، فكل نص هو تناص والنّصوص الأخرى تتراءى فيه بمستويات متفاوتة ،وبأشكال ليست عصيّة على الفهم، إذ تتعرف نصوص الثقافة السالفة ،والحالية ،وكل نص ما هو إلّا نسيج جديد من استشهادات سابقة [3]، فهو أعاد لنا إمكانية البحث في النصوص الأخرى التّي لا يذكرها النّص بل نستخرجها انطلاقا من المخزون الثقافي الذي نملكه أثناء تلقينا للنّص الأول.

---

[1]– ينظر: يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة ، ص: 49 .

[2]– روبرت دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء، ص: 109 .

[3]– ينظر: محمد خير البقاعي ، دراسات في النص والتناصيه، دار المعارف (حمص)، ط1 ،1998، ص: 40.

6- الإخبارية: فهو يشكل عنصرا مهما جدا، فلابّد لكل نص أن يحمل في طياته قدرا هاما من المعلومات التي تهم المتلقي،" فكل نص يحمل مجموعة من المعلومات بأي شكل من الأشكال الإعلامية هو الذي يوجه اهتمام السّامع "[1].

7- المقبولية: ويقصد بها استجابة المتلقي وتفاعله مع النّص، والحكم على النص بمدى اتساقه وانسجامه فتصميم النص حسب "دي بوغراند"[2] مستقاة من الواقع، والأهم من ذلك وجوب مراعاة التأثير المناسب الذي يخلقه النص ويترك أثره لدى المتلقي، وهنا تتجلى المقبولية بدرجة التفاعل بين النص والمتلقي لهذا النص الذي له قرار على مستوى العملية التواصلية وهو إقرار بأهمية هذا القارئ أو الوسيط في العملية النصية، ويقصد دي بوغراند "بالواقع" هو ارتباط النّص بالمقام الثقافي والاجتماعي ذو صلة به، ومن منظور آخر تبرز أهمية المتلقي في الحكم على النص بأنّه منسجم، متسق.

المبحث الثالث:

1- لسانيات الخطاب، النشأة والتأسيس

يعد "زليغ هاريس" أول لساني تعامل مع الخطاب كموضوع شرعي للدرس اللّساني حيث قدم منهجا لتحليل الخطاب[3]، وهذا التصور الحديث أمد للسانيات النصية المفاتيح الأساسية، فهي نشأت من مجالات مختلفة ،وتعمل على تجاوز الحدود التي تفرض عليها أن تبقى لسانيات اللسان منحصرة في دراسة النسق،

---

[1]– بن يحي طاهر ناعوس ، تحليل الخطاب القرآني في ضوء لسانيات النص ، دراسة تطبيقية في سورة البقرة ، دار القدس ،وهران ،ط1،2014،ص:18

[2]– ينظر: يوسف نور عوض ،علم النص و نظرية الترجمة ،ص :50.

[3]– ينظر: محمد يونس عليّ ، تحليل الخطاب و تجاوز المعنى ، نحو بناء نظرية المسالك و الغايات ، دار كنوز المعرفة (عمان ، الأردن) ،ط 1 ، 1437 –2016، ص:5

بحيث تتجاوز حدود الجملة الّتي تعتبر المستوى الأخير للتحليل، فحاولت إدماج المقام الخطابي والتقليص من الانفلات المزدوج من اللغة إلى لسان الموضوع اللّذين تمّ إقصاؤهما من مبدأ المحايثة[1]، وكان "أحمد المتوكل" من أوائل الباحثين العرب الذين دعوا إلى اتخاذ موضوع الدرس "لسانيات الخطاب" منفصلا عن "لسانيات الجملة" حينما حدد موضوع الدرس اللساني، وأهم مفاهيمه الّتي حصرها في جملة – الخطاب – النص، ولأنّ الخطاب مستبعد من الدرس اللّساني باعتباره يندرج في حيّز الإنجاز أكثر من اندراجه في حيز القدرة[2]." بنفنيست" الباحث اللساني، عمل على إنجاز مشروع تطبيقي للمفاهيم اللسانية حيث نقلها إلى الحقل الأدبي ،والنقدي، مما جعلها تتسع وتتجاوز النظرة الضيّقة الّتي حصرتها فيها البنيوية، هذا ما ترتب عنه بزوغ لسانيات جديدة تستوعب القضايا الّتي خرجت عن نطاق البنيوية، إلى ما يسمى بلسانيات الخطاب، وقد اهتمت بالاتجاهات التّالية:

أ- الذاتية في اللغة.

ب- اللغة والتجربة الإنسانية.

ج- الجهاز الشكلي للتلفظ [3].

فاللغة هي وسيلة يستعملها كل متحدث ،أو متكلم يسعى للتواصل ،أو إنتاج خطاب معين، فتظهر ذاته ،وتتجسد عن طريق هذه الممارسة عبر مجموعة من الملفوظات تناسب شكل الخطاب للتعبير عن التجربة الإنسانية ،والمواقف المختلفة، ولذلك كانت من مهام لسانيات الخطاب أن تعيد أهمية "المتكلم" ضمن وعيه بذاته

[1]– ينظر: أحمد يوسف القراءة النسقية (السلطة البنية ووهم المحايثة) ، دار العربية للعوم ناشرون بالجزائر ، ط1 ،1428–2007 ،ص :73 .

[2]– ينظر: أحمد المتوكل ،الخطاب وخصائص اللغة العربية (دراسة الوظيفة والبنية والنمط – دار العربية للعلوم ناشرون (الرباط ، المغرب)، ط1، 2010، ص :28 .

[3]-ينظر : أحمد يوسف ، القراءة النسقية ، ص: 74.

أثناء استعماله اللغة ويكون ذلك باستعمال الضمائر في السياقات الممكنة، فاللغة هي تعبير عن المواقف الإنسانية في شكل ممارسات واعية تصدر من متكلم يستطيع توظيف ألفاظ وفق مقامها التناسبي.

1- ماهية الخطاب:

أ)- الخطاب لغة: ورد في لسان العرب: في مادة (خ- ط- ب) أنّ الخطاب والمخاطبة، مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما خطابان والمخاطبة مبالغة تفيد الاشتراك ،والمشاركة في فعل ذي شان، قال اللّيث: إنّ الخطبة مصدر الخطيب لا يجوز إلاّ على وجه واحد وهو أنّ الخطبة اسم الكلام الذي يتكلم به الخطيب، فيوضع موضع المصدر. التهذيب: قال بعض المفسرين في قوله تعالى: "وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ" قال : هو أن يحكم بالبّينة أو اليمين، وقيل: معناه أن يفصل بين الحق و الباطل و يميّز بين الحكم و ضدّه" [1].

إنّ مدلول الخطاب في الثقافة العربية نشأ في المناخ البلاغي وفنونه من خطابة وفنون القول، بل عدّها "الجاحظ" في تصوره مرادفا لمفهوم البلاغة " ولم يذكروا بالخطابة ولا بهذا الجنس من البلاغة"[2].

عرف العرب لفظ الخطاب في عدة مواضع، فوردت في الآيات القرآنية بصيغ مختلفة منها صيغة الفعل في قوله:" (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) "[3] والمصدر في قوله "رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ

[1]– ابن منظور، لسان العرب ، أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف خياط ،ج2، الدراسات العرب (بيروت) 1988 ،ص :856.

[2]– الجاحظ البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف ،ط3 ،(د–ت) ج3 ،ص: 28

[3]– سورة الفرقان، الآية :63.

خِطَابًا3" [1]، وفي قوله تعالى عن داوود :" وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ"[2].

أما " القزويني" فذكر خطاب الذّكي، وخطاب الغبي في بيان مقامات الكلام المتفاوتة على اعتبار مقتضى الحال، أمّا في صحيفة بشر بن معتمر، وهي أولى النصوص التّي تصلنا عن طريق "الجاحظ" يقول:" في ما جاء في تعليم فنون الخطابة[3]،

"مرّ بإبراهيم بن جبلة بن مخزمة السكوني الخطيب وهو يعلّم فتيانهم الخطابة: فكن في ثلاث منازل فإنّ أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقا عذبا و فخما سهلا ويكون معناك ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا، إمّا عند الخطابة إن كانت للخاصة قصدت وإمّا عند العامة إن كانت للعامة أردت والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة وكذلك ليس يتّسع بأن يكون من معاني العامة، وإنّما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال"[4]. يتّضح من خلال هذا النّص الذي يحمل عبارة فكرة " مقتضى الحال. في إطار تعليم إبراهيم بن جبلة فتيانه الخطابة وفنونها، اتّسمت الخطابة ،وارتبطت بالمقام من حيث الطبقة (العامة /الخاصة) واستخدامات المعاني، فلكل طبقة معان خاصة بها [5].

---

[1]– سورة النبأ ، الآية: 37.

[2]–سورة هود ،الآية: 20.

[3]– جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القز ويني ،التلخيص في علوم البلاغة ، ضبطه وشرحه عبد الرحمن البرقوقي ،دار الفكر العربي ، ط1 ،1904، ص: 34.

[4]– الجاحظ ، البيان والتبيين: تحقيق: عبد السلام محمد هارون ،ص :135.

[5]– ينظر: جميل عبد الحميد ، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة، ص 13 .

هذا وقد عرّف العرب البلاغيون القدامى خاصية اعتبارات الحال ،والمقام في طرق التواصل ،والخطاب، والغاية من ذلك هي تحقيق الهدف من الخطاب "إحراز المنفعة" على حدّ اعتبار ما جاء في صحيفة "بشر بن المعتمر".

و ممّا لا شك فيه أنّ ارتباط الخطاب بالمقام (سياق الحال) هو أبرز ما توصلت إليه العلوم الحديثة خاصة عند تفرقتها بين النّص ،و الخطاب .

كما ورد اسم المفعول المخاطب عند النحاة للدلالة على طرف الخطاب الآخر الذي يوجه المرسل كلامه إليه ،وذلك عند حديثهم عن المضمرات إذ يقول: "ابن يعيش" في شرحه :" والمضمرات لا ليس فيها، فاستغنت عن الصفات إلّا أنّ الأحوال المقترنة بها قد تغنى عن الصفات ،والأحوال المقترنة بها كحضور المتكلم والمخاطب والمشاهدة لهما"[1].

قال أبو البقاء الكفوي في الكليّات:" الخطاب هو الذي يقصد به الإفهام وإفهام من هو أهل للفهم ،والكلام الذي لا يقصد به إفهام المستمع فإنّه لا يسمى خطابا"[2].

ونلحظ ارتباط مفهوم الخطاب بالإفهام الذي يفترض وجود طرفين مخاطب ومخاطب وجوهر ما حدّدته النظريات الغربية ،وتصوراتها عن الخطاب.

2- الخطاب عند الغربيين :

مصطلح الخطاب "Discoures" مأخوذ من اللاتينية ،ومعناه الرّكض هنا وهناك، فليس أصلا مباشرا لما هو مصطلح عليه بالخطاب إلّا أنّ الجذر اللّغوي اللاّتيني أصبح يحمل معنى الخطاب ،واشتق منه معان منذ القرن السابع عشر،

[1]– عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ،دار الكتاب الجديد ،ليبيا ،ط1 ،، 2004،ص59، نقلا عن ابن يعيش ،شرح المفصل ،ج3،ص :114.

[2]– الكفوي ، الكليات معجم في المصطلحات و الفروق اللغوية ،تحقيق : عدنان درويش، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1، 1413هـ/1992 ، مادة خطب ، ص : 666.

فقد دلّ المصطلح على معنى طريق صدفي، ثم المحادثة والتواصل، كما دلّ على تشكيل صيغة معنوية سواء أكانت شفهية أم مكتوبة تعبر عن فكرة ما [1].

يعرفه "ديفيد نونان" أنّه قطعة من اللغة تتألف من الجمل تبدو مترابطة ترابطا ما بحيث أن الترابط قد يكون مصدره الأفكار التّي يحتويها الخطاب ،أو الوظائف التّي يؤديها "[2]، وقد تطور هذا المصطلح مع اللسانيات الحديثة، خاصة مع بداية القرن العشرين، واقترحت مفهوما مرنا معتبرة إياه ملفوظا موجها إلى الآخر لإفهامه قصدا معينا انطلاقا من ثنائيتي (البات/المتلقي) (اللغة الكلام)، ويفصّل (غوستاف غيوم) استعمال كلمة(Discoures) عوض كلام (parole)، وهنا يستمد الخطاب مفهومه من التفرقة بين اللغة والكلام، بحيث يرى أنّ خطابا ما يوجد بالقوة واللغة سابقة لأنّها موجودة بالقوة، ويزيد في الشّرح بأن يصف اللغة دالا ذا مدلول واحد في حين تعدد مدلولاتها في مستوى الخطاب لأنّه ميدان تطبيقها[3]، مما نستشفه أنّ لثنائيات "دي سوسير" أهمية بالغة في تطوير هذا المفهوم، وعملت المدارس ما بعد "سوسير" على الاهتمام بهذه التفرقة أي؛ بين اللغة والكلام إذ أنّه رديف مصطلح الكلام باعتباره الاستعمال الفردي للغة، وهذا ما يمهد أيضا للسانيات التلفظ.

فالخطاب هو يتجاوز الجملة، لكنّه يعمل داخل إطار السياق التواصلي، وهو ما يعرفه "بنفنيست" : "هو كل متلفظ يفترض متكلما ومستمعا، وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما " [4]، فتحديد مفهوم الخطاب يقاس بتعديه الجملة أي أنّه ليس جملة واحدة بل مجموعة من الجمل لها سياق تواصلي يعيّن عبر مخاطب،

---

[1]–عبد القادر شرشار ، تحليل الخطاب الأدبي و قضايا النص، منشورات الدار الجزائرية ،ط 1،2015 ،ص: 17، نقلا عن ، Encyclopédie Universalisa , Microsoft France,1995 (CD) discours

[2]– ينظر : محمد يونس علي ،تحليل الخطاب وتجاوز المعنى ،ص: 17.

[3]– عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية ،ص: 61 .

[4]– صحراوي إبراهيم، تحليل الخطاب الأدبي دراسة تطبيقية ،دار الأفاق ، الجزائر، ط1 ،1999 ،ص 10.

ومخاطب وثقافة مشتركة، ولغة حوارية وهذا ما يقصده "بنفنيست" بالمتكلم والمستمع، ولا يكفي هذا من ناحية تحقيق الخطاب دوره المنوط به الذي يهدف إلى تحقيق التأثير وهي الخاصية اللّصيقة بمفهوم الخطاب، وهذا ما يميّزه عن النص أيضا.

3- لسانيات فعل القول (التلفظ) :

تعتبر محطة جديدة رست عليها لسانيات الخطاب بحيث أمدتها بأساسيات جديدة حيث لم تفرط في البنيوية لأنّها ارتبطت لسانيا فعل القول بالدّال اللساني، كما أنّها أعطت الخارج- لساني "Exlroling" وظيفة تفسير الدّال، والترتيب معطيات المعنى، ومن هذه المبادئ وضعت لسانيات القول آلية تحليلية تهم كل مستويات الّدال، و كذا المستويات الخارج – لسانية[1].

لنتبيّن مفهوم الخطاب لكونه (متلفظا) علينا أن نشير إلى ماهية التلفظ (énonciation)، وأول مؤسس له يعود إلى كتاب " مسائل اللسانيات العامة لإميل بنفنيست 1966 [2]، ويتفرّد في شرح المصطلح بأنّه "متتالية لسانية ينتجها باث تشكل ملفوظا أي أنّ هذا الملفوظ يقدم نفسه، وهو ينتجها على أنّ هدفه هو أن يقول ما هو مقول فيها التلفظ (الملفوظ)، يحدد "غريماس" الملفوظ على أنّه " تتابع من الجمل الملحقة أي كلّ ما يتلفظ به الإنسان منطوقا أو مكتوبا، يتحدد ضمن إنّية من

[1]– ينظر: ك– أوركيوني – فعل القول من الذاتية في اللغة ، ترجمة: محمد تطبيق ، أفريقيا الشرق (المغرب) ،ط1،2007، ص :8.

[2]– ينظر: صابر حباشة، لسانيات الخطاب الأسلوبية والتلفظ والتداولية، دار الحوار للنش والتوزيع ،ط1 2010 ، ص :26.

التلفظ عن طريق ضمائر الشخص وضمائر الملكية، الصفات الظروف والمبهمات الزمانية والمكانية "[1]، ويتحدد التلفظ بأنّه العملية ذاتها لإنتاج الملفوظ.

فعملية التلفظ تبدأ حينما نبدأ في الحديث أي؛ تتشكل ضمن فعل تواصلي فإذا لم يستغل الفرد ملكته اللغوية فإنّها تصبح في اللاّملفوظ، والملفوظ جزء من عملية التلفظ، أو هو جملة محققة حسب " جون لينز" (J–LYONS)، فهي تهدف- لسانيات التلفظ - إلى وصف العلاقات التّي تنشأ بين الملفوظ، ومختلف عناصر الإطار التلفظي بمعرفة كل من:

أ- المشاركون في الخطاب (المتكلم المخاطب)

ب- سياق العملية التخاطبية.

ج- الظروف العامة لإنتاج الملفوظ وتلقيه[2].

فانتقال اللّغة من مستوى النظام إلى مستوى الممارسة الفردية هو (التلفظ)، وخلال هذه الممارسة الفعلية فإنّنا نحتاج إلى الملفوظ (الجمل) ضمن سياق معين ، " التلفظ هو تحريك اللغة بواسطة فعل فردي استعمالي "[3].

فالخطاب هو الوجه الآخر للملفوظ، وهذا الأخير يعدّ مظهرا من مظاهر تجلّيه وهو يرتبط بالسياق الذي تحدده ثقافة المجتمع، وهو وحدة خاصة ذات مستوى عال لذلك يعرفون الملفوظ " أنّه متتالية لسانية ينتجها (باث)، وهو ينتمي إلى ما يمكن ملاحظته أي؛ بوضعه معطى وحدة مفسرة" [4].

---

[1]– حمو الحاج ذهبية لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ،الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، ط2 ،2012 ،ص: 18.

[2]– حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص: 94.

[3]– ك–أوركيوني ،فعل القول من الذاتية في اللغة ،ص: 41.

[4]– صابر حباشة ،لسانيات الخطاب ،الأسلوبية والتلفظ والتداولية ،ص: 25 .

1- **مرجعيات الملفوظ (Deixis)** هي علامات تحيل إلى ملفوظيتها، وأحيانا تعكس الملفوظية، فالملفوظية تفترض وجود متحدث (Locuteur) ومخاطب (Allocateur)، ويمكن تحديد هذه المرجعيات حسب "سيرفتني" إلى مجموعات و"هي: (أنا، أنت، هنا، الآن) وهي كلمات تشير من داخل الملفوظ إلى تلك العناصر الأساسية المكونة الملفوظية، وهي العناصر هي المتحدث المخاطب ومكان وزمان الملفوظية والمرجعيات تدل على تلك العناصر وفقا لطريقتها"[1]. يقول "رومان جاكبسون" في هذا الصدد:" لا شك أنّ للمرجعيات دلالة اصطلاحية، شأنها في هذا شأن علامات اللسان الأخرى"[2]، وهي تحدد العلاقة بين الملفوظ، والموضوع الذي تحيل إليه وتدل على ضمان سيرورة العلاقة بين الملفوظ والمرجع أي مجموع الآليات التّي تصل بعض الوحدات اللغوية ببعض الوحدات من الحقيقة غير اللغوية "[3].

2- المعينات: هي وحدات التلفظ ،ومؤشراته تسهم في تحيين فعل التلفظ إنجازا وقولا و فعلا عن طريق الضمائر ،وأسماء الإشارة وظروف مكان والزمان وهي تعني بتحديد مرجع الوحدات اللغوية حين عملية التلفظ والتواصل[4]، ومن ثم تحيل على أطراف التواصل من متكلم ومستقبل ومرسل ومرسل إليه بالإضافة إلى الضمائر المنفصلة والمتصلة وأدوات التملك المتعلقة بضمير المتكلم وضمير

[1]– جان سيرفونني ، الملفوظية ، تر : د قاسم المقداد ،منشورات اتحاد الكتاب العرب ،1998، ص:27.

[2]– المرجع نفسه ، ص: 28.

[3]– حمو الحاج ذهبية ، لسانيات التلفظ و تداولية الخطاب ،ص: 104.

[4]– ينظر : جميل حمداوي ، لسانيات النص وتحليل الخطاب بين النظرية والتطبيق ،ص: 85.

المخاطب وأسماء الإشارة [1]، وظروف الزمان والمكان، فضلا عن كل المؤشرات اللغوية التّي تعير الشخوص[2]، والأشياء من قبل المتكلم.

فالمعينات هي الوحدات اللسانية التّي لها وظيفة تؤديها ،وغالبا ما تكون دلالية، ومرجعية ،وهذه الوحدات اللّسانية هي مجموعة من العناصر التكوينية لوضعية التواصل.

إنّ دور لسانيات التلفظ واضح وجلّي في الدفع بلسانيات الخطاب خاصة ،ولسانيات النّص عامة، فوجهت سهامها إلى تفعيل، ودراسة الخطاب النّصي بمختلف أجناسه وأنواعه ،وأنماطه الفرعية ،ويمكن مقابلة نص – ملفوظ، " فالملفوظ في معنى الشيء المادي الشفوي أو المكتوب الشيء التجريبي القابل للملاحظة والوصف. النص هو الشيء المجرد الذي يوجد في إطار نظرية تفسيرية لبنيته التكوينية"[3]، فالنّص يتعلق في إطار بنيته، أما الملفوظ فيكون شفويا أو مكتوبا يمكن وصفه.

وهنا يجب أن نؤكد خاصية (السياق في نظرته التلفظ) لأنّ العناصر اللّغوية لا تعرف دلالتها المرجعية إلّا من خلاله وهنا تتحول اللغة عبر آلية (التلفظ والسياق إلى خطاب حيث يجب توفر طرفان أساسيان (متكلم – وسامع) وهما جزئين من الوضعية التلفظية [4].

---

[1]– ينظر :تودوروف و آخرون ،المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث ،تر :عبد القادر قنيني ، إفريقيا الشرق : (المغرب) ،ط1 ،2000 ، ص :25.

[2]– ينظر : محمد يونس علي ،مقدمة في علم الدلالة و التخاطب ، دار الكتاب الحديد المتحدة (ليبيا) ،ط1 ،2004 ،ص: 3.

[3]– باتريك شاردودو ، دومنيك منغونو، معجم تحليل الخطاب ، تر: حمادي صمود، المركز الوطني للترجمة (تونس) ،ط1 ،2008، ص: 216.

[4]– ينظر : حمو الحاج ذهبية ،لسانيات التلفظ و تداولية الخطاب ،ص: 97.

2- الضمائر: يمكن أن يفصل فيها أكثر فهي ثاني عنصر لتحديد المرجعية يقول "أوركيوني": " الضمائر هي تلك الوحدات اللغوية التّي يستلزم عملها المرجعي - الدلالي الاهتمام ببعض العناصر المكونة لحال الحديث بالإضافة إلى الدور الذي يؤديه فيعلوا الخطاب والحالة الزمانية والمكانية للمتكلم والمتلقي "[1] .

فهي الأكثر جلاءً والأحسن وضوحا من مجموع القرائن الإشارية ،ولكي تستمد الضمائر محتوى مرجعي معين تلزم في الواقع الأخذ بعين الاعتبار المقام التواصلي [2].

وهي حسب "منغونو"، "تحيل إلى مواضع غير لغوية، فلا يمكن معرفة مرجعية الضميرين " أنا" و" أنت " إلاّ من خلال استعمالها من قبل الفرد "[3].

وحسب نظرية الضمير عند" إميل بنفنيست "، تشترك "أنا" و"أنت" في ثلاث خصائص[4].

1)- أنا : تحيل إلى شخصية المتكلم نفسه، مثل قوله: أنا أبكي " فصفة البكاء لا أنسبها إلّا لنفسي بالرغم من وجود العلامة الدالة على ذلك " الدموع " وكذلك " أنت " تمثل الشخص من خلال الخطاب "أنا" تدل على الشخص الذي يعلن عن الهيأة الحاضرة للخطاب، ومرجعه هو المتكلم أي منتج الملفوظ دون أي تخصيص وتحيل أيضا على التلفظ ضمن عمل المتلقط، وهو بصدد التكون أما الضمير "هو" فيعد العنصر الأساسي في الحديث أو الخطاب ويسمى الضمير (غير الشخصي)

---

[1]– حمو الحاج ذهبية ، لسانيات التلفظ و تداولية الخطاب، ص :107 ،نقلا عن C.K.orecchioni op cit,p34،.

[2]– ينظر : ك– أوركيوني ، فعل القول من الذاتية في اللغة ،ص: 61.

[3]– ينظر: حمو الحاج ذهبية لسانيات التلفظ و تداولية الخطاب ، ص :109.

[4]– ينظر : باتريك شار ودو–دومنيك منغو ، معجم تحليل الخطاب ، ص : 218.

أو الضمير الغيبي وتحدد وظيفته حسب السياق اللغوي بحيث يربط السابق باللّاحق ويقدم له المدلول[1].

2- الزمان : تولي دراسة المرجعيات للزمن أهمية كبرى، فالمعلومات الزّمنية تفيد الجملة ،ومدى تصنيفها، كما يرتبط التأويل الزّمني بالتلفظ عبر مؤشرات زمنية [2] وزمن الملفوظية يقسّم إلى زمن الحاضر ،والماضي البسيط ،والماضي المرّكب، ومن بين الكلمات التّي تؤدي هذه الوظيفة ك (الآن اليوم) ،وهي إشاريات مثلها (أنا وأنت)، لكن المرجع الزمني لا يتجدد بالأشكال التّي تقسم الماضي ،والمستقبل ولا يتحدد مرجعها إلّا بالنّسبة إلى ذلك الحاضر فلفظ (لامس) تدل على اليوم الذي سبق الذي انتحت فيه الملفوظية[3].

3- المكان: إذا كان الزمان يتأسس ابتداءً من اللّحظة التّي يتحدث فيها المتكلم إلى الشخص معين، كما يتأسس المكان في تلك النقطة من الفضاء التّي يوجد فيها أثناء الحديث (لحظة التلفظ)، فإذا قلنا خديجة هنا في الجامعة يتعين أنّ خديجة على مقربة من المتحدث الموجود أثناء قوله في الجامعة يقول مانغنو:" تتحدد المبهمات المكانية بوضعية المتكلم: وضعيته الجسدية إضافة إلى إشاراته[4].

4-أسماء الإشارة: الإشارة هي:"علاقة بين اللّفظ، وما يشير إليه في المقام المستخدم فيه "[5] ويقصد بها" العناصر اللّسانية التّي تصاحب حركة الإشارة الدّالة على التعيين

---

[1]– ينظر : حمو الحاج ذهبية ، لسانيات التلفظ و تداولية الخطاب ، ص :113.

[2]– ينظر : عبد المجيد جحفة ، دلالة الزمن في العربية دراسة النسق الزمني للأفعال ،دار توبقال للنشر (الدار البيضاء – المغرب) ، ط1،2006،ص: 30.

[3]– جان سيرفوننني ، الملفوظية ، تر: قاسم مقداد ،ص: 37.

[4]– حمو الحاج ذهبية ،لسانيات التلفظ و تداولية الخطاب ،ص: 124.

[5]– محمد يونس علي ،مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب ،ص: 18.

لو يتعلق الأمر في غالب الأحوال بأسماء الإشارة بالمعنى النحوي مثل: ذلك – هذا أو أدوات التعريف من قولك الإنسان، حيث ينتبه المتسمع إلى ما تشير إليه"[1].

فالمعينات هي وحدات التلفظ ومؤشراته، تسهم في تحسين فعل التلفظ إنجازا وقولا وفعلا عن طريق الضمائر وأسماء الإشارة وظروف المكان والزمان، لنتبيّن الشروط المميزة لفعل القول ضمن سياق تواصلي معين ،ولا يتّحدد، مرجع هذه القرائن ،والمعينات الإشارية دلاليا وإحاليا إلاّ بوجود متكلمين في وضعية التلفظ والتواصل المتبادل [2].

كما أنّ لها وظائف دلالية تتمثل في ارتباط القرائن الإشارية بالسياق المرجعي ،والمعنى الدلالي، أيضا لها وظيفة التعيين والتأشير والتركيز على الإحالة المقامية والنّصية ،وتحديد الوضعية المكانية والزمانية وتبيان المشار إليه قرباً وبعدًا والتأكيد على وظيفة الحضور، والغياب ،والتأكيد على الوظيفة الذاتية والموضوعية فهي إذن تتناول الوظائف الدلالية المرجعية، التداولية واللسانية[3].

لسانيات الخطاب : النشأة والتأسيس

يمثل الخطاب اليوم مركز تجاذبات عدة علوم مختلفة: من أدب وتاريخ وسوسيولوجيا وفلسفة، أما اللسانيات فقد لقيت منه مكسبا قليلا، فحسب مفهومه في الأدبيات الحديثة فإنّه يتسم بالجدّية ويتجاوز الطرح التقليدي بحيث يعتبر ملفوظا موجها للآخر هذا من جهة ومن جهة الشكل اللّغوي فهو يتجاوز الجملة إذا عدنا إلى بدايات تأسيسيه، فعلينا أن ننطلق من مدرسة "دي سوسيور" و ثنائية "اللغة والكلام"، إذ انطلق (غيوم) من نفس هذه الثنائية" ليستعمل كلمة (discoures)

[1]– تودوروف وآخرون ، المرجع و الدلالة في الفكر اللساني الحديث ،ص :39.

[2]– ينظر: جميل حمداوي السانيات التلفظ بين النظرية والتطبيق ، دار الريف للطبع والنشر ، (تطوان المملكة الغربية) ط1، 2020، ص:9.

[3]– المرجع نفسه ،ص: 18.

يدّل الكلام(Parole) فاللغة هي النظام السابق على الخطاب، وهي موجودة بالقوة أما الخطاب هو ما يوجدها بالفعل" [1].

فقد كان للتفرقة بين اللغة (langue) والكلام (parole) [2] أثر مهم في توجيه البحث نحو العناية بالنسق الثابت ،والبنية المغلقة ،وتحليل النصوص الأدبية من الداخل من خلال وصف العلاقات النسقية التّي تربط وحدات اللغة في مستوياتها المختلفة [3]، فاعتبروا أنّ الكلام هو مرادف الخطاب.

ظلت المدارس اللسانية ردحا من الزّمن تعتبر الجملة هي أكبر وحدة في التحليل وكل الدراسات توقفت عند حدود الجملة بدءا من مدرسة التحليل الشكلي حيث اعتبروها بناء يقوم على طبقات[4]، وهذا ما أدّى إلى وقوعها في مأزق حينما لم تستطع تبني إشكالات تفوق الجملة، لتحليلها خاصة تحليل الخطاب.

وعملت على فصل اللغة وموقفها الاجتماعي، هذا ما فوّض لمؤسسي لسانيات النص الخطاب رد الاعتبار للسياق أي اعتبار الخطاب بالنظر إلى ما يميّزه داخل إطار السياق الاجتماعي[5]، لذلك "عرضت (ديبورا شيفرن) ثلاثة تعريفات حسب المناهج اللغوية، واللسانية التّي تبنت طرح الخطاب كمؤسسة متكاملة"[6].

---

[1]– عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ،ص: 37.

[2]– ينظر : أحمد كشك ، اللغة و الكلام أبحاث في التداخل و التقريب، مكتبة النهضة ، المصرية ، (القاهرة) ،د ط ، د ت) ، ص: 09.

[3]– ينظر : أحمد يوسف ، القراءة النسقية سلطة البنية ووهم المحايثة ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، الجزائر ،ط1 ،2007م ، ص: 148.

[4]– ينظر : عبد الحميد السيّد ، الدراسات في اللسانيات العربية ، دار الحامد للنشر والتوزيع (عمان ، الأردن)ط1 ،1424هـ ،2004م، ص: 65.

[5]– ينظر : نعمان عبد الحميد بوقرة ، الخطاب و النظرية والإجراء ،ص: 6.

[6]– عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص :37.

1- اعتباره استعمال أي ؛وحدة لغوية (ملفوظ)، وهو ما تقدّم سابقا.

2- الخطاب من منظور الاتجاه الوظيفي، وهنا نذكر استعمال اللغة ضرورة الاعتناء بدور السياق ،ومدى توظيفه في إنتاج الخطاب ،وتأويله : مثل دور العلاقة بين الطرفين، ودرجاتهم الاجتماعية، وكيف يتم تحقيق بعض الوظائف اللّغوية التّي يستطيع المرسل من خلالها أن يعبّر عن مقاصده .

أما التعريف الثالث فهو يتجلى في كونه ملفوظا نقطة التقاء بين البنية والوظيفة، فيتجاوز الجملة إلى الوضع التلفظي السياقي. يطلق الخطاب على النّص الملفوظ الملموس مقابل اللغة النظام (langue– discours) ،وقد اهتمت مدارس انجليزية أمريكية بالخطاب الشفوي في مقابل النصوص المكتوبة، إلّا أنّنا نجد دراسات الخطاب "مرادفا للسانيات النّص"[1].

أما الخطاب بوصفه مجموعة من النصوص فيخصّ العلاقات ،والقواعد التّي تنظم هذه المجموعات، ومن هذا المنظور يدخل في هذا المفهوم أبعاد فكرية ،ومعرفية واجتماعية و قيم أخلاقية[2].إنّ العلاقة التّي كونّها الخطاب مع الجملة، والملفوظ واللّسان هو التّصور اللساني للخطاب الذي لا يقوم فقط على اللغة، بل يراعي أيضا المشاركين في التواصل وتفعيل المقام وتوظيف التداول واستلهام السياق[3]، بحيث هو سلسلة أو متتالية متشابكة من العلاقات تكون خطية متعاقبة، وبنيات مرتبطة متداخلة لتنفتح على ما هو خارجي (ثقافي – اجتماعي – سياسي – حضاري).

[1]– ينظر : هشام القلفاط و آخرون ، مقالات في التحليل الخطاب ،ص :73.

[2]– المرجع نفسه ، ص: 74.

[3]– دومنيك مانغنو ، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ،تر: محمد يحياتن ، ص: 38–39 .

و في ظل هذا الكم من التجانس بين المفاهيم ، لا نلبث أن تصادفنا إشكالية التمييز بين الخطاب والنص، هذه الثنائية التّي تتعالق تارة ،وتختلف تارة أخرى

1)- التمييز بين النص و الخطاب:

يرى "جون ميشال آدم" أنّ النّص يمثل المظهر الشكلي المجرّد للخطاب بينما يعني الخطاب الممارسة الفعلية الاجتماعية للنص"[1]، ونستنتج أنّ النص هو شكل الخطاب في حين يكون الخطاب هو ممارسة لهذا النص وفق الإطار السياقي الاجتماعي عبر الأطراف التفاعلية المتعارف عليها.

و عليه يكون الخطاب وحدة لغوية أشمل من النص على وفق المعادلة الآتية:

الخطاب هو النص + شروط إنتاج و ظروف التواصل.

النّص هو الخطاب – شروط الإنتاج و الظروف التواصل.

يؤكّد "رولان بارت": "أنّ النّص لا يستطيع أن يتواجد إلا عبر الخطاب" [2]، وهذا الاحتياج ناجم عن التكامل بينهما بحيث تحقق النص عبر الخطاب أي؛ يتوسل به للخروج من الشكل المادي إلى التطبيق والممارسة.

و في هذا الصدد يطرح "فاولر" الفرق بين النص/ الخطاب، حيث يرى وجود فرق جوهري وواضح فيقول:"إن تتعامل مع اللغة كنّص يستوجب دراسة وحدات تواصل برمتها، ينظر إليها على أنّها بنى متماسكة تركيبا ودلاليا، ويمكن لهذه أن تكون محكية أو مكتوبة وبالإجمال، فإن النصوص يمكن اعتبارها وسيطا للخطاب"[3]

---

[1]– ينظر : الأخضر الصبيحي مدخل إلى علم النص مجالات تطبيقية منشورات الاختلاف ، الجزائر ، الدار العربية للعلوم ناشرون ،(بيروت ،لبنان) ،ط1، ص :39.

[2]– ليندة قياس ، لسانيات النص النظرية و التطبيق ، مكتبية الآداب (القاهرة) ،ط1 ، 1430هـ ،ص: 35.

[3]– فاولر روجر ، النقد اللساني ، الترجمة :عفاف البطانية ، مراجعة هيثم غالب الناهي، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ،ط 1، 2012، ،ص: 190.

فحسب طرح "فاولر" فإنّ النص هو وسيط للخطاب يقوم على خدمته، يتميز النّص بكونه بنى متماسكة مترابطة بعلاقات نحوية وتركيبية، هذه الفروق البسيطة تحدد لنا الاختلاف بين النص والخطاب، كما نرى أنّ الخطاب ينجم عن التفاعل بين المتلقي والنص، وأيضا يحتاج إلى آليات لغوية والخطاب يتجاوزها إلى (ميتالغوية).

الخطاب "بوصفه" الصيرورة المعقدة برمتها من التفاعل اللّغوي بين أناس يتداولون نصوصا ويفهمونها وبالتّالي فإنّ دراسة اللغة كخطاب تتطلب انتباها إلى أوجه البناء التّي تتعلق بالمشاركين في التواصل وكذلك الأفعال التّي يؤدونها من خلال تبادل النصوص إضافة إلى السياقات التّي يجري ضمنها إنجاز الخطاب"[1]. وهنا نستنتج مدى ارتباط الخطاب بالوظيفة التواصلية والتداولية والاستعمال اللغوي ضمن سياق ومرجعية مؤطرة تستطيع تحقيق الفهم والإفهام عبر أطراف التواصل ويحقق المقصد والغرض الإبلاغي والغاية الاجتماعية [2].

وضع بعض اللّسانيين الخطاب في الملفوظ والنص في المكتوب ،ومنهم من أطلق الخطاب على كل ما زاد على الجملة سواء أكان مكتوبا أو ملفوظا[3]، أمّا من جانب معيار الكمية فاعتبروا النّص أكبر من الخطاب وأشمل منه وهو الرأي الذي انتهجه "سعيد يقطين": "عمدت من خـلال اشتغالي (بالخطاب والنص) إلى استخلاص أنّ النص أوسع وأشمل من الخطاب " [4].

يتجلى التمييز بين النص والخطاب من ناحية الشفوي ،والكتابي فالخطاب هو الملفوظ شفويا في علاقة تخاطبية تواصلية بين اثنين أو أكثر، في حين النص هو

---

[1]– المرجع السابق ،ص: 190.

[2]– ينظر : محمد يونس علي، تحليل الخطاب وتجاوز المعنى نحو بناء نظرية المسالك والغابات ،ص: 7.

[3]– ينظر : المرجع نفسه ،ص: 18.

[4]– عبد الرحمن عبد السلام محمود ، النص والخطاب من الإشارة إلى الميديا مقارنة في الفلسفة المصطلح ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، ط1، 2015، ص: 111

ما قيّدته الكتابة، بعبارة أخرى الخطاب تنتجه اللغة الشفوية بينما النصوص تنتجها الكتابة[1]، وكلّ منهما تعينه ،وتحدده مرجعيات فالخطاب مرتبط بالقناة النطقية (متكلم – سامع).

أما النّص يعتمد على المتلقي (زمان– المكان)، أي " أنّ الخطاب تواصل لغوي ينظر إليه باعتباره عملية تجري بين متكلم ومستمع أو تفاعل شخصي يحدد شكله، غرضه الاجتماعي، والنّص تواصل لغوي (سواء كان شفاهي وكتابي) ينظر إليه باعتباره رسالة مشفرة في أداتها السمعية أو البصرية " [2].

يرى" فان ديك" : "أنّ النّص يمثل البنية العميقة، بينما الخطاب يمثل البنية السطحية، ينظر إليهما بوصفهما مظهرين المظهر التجريدي والمظهر الحسي، فالنّص مظهر تجريدي بينما الخطاب يجسد وحدة لسانية تتجلى في ملفوظ لغوي، إذن "فالنص لا يتجسد إلاّ من خلال الخطاب كفعل تواصلي" [3]، فلا جرم أنّ " فان ديك " (van dijk)، يردف بين لسانيات النّص ولسانيات الخطاب، " توجد فوارق متسقة للإطراء بين الجملة المركبة وانتظام توالي الجملة وتسلسلها وخاصة من نوع المستوى التداولي، ثم إنّ الجمل يمكن أن تتعلق بدلالة أو بمعنى آخر من العبارة نفسها، حتى ولو كانت تلك الجمل مؤلفة وهناك أسباب أدّت بنا إلى نسلم

[1]– المرجع السابق ، ص :115.

[2]– سارة ميلز، الخطاب ،تر : عبد الوهاب علوي ،دار الكتب و الوثائق القومية ،القاهرة ، ط1، 2016 ، ص: 18.

[3]– خلود العموش ، الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق ،عالم الكتب الحديث، إربد الأردن ،ط1، 1429هـ،2008 م ، ص: 24.

بأنّ العبارات المنطوقة يجب أن تعاد صياغتها تبعا لوحدة أوسع ما تكون وأعني بذلك المتن أو النّص" [1].

أما في القاموس المحيط "النّص الإسناد إلى الرئيس الأكبر والتوقيف والتعيين على الشيء أو سير نص ونصيص جد رفيع ، وإذا بلغ النساء نص الحقاق أو الحقائق فالعصبة أولى ": أي بلغن الغاية التّي عقلن فيها أو قدّرن فيها على الحقاق وهو الخصام "[2].

فمن خلال استعراض ما جاء في تعاريف المعاجم العربية، يبدو أنّ النّص لا يخرج عن دلالات الارتفاع والظهور، والتعيين والتحديد والموثوقية واليقين في الدلالة السند، فانتقلت الدلالة المركزية للكلمة (الظهور والانكشاف) إلى المعنى الاصطلاحي.

- أمّا في الأصل الغربي، فكلمة نص في اللغات الأوروبية فإنّنا نجد كلمتي " texte – text" مشتقتين من " textus" بمعنى النسيج " tissu" مشتقة بدورها من " texere" بمعنى نسيج، فهو يحيل بذلك على النّسج، ويوحي بالجهد والقصد ويوحي أيضا بالاكتمال والاستواء" [3]، فالنسيج مجموعة من العمليات التّي يتم بمقتضاها ضمّ خيوط السدي إلى خيوط اللّحمة، لتتحصل على نسيج ما يعتبر تتويجا لهذه العمليات، ثم في ضّم الشتات ألا يعني النسيج بمعناه الواسع الإنشاء والتنسيق و التنضيد.

---

[1]– فان ديك ، النص والسياق ، الترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق (الدار البيضاء ،المغرب) ، ط1 ، سنة 2000، ص: 19.

[2]– مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي القاموس المحيط ،ضبط يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،(بيروت) ،1995 ، (مادة نصص) ، ص: 700.

[3]– عبد القادر شرشار : تحليل الخطاب الأدبي و قضايا النص ،ص :23.

هناك من الباحثين من استخلص خصائص النّص بمعناه الحداثي من التفسيرات المعجمية التراثية خاصة ما ورد في تفسير مادة (نصص)، و يمزح ذلك بما تحقّق له من القراءات الحداثية لتعريف النّص في الطرح الغربي :"...النّص دائم الإنتاج لأنّه مستحدث بشدة، ودائم التخلق لأنّه دائما في شأن ظهور وبيان، ومستمر في الصيرورة لأنّه متحرك ،وقابل لكل زمان ،ومكان لأنّ فاعليته متولدة من ذاتيته النّصية ،وهو إذا كان كذلك فإنّ وضع تعريف له يعتبر تحديدا يلغي الصيرورة فيه ويعطّل في النهاية فاعليته النّصية" [1].

"النّص هو كل متتالية أو كلام متصل ينطوي على بداية ونهاية يتسم بالتماسك والترابط يتسق مع سياق ثقافي عام وينسجم مع سياق خاص أو مقام يتعلق بالعلاقات القائمة بين القارئ والواقع من خلال اللغة" [2]، وهنا يتحدد النّص بأنّه متتالية تكون بحد فاصل ترتبط بالسياق الذي يفسر ارتباط القارئ بمعطيات النّص، وينتهي بتفاعل القارئ مع العلامات الموجودة داخله، هذا التفاعل يؤدي بالنّص إلى إحداث وظيفة وهي خلق التواصل بين منتج النص ،ومتلقي النّص ومتلقيه،" فهو سلسلة لسانية محكية أو مكتوبة تشكل وحدة تواصلية " [3]، فشرط النّص هو أن يحدث التواصل .

---

[1]– منذر عياشي ، النص ممارسته وتجلياته ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، العدد المزدوج :96-97 ، سنة 1992 ،مركز الإنماء القومي (بيروت /باريس) ،ص: 55.

[2]– ينظر : خلود العموش ، الخطاب القرآني ، دراسة في العلاقة بين النص والسياق ، مثل من سورة البقرة ،ص 22.

[3]– منذر عياشي ، العلاماتية وعلم النص ،ص :119.

إنّ النّص سلسلة من العلامات المنتظمة في نسق من العلاقات تنتج معنى كليّا يحمل رسالة، أمّا في التصور اللّساني [1]، فاعتبروه مجموعة من الملفوظات (Enoncés)، أي الجمل المنفذة حين تكون خاضعة للتحليل، تسمى نصا، فهو عيّنة من السلوك اللّساني ،وهذه العينة يمكن أن تكون مكتوبة أو منطوقة، أمّا التصور النحوي فيرى أنّ النّص :" مقطوعة مشكلة تشكيلا سويا من جمل مترابطة تندرج نحو نهاية"[2]، وهنا يرّكزون على خاصية التتابع الخطي أمّا التصور المقامي، فيروم المزج بين التداولية ،والدلالية، والتركيبية ،ويمكن أن تظهر أهمية السياق والفعل التواصلي للنّص، وهو نفس ما قدمته "هاليداي و"رقية حسن" حين عرّفا النّص:" بأنّه وحدة استعمال اللغة في مقام تفاعل ،وباعتباره وحدة دلالية "[3] ، فهذا هو إسناد وانسجام لما ورد في التّصور المقامي الذي يؤكد أبعاده التداولية ،والدلالية والتركيبية .

وعليه نخلص من خلال هذه الومضة إلى أن استعراضنا لكل من ثنائية النّص، والخطاب والكشف عن حالة الاختلاف ،أو التوافق في الطرح اللساني، لمعرفة قرب التوافق ،والتداخل حتى لا يتم توظيفهما بطريقة عشوائية، وقد قام التّيار التلفظي

[1]– ينظر: عبد الرحمن عبد السلام محمود ، النص والخطاب من الإشارة إلى الميديا ، مقارنة في الفلسفة المصطلح ،ص: 60.

[2]– باتريك شاردو ودومنيك منغو ، معجم تحليل الخطاب ،تر : عبد القادر المهيري وحمادي صمود ، مراجعة صلاح الدين الشريف ، تونس ، المركز الوطني للترجمة ، دار سيناترا ،2018، ص: 554.

[3]– المرجع نفسه ، باتريك شاردو و دومنيك منغو ، معجم تحليل الخطاب ، ص: 554.

بدمج كل من النّص / الخطاب داخل سياق تواصلي معين، "فإنّ الخطاب يصبح ضمن الممارسة اللغوية وسيلة المعرفة ،وبالّتالي يتحول إلى نص"[1].

انشغل مجال الخطاب ،وتحليل الخطاب بالنص ،وانفتح على مجالات غير لسانية [2]، وهو في كل هذا يحاول "تجاوز إطار الجملة بحيث يدرس عدة جوانب للعلاقات بين الأزمة الموجودة داخل الخطاب، وإبراز دور السياق ،ومدى توظيفه في إنتاج الخطاب وتأويله ومراعاة دور العلاقة بين طرفي الخطاب" [3] .

نستخلص من هذه المقاربة أنّ الالتباس ليس من ناحية المفاهيم ، بل الإشكالية مرّدها التوظيف التطبيقي لهذين المصطلحين الأساسيين في عدة علوم محتدمة تتجاذبهما اختصاصات كثيرة ممّ يتشاكل على الباحث متى يطلق على النص نصا؟ ومتى يمكن أن يوظف مصطلح الخطاب لأنّه خطاب، من خلال التحليل أو الآليات المختلفة التّي أفرزتها العلوم اللسانية الحديثة، ويمكن أن نفصل من خلال آراء العلماء أعلاه أنّ الفصل بين النص/الخطاب لن يكون نهائيا مادام البحث في مجال الألسنية واللغات قائما، بحيث تتكامل وظيفة النّص عبر الخطاب ولا وجود لخطاب إلاّ بنص.

2- التصور اللساني للخطاب: على اعتبار أنّ الخطاب واقعة لغوية[4] توّظف في عملية التواصل إلّا أنّ أول من وظّفه في الدراسات اللّسانية، "زليغ هاريس "1952 ، فهو من حوّل الخطاب كموضوع شرعي للدرس اللساني، كما قدّم منهجا

---

[1]– حمو الحاج ذهبية ، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ، ص:155.

[2]– ينظر : فان ريك ، النص والسياق ، (يذكر العلوم غير لسانية مثل علم انثربولوجيا الاجتماع الخطابة و الآداب)، ص: 31.

[3]– ينظر : دومنيك مانغنو ، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ،ص: 27.

[4]– ينظر : بول ريكور : نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى : تر : سعيد الغنامي المركز الثقافي العربي (الدار البيضاء – المغرب) ،ط2 ، 2006، ص :35

لتحليل الخطاب المترابط، واهتم بتوزيع العناصر اللغوية في النصوص ،والروابط بين الخطاب وسياقه الاجتماعي [1]، كما أنّها مدينة للنحو التحويلي الذي أسهم في انتقالها من بنية الجملة، ومكوناتها القاعدية إلى البحث المنّظم في العلاقات بين الجمل فالتحويلات هي عبارة عن قوانين متشبعة بدل كلّ منها مشيرا ركنيا بمشير ركني آخر، وتدرس العلاقات القائمة بين الجمل، وتعالج تحويلات الصّلة القائمة بين الجمل [2]، فأهمية النحو التحويلي في إرساء معالم تحليل الخطاب لا يمكن التغافل عنها.

كما أنّه لا يمكن تجاهل دعوات "فان ديك "حول ضرورة الارتباط المنطقي والبحث عن اتساق النصوص ،والخطابات ،وانسجامها وضرورة اتخاذ اللسانيات النص/الخطاب موضوعا أساسيا لها[3]، وهو من الأوائل المنظرين الذين أعادوا دراسة السياق خاصة في مجال الخطاب، والتداولية .

إنّ لسانيات الخطاب تقوم بتصنيف الخطابات في الدرس اللساني الحديث ،والقديم على معيارين اثنين ينظمان علاقة الخطاب/النص وفق الشكل ،والموضوع :

1-المعيار الشكلي: الذي يطمح الوصف اللساني إلى إبراز مكونات الخطاب/النص من حيث بنيته اللسانية في المستوى الصوتي، الصرفي التركيبي ،والمعجمي فهذه المستويات يمكن أن تحدد نوع الخطاب إذا كان غير أدبي أو يتخذ أجناسا مختلفة (شعر- روايات- مسرحيات، خطيا دينية – اقتصادية – سياسية) [4].

---

[1]– ينظر : نعمان عبد الحميد بوقرة ، الخطاب والنظرية والإجراء ،ص: 6.

[2]– ينظر : ميشال زكرياء التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية المؤسسة الجامعية للدراسات، النشر والتوزيع (البنان) ، ط2، 1986 ،ص: 153.

[3]– ينظر : نعمان عبد الحميد بوقرة ، الخطاب والنظرية والإجراء ،ص: 17.

[4]– المرجع نفسه ، ص29.

2- المعيار الموضوعي: فيركن إلى التمييز بين الخطابات / النصوص السياسية الاجتماعية، الثقافية، الحضارية، التربوية العلمية، الفلسفة، الإشهارية، القانونية[1]، وهذا فإنّ الدرس اللّساني للخطاب يتقاطع مع علوم ويتداخل مع اختصاصات متعددة تكون موضوعا له أو أحد المجلات التّي يتشكل فيها، لذلك يمكننا أن نعزو إلى هذا المعيار من الجانب التطبيقي أكثر لأنّه ممارسة فعلية في يد الخطاب كسلطة أولا، ثم إنّ ميدان تحليل الخطاب يعمل على تحليل هذه الأنماط، أي "الخطاب السياسي "والخطاب الثقافي "والخطاب الفلسفي " والخطاب الطبي " والخطاب النفسي ".

الخطاب و التداولية

1)- علم التخاطب

إنّ التداولية ،ومنذ بدايتها اهتمت بدراسة الاستعمال اللغوي، وبهذا تكون قد رست في اتجاه مشروع علم التخاطب لضبط طرق التخاطب، واستعمال الكلام في السياق ،والمقام التحاوري يقتضي وجود أطراف التخاطب، والتخاطب هو مصطلح بديل لطرق الكلام أو التلفظ أول من استعمله "الباحث يونس محمد علي"

فعلم التخاطب يعرّف" بأنّه دراسة كيف يكون للمقولات معان في المقامات التخاطبية، وهو يتميز عن علم الدلالة الذي يدرس المعنى وفقا للموضع فقط، وبمعزل عن السياق والمقامات التخاطبية "[2]، وهنا يتضح جليّا من خلال رأي الباحث الفرق بين علم الدلالة وعلم التخاطب والفرق في ذلك هو المقام /السياق.

كما لا يمكن إنكار أنّ الفضل يرجع لمجهودات كل من " أوسيتين وسيرل"، فعلم التخاطب يدرس معاني المقولات ،ومقصد المتكلمين، لا يعرف إلاّ بواسطة السياقات التّي تضمّنها الكلام ،والمخاطب ،و المخاطب، وأعمال القدرات

[1]– المرجع السابق ، ص :29.

[2]– ينظر : محمد يونس علي ، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب ،ص :12.

الاستنتاجية الّتي يملكها المخاطب عند التعامل مع الكلام [1]، فلا يمكن معرفة المعنى دون إدراجه في سياقه الخاص ، وهو ما تداركته ،وتفطنت إليه النظريات الّتي جاءت كرد فعل على البنيوية.

2)- الخطاب التداولي:

تناول "فان ديك"(vandjik)مسألة العلاقات المطردة بين بنيات النص والسياق في تبنيه خصائص الخطاب حيث يرى، "أنها تتجدد بواسطة بنية المتداولين للغة والمستعملين لها بواسطة ضروب إنجاز قوى فعل الكلام وتناول المعلومات في تجاوز ومن ناحية ثانية فإن بنيات خطاب ما عندما يتلفظ في التحاور يمكن أن تنشئ هي بذاتها جزءًا من السياق التواصلي" [2]، وهنا يقصد" فان ديك" بخصائص الخطاب الخاضعة لنمط ،والبنية فبنية أي ؛خطاب (باعتبار) الخطاب وحدة تواصلية كاملة تحكمها مستويات، وهي كما أقرّها " فان ديك" " في بنية كل مخاطب وجود مستويين اثنين:

أ- مستوى علائقي.

ب- مستوى تمثيلي.

وهما يحققان الغرض من الخطاب بوصفه (واقعة ما)[3] يرى "بول ريكور" paul ricoeur"أنّ الواقعة الكلامية تذكرنا أنّ الخطاب يدرك زمنيا، وفي لحظة آنية في حين أنّ النظام أو التنسيق اللّغوي، افتراضي خارج الزمن ويحدث في لحظة

[1]– المرجع السابق ،ص: 14.

[2]– فان ديك، النص والسياق، تر: عبد القادر قنيني، ،ص:275.

[3]– ينظر : أحمد المتوكل ، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (بنية الخطاب من الجملة إلى النص ، دار الأمان ،(الرباط) ،ط1 ،2001،ص: 87–88 .

التّحرك الفعلي والانتقال من اللغة إلى الخطاب "[1]، "فبول ريكور "يرى أنّ الخطاب يدرك من خلال سياق زمني، وهو ما يتمثل في الإدراك الذي يكون آنيا ويحمل مرجعية تحيله وتربطه بالعالم الخارجي، في حين أنّ النظام لا يرتبط بالزّمن وهذا هو المسار المنتهج من اللغة إلى الخطاب على حد تعبير " بول ريكور. فبالرّغم من أنّ التداولية تتجاوز اللسانيات وتمتد إلى علوم أخرى تقترض منها وتتوسل منها المعارف، لمعالجة الاستعمال اللغوي وطرق التخاطب المنظم، فلا يوجد ثمة حدود تفصل التداولية عن الخطاب، فهي تشتغل ضمنه، باعتباره الجهاز المفاهيمي الاستعمالي الّتي توّظف عبره آلياتها ومبادئها للوصول إلى تبني طرق التخاطب بين المتحاورين بحيث يتم استدراك المتلقي كعنصر فاعل يملك كفاءة وقدرة، وحينها يستوجب حضور عناصر ضرورية منها السياق والمقام والملفوظات وقوانين التخاطب والمتحاورين، والآليات التي تسمح بالنفاذ إلى استيفاء علية التواصل أركانها ومن تم بلوغ المعنى لغاية حصول الفهم

3)- التلفظ و التداولية:

إن الخطابات هي إنجاز للأفعال اللّغوية في الأساس بحيث يتخذ المرسل مسلكا للتلفظ بخطابه من أجل تنفيذ إرادته، والتعبير عن مقاصده الّتي تؤذي لتحقيق أهدافه من خلال استعمال العلامات اللغوية، وغير اللغوية وفقا لما يقتضيه السياق بعناصره المتنوعة[2]، وهنا نستنتج علاقة الخطاب بما يسمى الأفعال الكلامية حيث أنّ العلاقة بين الخطاب بوصفه تلفظا ،أو اعتبار التّلفظ إجراء اللغة بمقتضى فعل

[1]– بول ريكور ، نظرية التأويل الخطاب و فائض المعنى ،تر:سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي (الدار البيضاء) ،ط2 ، 2006، ص :39.

[2]– ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري ،استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية ،دار الكتاب الجديد ،(بيروت لبنان)، ط2004،1، ص: 62.

فردي في الاستعمال، هو لب موضوع التداولية التّي تنطلق من فكرة جريان الكلام على الألسن "أي من التلفظ ذاته كعملية خاصة بالفرد، والكلام وممارسة اللغة وإيصال الخطاب إلى المخاطب والتأثير فيه ضمن عنصر التفاعلية "[1]، وهنا يعتبر أنّ التلفظ هو أداء و فعل خاص بالفرد أي ؛ فعل القول ليتم في إطار محدد ضمن العملية الخطابية و بالتّالي التأثير في الغير ،ويتم عبر:

أ)- "إدراك السياق الذي يجري فيه التواصل بكل أبعاده المؤثرة ب)- في تحديد العلاقة بين السياق والعلامة المستعملة ج)- التلفظ بالخطاب "[2].و هذه شروط يجب أن تتوافر عليها عملية التلفظ ،من معرفة السياق وعناصره المتعارف عليها وهي الظروف التي تسمح بحدوث التلفظ بموقف كلامي ،ومن تم تحدث عملية التلفظ أي الآداء الفعلي للفظ .

يقول " محمد الخطابي " :" كلما توفر للمتلقي معلومات عن (المتكلم – المتلقي - الرسالة – الزمان – المكان نوع الرسالة) يكون له حظوظ قوية لفهم الرسالة وتأويلها أي وضعها في سياق معين من أجل أن يكون لها معنى" [3]. وهذا ما يحيلنا إلى ضرورة وجود الخطاب لأنّه يمنح الأرضية الخصبة للاشتغال ضمنه والتواصل بين المتكلم يستعمل اللغة مع متكلم، وضرورة توافر مكونات السياق ليتم التأويل الصحيح.

4)- الاستلزام الحواري:

يعتبر من أهم المفاهيم اللّصيقة بلسانيات الخطاب الذي أخد معها البحث اللّساني منحى متميز، ومؤسسه (غرايس) « Grace"الذي حاول أن يضع نحوا

[1]– حمو حاج ذهبية ، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب :129.

[2]– عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ،ص :63.

[3]– محمد الخطابي ، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، ص: 297.

قائما على أسس تداولية للخطاب، تأخذ بعين الاعتبار كل الأبعاد المؤسسة لعملية التخاطب، وبهذا تتخذ عملية التأويل الدلالي للعبارات وفق أسس هي [1]:

أ- معنى الجملة المتلفظ بها من قبل المتكلم في علاقة مع مستمع.

ب-المقام الذي ننجز فيه الجملة.

ج- مبدأ التعاون.

يسلك الأفراد عبر تواصلهم عبارات وجمل، يتخاطبون بها ليبّلغوا المستمع ما يريدون تبليغه إيّاهم وعبر هذه العملية ينجم سوء فهم لما يحمله المخاطب من معاني يقصدها فتكون عباراته غامضة، أو يعمل على إخفاء المعنى وتضمينه، بحيث لا يتوسل الطريقة المباشرة أو المعنى الحرفي في تواصله، ومن هنا نشأ مفهوم الاستلزام الحواري فهو يبحث في متضمنات القول للوصول بالعبارة إلى تحقيق قصدها الحقيقي أو الوصول إلى مقاصد المتكلم، وإنهاء لعبة التخفي، وكما ذكرنا المبادئ التي تتحكم في هذا المفهوم، مبدأ التعاون الذي يعتبره "غرايس" قانونا أساسيا في التخاطب أو التحاور ولنتمكن من فهمه أكثر سنضعه في مشجر تفصيلي كالتالي:

الشكل رقم :02 ــمبدأ التعاون

أ-يمكن تلخيص مبدأ التعاون بالمشجر التّالي [2]:

[1]– العياشي إدواردي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، دار الأمان (الرباط) ،ط1 ،1432هـ،2011 ،ص :17.

[2]– ينظر : محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية)،ط1 ، 2001 ،ص :25.

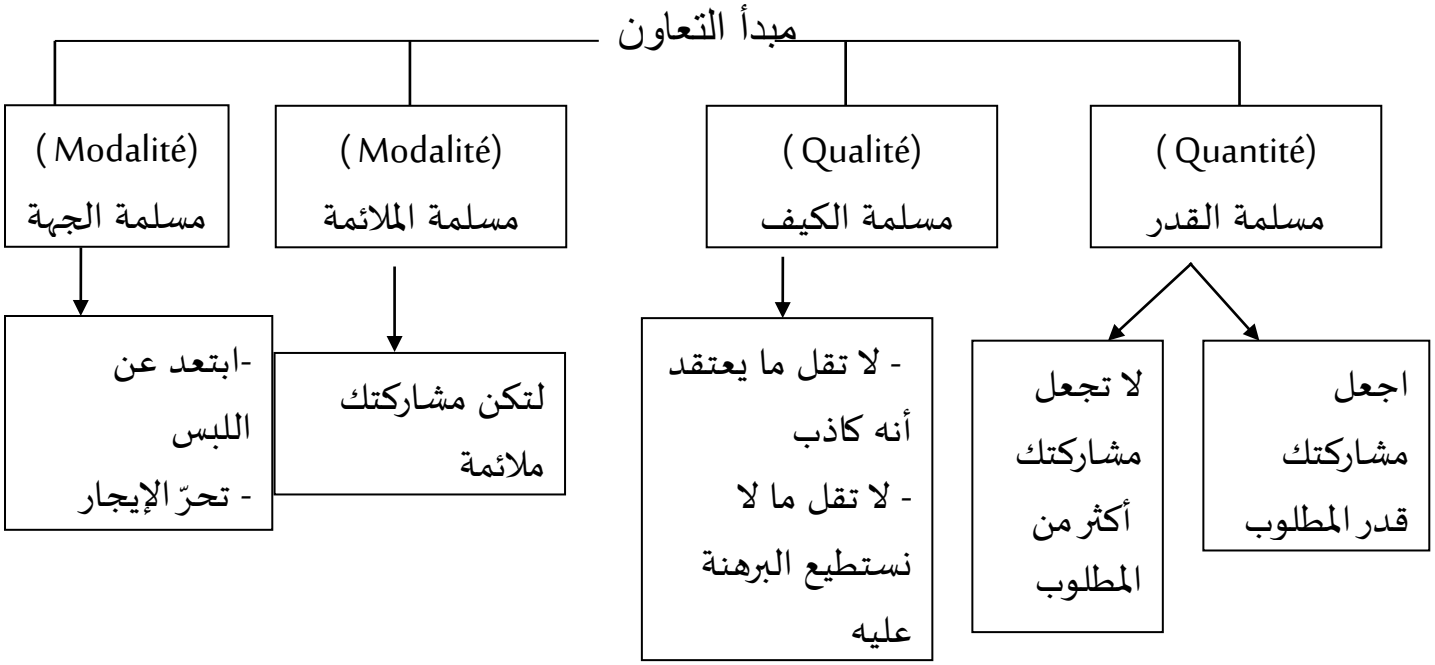

فالانتقال من المعنى الصريح الظاهري إلى المعنى المتخفي (المستلزم) هو من أهم آليات إنتاج الخطاب حيث أنّه يقدم تفسيرا صريحا لقدرة المتكلم على أن يعني أكثر ممّا تؤديه العبارات المستعملة [1]، ففي أحيان كثيرة لا يعني الكلام ذلك الجانب التصريحي بل يحمل المتلقي على التفكير في أمور تمّ التلميح إليها، وليست غيبية لأنّها متضمنة في الأقوال المصّرح بها فيلجأ المخاطب إلى عدم التصريح بها هذا ما ينجم عنه ارتباك، وانقطاع بين المخاطب والمُخاطب، لأنّه لا يدرك المغزى من الكلام، فالقول المضمـر لا يستنتج إلّا من خـلال (السياق – التأويل).[2] لذلك عرّفت التداولية بأنّها: " العلم الذي يبحث في كيفية اكتشاف السامع لمقاصد المتكلم أو دراسة معنى المتكلم فقول أحدهم: (أنا عطشان) قد يعني (أحضر لي كوبا من الماء)، وليس بالضرورة أنّه يكون بصدد إخبار الآخرين أنّه عطشان "[3]. وخرق أحد هذه القوانين أو المبادئ هو ما نسميه الاستلزام الحواري .

[1]– ينظر : إدواردي العياشي ، الاستلزام الحواري في التداول اللساني ،ص: 18.

[2]– ينظر : حمو حاج ذهبية ،لسانيات التلفظ ، ص: 135.

[3]– أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ،ص :13.

5- الافتراض المسبق: ينطلق أصحاب نظرية التواصل من المعطيات الأساسية التّي تنتقل من المتكلم إلى المتلقي، وتسّمى بالخلفية التواصلية [1].

فحين يوجـه المتكلم حديثــه إلى المخاطب (السامع) على أساس أنّ ما سيقوله معلوم لديه مثلا : قال رجل لآخر:" أغلق النّافذة" فالمعلومات التّي لم يفصح عنها هي أنّ النافذة مفتوحة ،وأنّه هناك مبرر يدعو لإغلاقها ،وأنّ المخاطب قادر على الحركة ،وأنّ المتكلم في منزلة الأمر، فهي إذن بمثابة أفعال كلامية افتراضية[2].

6- إشاريات الخطاب:

هي وحدات لغوية تعتمد على السياق الذي يستخدم فيه، وهي تعتبر طريقة للحديث عن الأشياء ،ولا تتطلب منّا معرفة كثيرة حول الشيء أو اسمه أو الصفة، لكنها تتطلب منّا معرفة العلاقة التّي تربطه في سياق التلفظ، فهي مكونات لسانية تعتبر مساهمتها الدلالية بتغير سياق التلفظ قصد إنجاز وظيفة إحالية معينة[3].

و يمكن تمثيل الإشاريات بالمشجر التالي [4]

الشكل رقم :03 – الإشاريات

---

[1]– ينظر : حمو حاج ذهبية ، لسانيات التلفظ ،ص: 136.

[2]– ينظر : المرجع نفسه ،ص: 26.

[3]– ينظر : حافظ اسماعيلي علوي ، التداوليات علم استعمال اللغة ، عالم الكتب الحديث (الأردن ، ط2 ، 2014،ص: 445.

[4]– أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص :25.

الإشارات

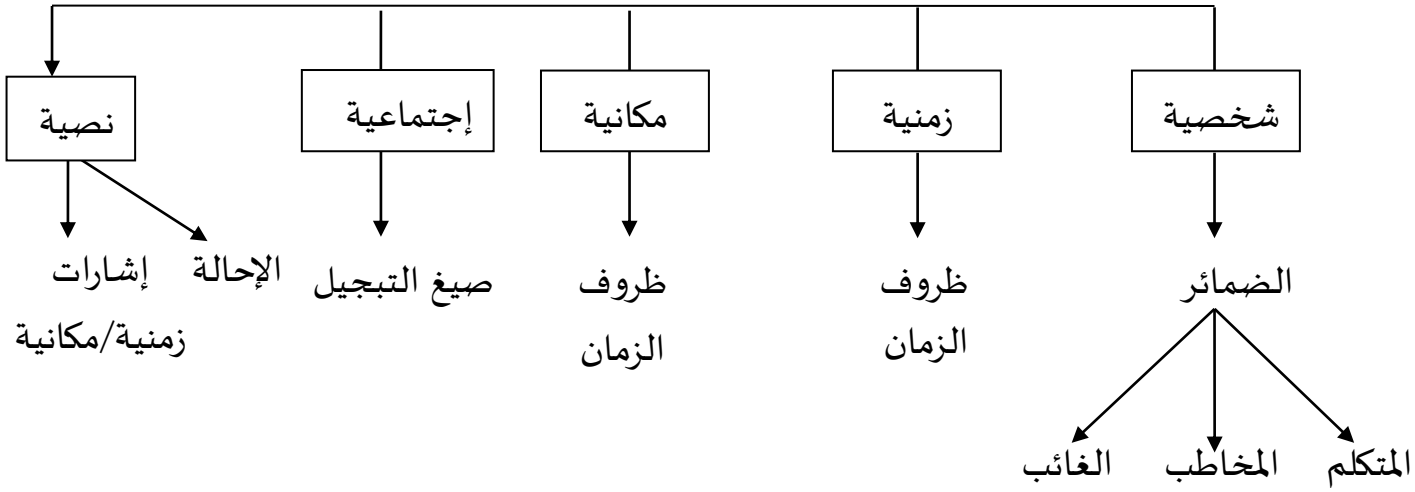

فهي وحدات لغوية تتطلب معرفة عن السياق حتى نستطيع فهمها: " هنا، الآن، أنا، أنت، هذا ذلك تتواجد في مقاطع خطابية توجب علينا معرفة هوية المتكلم والمتلقي والإطار الزمني والمكاني اللغوي[1]، كما أنّها أدوات فارغة في ذاتها وخالية من المعنى لكنّها تفهم من خلال السياق، ويكمن دورها من خلال تحديد دور الملفوظات، وضبطه مما ينتج عنه تأويل الخطاب وفهمه عبر تحديد الأطر الزمنية والمكانية والاجتماعية، الإشاريات تعد عناصر ذات أهمية في الخطاب، بشرط ارتباطها بسياق تفسر ضمنه ويحدد من خلاله المعنى وتقترب من المشاركين في العملية التواصلية ضمن الخطاب فمعرفة الزمان والمكان يسهم في عملية الفهم وكذلك فهم العلاقات الاجتماعية ضمن السياق الاجتماعي.

7)- التلفظ وأفعال الكلام:

لم تكن وظيفة اللغة تقتصر على الإخبار أو الوصف، بل نحقق من خلالها إنجازات ووظائف تكون عبر أفعال نتلفظ بها، جاءت نظرية الأفعال الكلامية ردا

[1]- ينظر : برون يول ، تحليل الخطاب ، تر: محمد لطفي الزليطني ، منير التريكي ، النشر العلمي والمطابع ، جامعة الملك سعود (المملكة العربية السعودية) ، ط 1 ، 1998 م، ص :533.

على فلاسفة الوضعية المنطقية حيث حصروا اللغة في عملية وصف للوقائع بعبارات إخبارية يكون بعدها الحكم بالصدق، أو الكذب فإن طابقت الواقع فهي وافقت الصدق وإن خالفته فهي في حكم الكذب[1]، وردت نظرية الأفعال الكلامية عند "أوستن" "austin"لتصنيف الفعل الكلامي الأصلي، أو العبارة فهو يقترح أن ينظر في الفعل اللغوي كجنس عام من ثلاث جهات: (التلفظ، والنطق والخطابة)، يختص فعل التلفظ بمخارج الحروف المادية، ويتعلق فعل النطق بمقاصد العبارة، أما فعل الخطاب فيهتم بمقاصد المتكلم الخارجة عن العبارة، والمفهومة من السياق، هذا التقسيم الثلاثي له مسوّغاته عند علماء المنطق وعلماء البلاغة وهي دلالة اللّفظ (الكلام) إن تطابق أو تضمن أو التزام وعلى هذا " فأوستن" يرجع أفعال الكلام إلى ثلاثة أنواع: فعل الكلام قوة الفعل الكلام لازم فعل الكلام [2].

الشكل رقم :04 – الأفعال الكلامية -

- تقسيمات أوستن للأفعال الكلامية هو كالآتي : [3]

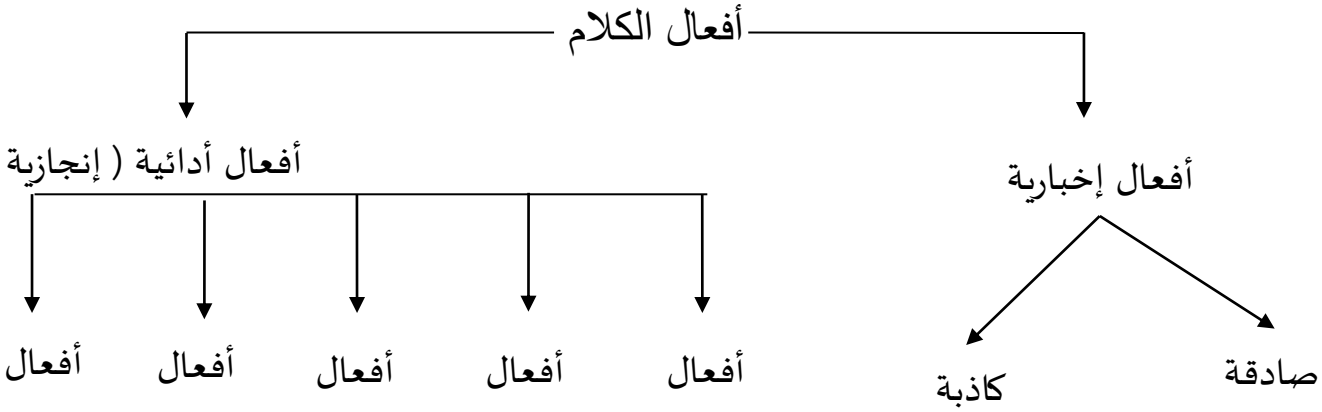

- أما الفعل الكلامي تشكلّ عبر قاعدة الأنظمة الإخبارية نمثلها بالمشجّر الآتي : [1]

[1]– ينظر : أحمد نحلة ، المرجع السابق ، ص :43.

[2]– ينظر : أوستن ، نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام ، تر : عبد القادر قنيني ، إفريقيا الشرق ، ط1 ، 1991،ص: 48.

[3]– أحمد نحلة ،آفاق جديدة في البحث اللغوي ،ص: 46.

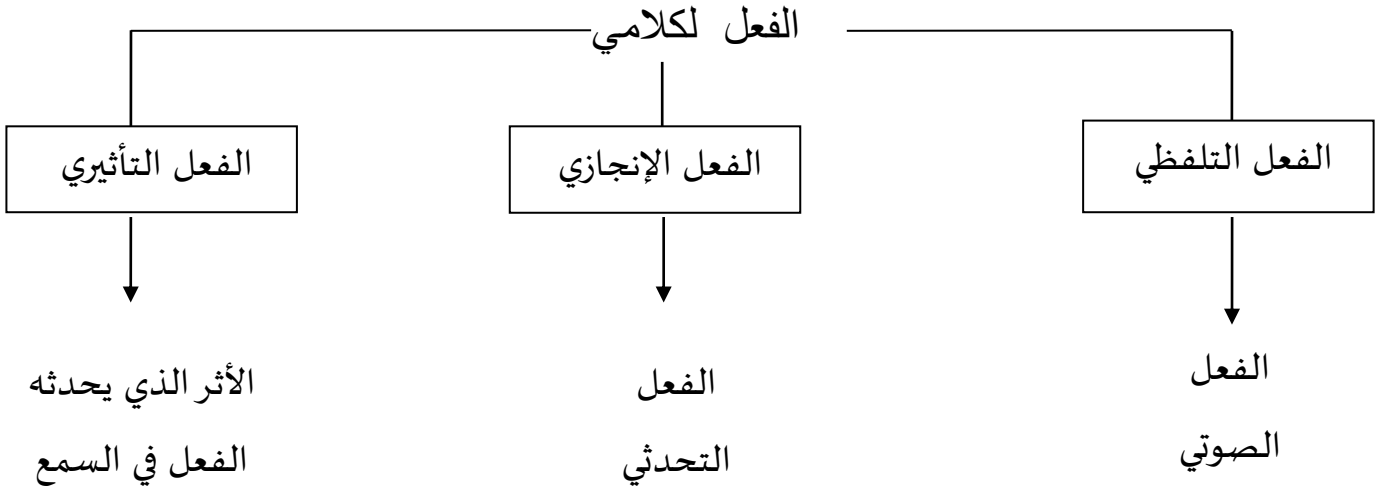

إنّ التّلفظ كنمط يضمن عدة آليات من القول ذاته ،والإنجاز، أو الأداء، ثم التأثير ،وهي عملية تتطلب حضور السياق، بحيث يتحدد ضمنها الفعل الكلامي بالبحث عن المعاني المرتبطة بالمتلفظات أولا ،والذات المتكلمة حسب مقصديتها[2].

8)- التلفظ والتأويل:

يقوم المخاطب بعد تلقيه الملفوظات بالعديد من العمليات الإدراكية ،والخيالية والفكرية، والاستدلالية ؛استنباطية كانت أو استقلالية أو حتى برهانية، من أجل فهم معنى كل ملفوظ، وإدراك المراد الحقيقي للمتكلم، وهذا فإن "سبرير" يختصر معالم مسار المخاطب في عملية الملفوظات كالتّالي :[3]

1)- التعرف على جملة لسانية داخل ملفوظ.

2)- الاحتفاظ بمعنى واحد فقط من بين المعاني التّي تحتملها الجملة في حالة التعدد الدلالي.

---

[1]– عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص: 75.

[2]–ينظر أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ،ص: 140.

[3]– ينظر : حافظ إسماعيل علوي ، التداوليات علم استعمال اللغة ،ص :149.

3)- القيام بحساب المعاني المسكوت عنها.

يأتي دور التأويل كحلقة مهمة لتفسير الملفوظات بعد أن يمر المخاطب على عمليات ذهنية حتى يتوصل إلى فهم مقاصد المتكلم خلف هذه الملفوظات التّي تحمل شحنات من المعنى، وتمّ تحديدها، والتفتيش عن المواطن التّي تحتاج إلى التأويل، وتحديد المعاني المحتملة، والإبقاء على معنى واحد مرجّح من خلال كفاءة المتلقي أو المؤول.

الفصل الثاني : النّص القرآني بين الشمولية والوحدة

1- المبحث الأول : شمولية النّص القرآني.

2- المبحث الثاني : وحدة النّص القرني.

3- المبحث الثالث : أبعاد المناسبة في النّص القرآني وعلاقتها بالاتساق والانسجام والارتباط.

المبحث الأول

1- شمولية النص القرآني:

اعتنى الكثير من المشتغلين في مضمار الخطاب القرآني، بالبحث عن طرق ومناهج لفهمه في كلّيته ؛فهمًا سليمًا بعيدًا عن الجزئية ،والانفراد ،واستحدثوا بذلك مصطلحات تعبّر عن هذا الموضع لقراءة النص الشرعي؛ قراءةً كليّةً ،لهذا نلفي الباحث"محمد محمد يونس"،قد استحدث هذا المصطلح "الشمولية"في أبحاثه و

ويقصد به "أنّه لا يجوز النظر إلى النّص منفردا".[1] يفسر هذه النظرة الشمولية للنص، أنّ هذا الأخير يحتوي على مجموع الأجزاء ،وزيادة ،والمثال التّالي سيوضّح كيف يترابط النّصان بحيث لا يمكن أن نفهم المعنى ،أو نستنبطه من آية واحدة دون آية أخرى بل المعنى يكون شاملا لجميع الآيات.

1- " وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۚ"[2].

2 - "وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ"[3].

استنتج الفقهاء من ربط النّصين معا أنّ الحد الأدنى لمدة الحمل ستة أشهر، ولذا فإنّه إن ولدت الزوجة قبل ستة أشهر من زواجها كان للزوج الحق في إنكاره.

1- محمد محمد يونس ، علم التخاطب الإسلامي دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص ، دار المدار الإسلامي ، (بيروت لبنان) ، ط1، 2006،ص: 86.

2- سورة الأحقاف ، الآية :15.

3- سورة البقرة ، الآية: 223.

2- النظرة الشمولية للنّص القرآني عند الباقلاني:

تقتضي شمولية النّص فهم النّص في كليته بحيث لا يتعرض للتجزئة أو الانفصال، برزت هذه النظرة لدى الباحثين عن سرّه الإعجازي، السالكين طريق البحث في تجلياته، والآملين في حصولهم على حقيقة معانيه.

المنافحين عن آياته "من خاض ،وشكّك وسوّلت له نفسه مقارنته ببعض الأشعار ،والموازين بينه ،وبين الكلام البشري"[1]. لم يكن يعلم الباقلاني- وهو يؤلف كتابه- أنّه بصدد مّد جسور الحداثة بينه ،وبين ما توصلت إليه لسانيات النّص.

إنّ علماء الغرب حينما اعتبروا:" شروط تحقيق النّص إنّما يكون وحدة تامّة ومتمثل في النّصية التّي وجب أن تقام على أحكام تتعلق بالنّص في كليّته لا على أحكام تتعلق بأجزاء منه"[2]، وهنا ارتباط النّصية بأحكام كلية شاملة غير جزئية لذلك نستدل بقول السيّد قطب في هذا المنحى:" إنّ جمال القرآن الكريم ليس في كونه أجزاء، و تفا ريق، وإن كان للأجزاء جمال، وسحر ولكنّ جماله في كونه جملة موحدة يقوم على قاعدة خاصة فيها من التناسق العجيب مالا يدركه إلّا من عرف قيمته ،وعانى قراءته ،ومدارسته ،ووقف على صميم النسق القرآني الذي هو منبع التأثير ،والسحر"[3].

1- الباقلاني أبو بكر محمد ، إعجاز القرآن ، تحقيق :السيد أحمد صقر، دار المعارف ،مصر ، ط3 ،1349 هـ،ص:5

2- محمد الشاوش ، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية تأسيس نحو النص،جامعة منوبة كلية الآداب،تونس،ط1 ،2001،ص:35

3- السيّد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، 2010،ص: 133.

إنّ بنائية النّص القرآني ،وتسلسله ،وترابطه متعلقة بالانسجام فيبدو " النّص قطعة واحدة يكون فيها الكلام متّحدا"[1]، إنّ هذه القطعة المتّحدة هي التّي يطلق عليها العلماء في العصر الحديث بمصطلح الانسجام.

عودة إلى ما سبق يذكر "الباقلاني" في فصل جملة وجوه - إعجاز القرآن - التّي يقف فيها عند أهمية أوجه الإعجاز الثلاثة يلفت اهتمامك ما يذكره من أهمية هذا الإعجاز ومرّده خاصة الوجه الثالث الذي يحدد فيه قيمة القرآن الكريم وأسراره العجيبة " إنّه بديع النظم عجيب التأليف متناه في البلاغة إلى الحدّ الذي يعلم عجز الخلق عنه" [2].

يمكن شرح هذه المقولة بأن يوضع القرآن الكريم في موضع لا يشابه فيه بقية التأليفات الأخرى لأنّ المزية من ذلك هو نظمه الذي عجز في مضاهاته أفانين القول البلاغي.

يضيف: "إذا تأمّله المتأمل تبيّن بخروجه عن أصناف كلامهم وأساليب خطابهم، أنّه خارج عن العادة وأنّه معجز ،وهذه الخصوصية ترجع إلى جملة القرآن وتميّز حاصل في جميعه"[3]، وهنا يفرد خصائص القرآن موازاة بكلام العرب وهو الخطاب الذي لا يشبه ما جاء به العرب قديما ،وحديثا ،وهي ميزة يعلو بها القرآن الكريم عن بقية الخطابات.

هذه النظرة الكلية التّي تميّز بها القرآن الكريم عن بقية أساليب العرب قد أردفها "الباقلاني" ،وهو بصدد الحديث عن ما جاء بين بليغ القرآن، وبليغ أشعار العرب و

1- أبو بكر البقاعي ، نظم الدرر في التناسب الآيات والسور تحقيق :عبيد الرازق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1 ، 1415 ،ص:5

2- الباقلاني ،إعجاز القرآن ،ص:32

3- المصدر نفسه ،ص:35.

موروثهم البياني، وهذه الخصوصية والتميّز الحاصل في جميعه على حد قوله تعد من صميم البحوث النصية:" فغاية علم النص الذي يعالج التماسك النصي ووحدته والنظرة الكلية التي تشرح كيف ترتبط أجزاء النظر"[1]، ويتجلى لنا أنّ "الباقلاني" كان من مؤسسي هذه النظرة في كتابه " إعجاز القرآن ".

ثم إنّك تواصل التّنقيب في مساحة كتابه تجد "الباقلاني" يبحث عن علاقات المعاني الجزئية ،وعن علاقات الأغراض في آياته القرآنية ،وتناول كثيرا من الآيات ،وبيّن وجه الارتباط ومناسبتها لما قبلها يقول:" والقرآن على اختلاف فنونه، وما يتصرف فيه الوجوه الكثيرة والطرف المختلفة يجعل المختلف كالمؤلف والتباين كالمتناسب والمتنافي في الأفراد إلى حد الآحاد"[2]، وهو إقرار بارتباط النّص القرآني.

وإنّه لا ينفك أن يبيّن طبيعة الآيات، ومدى تلاحمها وينظر إلى التّي تليها، ثم يعقد أوجه التآلف أو التخالف ،يقول تعالى:" وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ، صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ "[3]، وهنا شرح لما ورد في المختلف المؤتلف:" فانظر إلى هذه الكلمات الثلاث: فالكلمات الأوليان مؤتلفتان"[4].وقوله: "آلا إلى الله تصيرُ الأمورُ"، كلمات منفصلة مباينة للأولى، "وقد صيّرهما شريف النظم أشد ائتلافا من الكلام المؤلف وألطف

1- سعيد حسن البحيري ،علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، مكتبة لبنان ناشرون للشركة المصرية العالمية للنشر والتوزيع لونجمان بيروت لبنان ، ط1، 1998 ،ص :96.

2- الباقلاني ، إعجاز القرآن، ص: 38.

3- سورة الشورى، الآية: 53.

4- الباقلاني ، المصدر نفسه ،ص: 187.

انتظاما من الحديث الملائم"[1]، نلفي ورود مفاهيم "الائتلاف، والانتظام، والنظم" وهي تفسر طبيعة الارتباط النصي، والتلاحم بين آياته.

ثم إنّه لمّا يعرج إلى قضايا الفصل، والوصل و"كيفية انتظام السور بعضها بعضا، وكيف يتصل الكلام الأول بالمقدمة "[2]. هذا الاتصال الذي يصفه "الباقلاني" والذي يحدث على مستوى السور، وصفا دقيقا ينبو عن معرفة بمسالك الارتباط ،وهو الاتجاه الذي عنونته لسانيات النّص في أبحاثها بما يسمى بالارتباط النّصي.

"الباقلاني" أثناء تقديمه مثالا عن سورة النمل يؤكد مدى التماسك النّصي يقول:" تأمل السورة التّي يذكر فيها النمل، وانظر في كلمة كلمة وفصل فصل"، وبدأ بذكر السورة إلى أن بّين أنّ القرآن من عنده، فقال:" وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ" [3]، ثم وصل بذلك قصة موسى- عليه السلام- أنّه رأى نارا، فقال لأهله: " إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سآتيكم مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ "[4]، وقال في سورة طه :" لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى"[5]، وفي موضع آخر "لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ"[6].

1- المصدر السابق ،ص :188.

2- الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص: 130.

3- سورة النمل ، الآية: 6.

4- سورة النمل ، الآية: 8.

5- سورة طه ، الآية: 10.

6- سورة القصص ، الآية: 29.

فحسب الباقلاني" أنّ كل كلمة من هذه الكلمات وإن أنبأت عن قصة، فهي بليغة بنفسها تامــة في معناها"[1] ،ويقصد الباحث أنّ الآيـة مكتفية من ناحيــة المعنى وهذا التمام في المعنى هو ما يوضّح لنا شمولية النص القرآني بحيث أنّه يكتفي بفيض شمولي تام قائم لا يعجزنا عن فهمه ،ولا التدبر في وحداته المتكاملة.

اتسمت نظرة القدامى للقرآن الكريم- وهم في غمرة البحث عن سرّه الإعجازي اللغوي- بالشمولية، والكلية والانسجام والاتساق والترابط، وأشاروا إلى ذلك في أبحاثهم اللّغوية ،والبلاغية ،والنقدية، أو أثناء تفسيرهم القرآن الكريم دون المعرفة منهم أنّ ذلك هو ما انتهى إليه العلماء الحداثيون في دراستهم اللسانية النصية أو أثناء وقوفهم على النصوص ،والخطابات.

2 –النظرة الشمولية عند عبد القاهر الجرجاني:

يعدّ أهم من كان له سبق الفضل في التقدم بالدرس اللساني النّصي، "عبد القاهر الجرجاني" (ت 471ه)[2]، بحيث توصل في كتابه دلائل الإعجاز ما يعضد أنّ نظرته للنّص القرآني نظرة حديثة لم تكن عند السابقين من العلماء الأجلاّء الذين أفاضوا بأقلامهم فيض الكتاب الإلهي، وبرعوا في استخراج المزّية، والفضل الذي يتميّز به عن بقية الكتب السماوية، وما جاء في أساليبهم ،وفنونهم القولية ،والخطابية التّي احتلت صرح البيان ،والبلاغة أمدا، وهي لا جرم توصيف ينبو عن سوابق العرب في ممارسات النّصية، وريادة كاملة في تعاملهم مع الجزئيات التّي غفل عنها القدامى يقول:" تأملوه سورة سورة وعشرا عشرا آية آية، فلم يجد في الجمع كلمة

1- الباقلاني ،إعجاز القرآن ،ص: 189.

2- هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ولد في القرن 5ه،وهو من أصل فارسي من جرجان،الواقعة شمال إيران قرب بحر الخرز وهذا سبب نسبه إلى "جرجان"، ينظر:نزهة الألباء ص:264.

ينبو بها مكانها، أولفظة ينكر شأنها أو يروي أنّ غيرها أصلح أو أشبه أو أخرى خلق، بل وجدوا اتساقا يهز العقول أعجز الجمهور ،ونظاما ،وإتقانا وإحكاما ".

هذه المصطلحات الدقيقة في باب:" الكلام في إعجاز القرآن في بيان دلائل الإعجاز والرّد على المعتزلة معتبرا أنّ الإعجاز يظهر في نظمه ،وخصائص سياق لفظه"[1].

هو تحديد لمصطلحات (اتساقا، التئاما، ارتباط)، وهي مفاهيم تقابل ما تدّل على (الاتساق والانسجام والتماسك)، بل إنّ نظريــة النّظم التّي جاء بها "عبد القاهر الجرجاني" في كتابه (دلائل الإعجاز) الذي أسس لها عبر وسيط علم النحو وعلاقته بالإعجاز، إنّما هي معالجة متكاملة لكل العلوم اللغوية

مثل: علم النحو، وعلم المعاني ،وعلم البيان ،والتفسير بحيث تعمل هذه العلوم كلّها وتشتغل عبر وظيفة متناسقة مرتبطة، وهذا لبّ نظرية النّظم ،واتصالها بعلوم البلاغة، يقول:" اعلم أنّ ليس النظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التّي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التّي رسمت لك فلا تخّل بشيء منها"[2]، وهي مقولة تسلمنا إلى مزية الإعجاز القرآني ومردّ هذه المزية هو معاني النحو، والنظم الذي نلفيه في كتابه وتصوره الحديث،وهنا نجده يشير إشارة واضحة إلى مفهوم النظم بحيث جعل منها نظرية كاملة تعمل على إخراج النحو من مفاهيمه الشكلية الجافة المعروفة وربطه بالبلاغة و الدلالة وهذا ما عجز عنه السابقون بحيث اكتفوا بالمرور على هذا المفهوم في كتاباتهم دون التعمق فيه كما بلغت عند الجرجاني لتستوعب الشمول والكلية والترابط بين الفنون اللغوية المختلفة لإثبات مزية الإعجاز القرآني.

1- الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص:39. -

2- وليد محمد مراد ، نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني ، دار الفكر ، دمشق، ط1 ، 1403هـ - 1983م، ص :56، نقلا عن عبد القاهر الجرجاني ،ينظر:ص81

"إذا ثبت الآن أنّ لا شك، ولا مزية في أن ليس النظم شيئا غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما يبين معاني الكلام ثبت من ذلك أنّ طالب دليل الإعجاز من نظم القرآن إذا هو لم يطلبه في معاني النحو وأحكامه ووجهه وفروقه ولم يعلم أنّها معذبة...كان قد أبى أن يكون القرآن معجز بنظمه ،ولزومه أن يثبت شيئا آخر يكون من معجزاته"[1].

ويواصل "عبد القاهر" في عرض فكرته عن النظم الّتي تعد الباكورة الأساسية لمدخل علم التماسك النّصي، ونحو النّص ،وشموليته ،وكليته حيث يقول:

"واعلم أنّ ممّا هو أصل في أن يحق النظر، ويوضح المسلك في توخي المعاني الّتي عرفت ،وأن تتحد أجزاء الكلام، ويدخل بعضها في بعض ،ويشتد ارتباط ثان منها بأول، وأن يحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعا واحدا ،وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه هاهنا في حال ما يضع بيساره هناك"[2].

وهنا تطرق لفكرة النظم الشبيهة بالبناء، وهي بلاشك نظرة نصية بامتياز، فالبناء يكون عبر هندسة معمارية متماسكة كذلك حال النظم ،وارتباط أجزاء الكلام للتوصل إلى المعاني الكلية.

كان "فضل الجرجاني" كبيرا في موضوعات تتبنى عناصر مرتبطة بنحو النص وبيان أبيات انسجامه في مواضيع مثل: الحذف، التقديم، التأخير، الحقيقة، المجاز، الاستعارة، ـ وهي تتعلق بجودة النص ،وأثره في الملتقى وهي وعي مبكر بنحو النص "[3] ، وهذا الإدراك تجلّى في عرضه معاني النحو، ذكر "عبد القاهر" ما يلي:

1- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 408-409.

2- المصدر نفسه، ص: 93.

3- عمر أبو خرمه، نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى ،عالم الكتب الحديث أربد(الأردن) ، ط1 1425 هـ - 2004 م ، ص: 42.

1 – تتحد أجزاء الكلام: ذكرها في مقولته أعلاه ،والاتّحاد هو ما يعبّر عنه بالترابط.

2 – يشتد ارتباط الثاني منها بأوّل: يبيّن كيف يتم الارتباط والتسلسل والاستمرارية.

3- أن يكون حالك فيها حال الباني: وهو مقدرة على ضبط الجملة وفقا لمعايير التنسيق ،وهي حيثيات تعمّق فيها علم لسانيات النّص بالتحليل ،والتنظير، ويواصل ضرب أمثلة من مخزون الشعر العربي، حيث يصف كيف تتلاحق أجزاءه وينضم بعضها إلى بعض يقول:" واعلم أنّ من الكلام ما أنت ترى المزّية في نظمه والحسن كالأجزاء من الصيغ تتلاحق ،وينضم بعضهم إلى بعض تكثر في العين حتى تستوفي القطعة ،وتأتي على عدة أبيات ،وذلك ما كان من الشعر في طبقة ما أنشدتك أبيات البحتري"[1]. فالضمّ ،وتلاحق الأجزاء لغاية استيفائها قطعة ،وتسري على كافة الأبيات من ذلك هو من روافد علم النّص الذي يهتم بكيفية ارتباط النّص وسبكه.

أ- مصطلح التعليق :

تناول مفهوم التعليق وعرّفه بأنّه " الربط بين ما يقتضي المعنى ربطه من عناصر العبارة، فهناك من تلك العناصر مالا تترابط بذاتها، ومن ثم حاجتها إلى الأدوات التّي تقوم بهذا الربط"[2]، هو تفاعل يتم في العقل بين دلالات الألفاظ ،ومعاني النحو

1- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص:88.

2- حسين طبل ، المعنى في البلاغة العربية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى، 1418هـ-1998م ، ص: 42.

تنشأ من خلالها علاقات الارتباط ،والربط بين تلك الدلالات[1]. إنّ الجرجاني يشرح لنا الرّبط الذي يحصل على المستوى الذهني بين العبارات ،ومعناها، في حين تحتاج بعض العبارات إلى أدوات تقوم بهذا الرّبط على المستوى الشّكلي.

إن مفهوم التعليق ورد عند "الجرجاني" تابعا لنظرية النظم :" أن لا نظم في الكلام ولا ترتيب حتى يعلق بعضها بعض ويبني بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك"[2]، حيث جعل التعليق شرطا من شروط قيام النظم، ثم يستشري للتفصيل أكثر فيقول:" وإذا كان كذلك في أن تنظر إلى التعليق فيها والبناء، وجعل الواحدة منها بسبب من صاحبتها، ما معناه ومحصوله وإذا نظرنا في ذلك علمنا أنّ لا محصول لها غير أن تعمد إلى اسم فتجعله فاعلا لفعل أو مفعولا أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبرا عن آخر وتتبع الاسم اسما على أن يكون الثاني صفة للأول وتأكيدا له أو بدلا منه"[3]. وهنا يبيّن طريقة حدوث البناء والتعليق عبر التتابع بين الألفاظ النحوية التّي تتخذ مسارا نحويا يفرض ترتيبا بين مدلولات الألفاظ وتحقق الوظائف المنوطة بها وهكذا يحصل النظم عبر الترتيب والتعليق.

هذا ما جعل أغلبية الباحثين في هذا المضمار يحاول عقد مقارنة بين النظرية التي جاء بها "الجرجاني" وما توصلت إليه النظريات اللسانية الحديثة خاصة أنّه أعاد الاعتبار لعلم المعاني الذي أهمل كلية في المناهج الغربية اللسانية الوصفية والشكلية[4].

1- ينظر: مصطفى حميدة ، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ، مكتبة لبنان ناشرون، (لبنان – بيروت) ، ط1 ،1998، ص: 9.

2- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، ص: 55.

3-المصدر نفسه ، ص:55

4- ينظر: مصطفى حميدة ، نظام الارتباط و الربط في تركيب الجملة العربية ،ص:36.

وممّا لا شك فيه أن "زليغ هاريس" « Zellig Harris" وهو يحاول أن يقدم رؤية عن التحليل اللساني للخطاب المترابط اهتم بتوزيع العناصر اللغوية في النصوص، وردّ الاعتبار للمعنى ،والسياق[1] ،الذي يعتبر أساس التحليل على هذا النحو، تقاربت مفاهيم هذه النظريات بما ورد عند "الجرجاني" في نظريته عن النظم وخاصة "مصطلح التعليق".

فتعليق الكلم هو قاعدة ضرورية في تشكيل النّصية ،وخلق الروابط اللّازمة بين أجراء النص ليستقيم[2] فالتعليق عند الجرجاني يقصد به:" ارتباط الكلام ،وتآلفه ونظمه في العبارة من الوجهة الدقيقة التّي تنطوي عليها النفس،والكلام لا يأتي فيه بالإفادة ،والتعبير إلّا إذا علق بعضه ببعض".[3] هذه المقارنة بين"هاريس"وبين" الجرجاني" في إطار مسوغات الدرس النّصي تؤكد لنا حقيقة التقارب بين ما استقام عند العرب من بلوغهم لمستوى كبير في هذا المضمار.

ب- نظرية النظم و الشمولية في الطرح:

إنّ نظرية النظم عند "الجرجاني" لم تكن حكرا عليه، بل نظرة استقرائية لما ورد قبل "الجرجاني" يمكننا أن نعرف أنّها قد ذكرت في أمات الكتب و طرحت في مدوناتهم مع ذلك فإنّه حين عرضها أي؛ نظرية النظم في بيان (الإعجاز القرآني)

1- ينظر : نعمان عبد الحميد بوقرة ، الخطاب والنظرية والإجراء ، دار جامعة الملك سعود ، (د.ط – د.ن) ،ص: 12.

2- ينظر: مصطفى حميدة ، نظام الارتباط والربط في الجملة العربية ، مرجع سابق ،ص: 12.

3- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص: 55.

التّي مهّد لها بأهمية علم النحو لأنّه العلم الذي ارتكزت عليه دعامة الإعجاز،[1] تماما: " فإذا تبث الآن أن لاشك ولا مزية في أن ليس النظم شيئا غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين معاني الكلام ثبت من ذلك أن طالب دليل الإعجاز من نظم القرآن إذا لم يطلبه في معاني النحو ،وأحكامه ووجهه ،وفروقه...قد أبى أن يكون القرآن معجزا بنظمه ،ولزومه أن يتبث شيئا آخر يكون معجز به ، وهذا التفصيل في مزية النّظم أوحى لهم أنّ ،"خصوصية النّظم تكمن في العلاقات الداخلية التّي تربط الجمل بعضها ببعض ،وخضوع الكلام لنواميس الفكر ،وبرزوه على هيئة تحاكي الروابط المنطقية التّي يقيمها بين المعاني فتكون البنية اللغوية صدى لبنية عقلية منطقية سابقة".[2] ،وهنا إشارة إلى مزّية الإعجاز القرآني ،وشرفه حيث هذا الفضل اعتراه نتيجة للنظم، والنّظم يكون في التلازم بين البنية اللغوية النحوية وبين ارتباطها على مستوى البنية العقلية الذهنية.

لا ينفك "عبد القاهر الجرجاني" يبهرنا في بحثه عمّا توصلت إليه اللسانيات النصية الحديثة من مفاهيم تعد حجر الأساس، فها هو يذكر تصورا للاتساق وكيف يحدث على مستوى الآية القرآنية[3] ساعيا إلى إفحام المغرضين المشككين ومحاججتهم في فصاحة، وتناسق الآية، وهو يشرح السورة التّي انتظمت بها: "وكيف بالشك في ذلك ومعلوم أنّ مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض، ثم أمرت، ثم في أن كان النداء دون أيّ نحو (يا أيتها الأرض) ثمّ إضافة الماء إلى "الكاف"، دون أن يقل:" ابلعي الماء " ثم أن اتبّع نداء الأرض وأمرها بما هو من شأنها نداء

1- ينظر : سعيد حسن بحيري ، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البينة والدلالة مكتبة الآداب (القاهرة) ن ط1، 1426هـ-2005، ص :193

2- محمد حماسة عبد اللّطيف ، النحو والدلالة ، ص: 28.

3- السورة القرآنية هي :" وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين" سورة هود ، الآية: 44

السماء وأمرها كذلك بما يخصها، ثم إن قيل:" وغيض الماء " جاء الفعل على صيغة (فعل) الدالّة على أنّه لم يغض إلّا بأمر آمر وقدرة قادر، ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى:"وقضي الأمر" ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور وهو:" استوت على الجودي ثم إضمار السفينة قبل الذكر كما هو شرط الفخامة ،والدلالة على عظم الشأن، ثم مقابلة قيل في الخاتمة بقيل في الفاتحة"[1].

إنّ ما تعرّض له "عبد القاهر" في الآية السابقة من تحليل نحوي ،ودلالي وشرحه لنا كيف جرى الترابط نستطيع أن نطلق عليه (الاتساق) أو السبك النحوي، أو الترابط النحوي الذي يُعتبر ذا طبيعة خطية أفقية تظهر على مستوى تتابع الكلمات ،والذي يعمل على الربط بين أجزاء النّص بعضها ببعض .

ويرجع ذلك إلى "ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض، ولأن لم يعرض لها الحسن والشرف إلاّ من حيث لاقت الأولى بالثانية والثالثة بالرابعة، وهكذا إلى أن تستقريها إلى آخرها"[2]، وهذا تعقيب يعتبر كخلاصة للتحليل الذي طبّق عليه "السورة القرآنية".

ج- الفصل والوصل:

اعتلت متن البلاغة ،واللغة فصولاً في باب الفصل والوصل ،وأسهب العلماء قبل "عبد القاهر الجرجاني"[3] في معالجتها، أمّا معه فقد تجاوز البحث فيه واستفاض التحليل في مواضعه بيانا غير مسبوق إليه جاعلا إياه علامة على جودة الكلام وسرا من أسرار البلاغة ؛فأهمية العطف في صناعة البلاغة يشرحها في

1- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز،ص :45-46.

2- المصدر نفسه ، ص: 45.

3- سبق سيبويه الجرجاني لمّا تحدث عنه (شبه كمال الاتصال وأيضا عند الجاحظ لما عرف البلاغة : قيل ما البلاغة ؟ فقال معرفة الفصل من الوصل ، واستشرى أبو الهلال العسكري التوسع فيه وبّين أهميته في فنيات الكلام وجماله.

الديباجة التّي وسقها عن أهمية العطف ،ودقة هذا العلم الغامض الدقيق فقد جاء عن بعضهم أنّه سئل عنها فقال:" معرفة الفصل من الوصل ذلك لغموضه ودقة مسلكه"[1]، فعدّت البلاغة "فن القول" أنّها مدارج للفصل ،والوصل ،وهذا الاختصار هو تأكيد على قيمة " العطف" الذي اعتبروه غامضا دقيقا، وهو تفويض لهم بعدم كشف الوظيفة النصية التّي يؤديها هذا الأخير، بل كان موضعه يتحرى فقط "الصحة النحوية ".

فما يهمنا من هذا الباب هو ما توصل إليه "الخطابي" بأنّ الفصل والوصل عند "الجرجاني" هما إحدى التجليات السطحية العميقة لانسجام الخطاب ،واتساقه وقد عمد إلى تحليل الطريقة التّي صاغ بها الجرجاني المبادئ العامة ،والخاصة التّي ساهمت بانسجام النّص ،وتماسكه[2]. وهذا اجتهاد من الخطابي لاستخراج من الموروث العربي أحد أهم الفروع التّي تناولتها مداخل الاتساق والانسجام.

يتمثل الوصل عند الجرجاني في مسألته العطف، وخصوصا:

1- فائدة العطف في المفرد. 2– فائدته في الجملة. 3 – ثم العطف الجمعي[3] ، هذا الانتقال من المفرد إلى الجملة لغاية العطف الجمعي، نستشف منه أنّ نظرة الجرجاني وتفصيله حول العطف خاصة ما تعلق بالعطف ما بين الجمل أي فاق حدود الجملة الواحدة، فهذه العلاقات التركيبية العلائقية النحوية التّي تربط الجمل بها تتحقق الاستمرارية في البنية الشكلية الظاهرة هي نفسها ما اصطلحت عليه لسانيات النص، وحدود الاتساق.

1– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،ص: 222.

2– ينظر :" محمد الخطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، المركز الثقافي العربي،بيروت ،ط1 ، 1992 ،ص: 102

3– عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، ص :245.

بيّن الجرجاني عند حديثه عن معاني العطف وأدواته (الواو- الفاء- ثم) ورّكز على (الواو) يقول:" واعلم أنّه إنّما يعرض الإشكال في الواو، دون غيرها من حروف العطف"[1].

فحتى يكون للواو خاصية (الجمع ،والربط) وجب أن يكون هناك معنى بين الشيئين وضرب مثالا لذلك " جاءني زيد وعمر" [2].

الواو هنا لم تفد شيئا أكثر من إشراك عمر في المجيء الذي أثبته لزيد" وهنا وضع "الجرجاني" شرطا ألا ،وهو المعنى الذي يجمع، ويقع فيه ذلك الاشتراك أي ؛وجود مناسبة.

فوجود مناسبة يحصل معها الجمع ليتم عطف جملة على جملة هي سابقة دون غيره عرضها الجرجاني في مبحثه عن (الفصل والوصل).

ثم إنّنا نقارن ما جاء به "هاليدي ورقية حسن" حول أهمية أدوات الربط كأحد مظاهر الاتساق ،وقد ركزّا على (الواو) ،وميّزا بين الواو العاطفة التّي تعلق العنصر اللاّحق بالسابق (المعطوف على المعطوف عليه تعليقا بنيويا) وبين الواو والرابطة (congonctive) وهي التّي تحقق الربط بينهما[3].

وهنا ميّزا بين نوعين من الواو:

1- المصدر السابق ،ص: 224.

2- المصدر نفسه، ص :225

3- محمد الشاوش ، أصول التحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس نحو النص ، الجزء1 ، ص :133.

أ- الواو نظامية بنيوية رابطة بين العطوفات من غير الجمل[1].

ب- واو غير نظامية غير بنيوية وظيفتها تحقيق الاتساق بين الجمل المستقلة.

اعتبر"الرّازي" أنّ الفصل والوصل من أعظم أركان البلاغة نظرا لقيمة هذين الركنين في ما يسمى التركيب النحوي، والعطف والربط، "اعلم أنّه تارة تعطف جملة على جملة وأخرى تعمد إلي جملتين أو جمل ويجب أن تجعل ما تصنع في الشرط والجزاء أصلا في هذا الموضع ،وذلك أنّك ترى جملتين قد عطفت أحدهما على الأخرى"[2] ، وبهذا يحقق العطف النظرة الشمولية التّي تتجاوز فكرة الجملة إلى النّص.

إذا تمّ تحديد الوصل على اعتبار أنّه وسيلة من وسائل الربط لدى الغربيين فإنّ الوصل عدّ من مباحث "علم المعاني" مقترنا بالعطف عند الجرجاني، فإن ّذلك فقد اعتبر من أهم الروابط التّي تؤدي إلى اتساق النّص كما كتب أمّا الفصل: " فهو ترك العطف :" اعلم أنّ العلم بما ينبغي أن يضع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف ،والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بتعد الآخرة".[3]

أفرد "عبد القاهر الجرجاني" ناموسا شاملا للفصل ،وأيضا للوصل " فالانفصال هو الانقطاع عن الاتصال والارتباط أو انعدام العلاقة بين المعنيين يستوي في ذلك انعدامها بين الجملة وما يجاورها من جمل وانعدامها بين المكون

1- أفرد هاليدي ورقية حسن في الفرق بين الواو العاطفة coordination وهي التي تربط بين مكونتي مركب العطف ، وهي الواو رابطة conjonctive and وهي التي تحقق الربط وهنا تفاضل كبير وتمايز بين الواو العاطفة لدى عبد القاهر الجرجاني وبين هاليدي ورقية حسن.

2- فخر الدين الرازي ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، دار صادر (بيروت)، ط1 ، 1424هـ-2004م، ص:208 .

3- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، ص :222.

وما يجاوره من مكونات، وإذا كانت العلاقة منعدمة بين الطرفين فلا حاجة إلى ربط بينهما بأداة"[1].

نستنتج ممّا عرض أعلاه أنّ ثنائيتي الفصل والوصل عند "الجرجاني "حققتا بما يرتقي إلى الدّرس اللّساني النّصي معيار الاتساق ، وحدث ذلك حينما تجاوز حدود الجملة الواحدة المفردة إلى عطف الجمل على بعضها بعضا، أي؛ العطف الجمعي.

إذا كانت وظيفة (نحو النص) البحث في ارتباط النص أوّله بآخره وكيفية ترابط الجمل بعضها ببعض في بنية واحدة وفق نظام كلي، وأشكال الترابط التّي يمكن تحقيقها ورصدها في النص إذ يبدأ بالترابط النحوي (الرصفي) لغاية الترابط الدلالي (المفهومي)، هنا حقّق العطف ،"الربط، والوساطة بين الاتصال أو الانفصال، فتحقق حروف العطف الربط ،وتسعى إلى أمن اللّبس في فهم الانفصال بين الجملتين... وتنشئ علاقة سياقية نحوية مصطنعة بين الجملتين"[2]. وهنا العطف حقق وظيفته النصية.

" لم يكتف "الجرجاني" بتحديد دائرة الفصل، والوصل في قوانين ثابتة بل حصرهما بمجال العطف النحوي واقتصرها على العطف بالواو دون غيرها من أدوات العطف"[3]، وهي نظرة فيها تراجع عن نحو الجملة إلى نحو النص بحيث تتوازى نظرته مع كلّ من "هاليداي ورقية حسن" حين اعتبرا الوصل ،والعطف وسيلة من وسائل السبك النحوي.

قضايا كثيرة منثورة في دلائل الإعجاز ،وتمثّل أهم المرتكزات التّي جاء بها علم النص، فمن النظم الذي يعد الجوهر الأساس الذي جاء به "الجرجاني"، ها هو أيضا

1- مصطفى حميدة ، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة ،ص: 74.

2- المرجع نفسه ، ص:4 7.

3- حسن طبل، المعنى في البلاغة العربية ،ص: 100.

يتناول بالتدقيق الفرق بين الحروف ،والكلام المنظومة ليقف على التوصيف التالي:" نظم الكلم كان عندهم نظيرا للنسيج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير"[1]، إنّنا أمام عملية نسيج ،وبناء محكمة ،وهذا المفهوم هو نفسه يقترب من مفهوم النّص لدي الغربيين، وما يسوّغه من معنى من اللغات الأجنبية ، فالنّص في العربية وكذلك في مقابلة اللغات الأعجمية (texte) (textu) يقارب معنى النسيج...فالنّص نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض، هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كل واحد هو ما يطلق عليه مصطلح (نص)[2].

وردت إشارات كثيرة تمسّ مسائل الاتساق، خصّص لها "عبد القاهر" أبوابا كاملة، مثل الترابط اللفظي كالحذف ،والعطف ،والمقارنة ،والاستبدال والاستدراك[3] الذي اعتبرهما (هاليداي ورقية حسن) وسائل ربط تفضي باتساق النّص ،وتماسكه شكليا فالحذف يحدده "هاليداي ورقية حسن"، " بأنّه علاقة داخل النص"[4]، أي ؛أنّه علاقة قبلية [5]، فهي شبيهة بالاستبدال غير أنّ الفرق الوحيد هو أنّ علاقة الحذف لا تخلف أثرا ،ولا يجعل بدل المحذوف أي شيء.

1- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، ص :49.

2- الأزهر الزناد، نسيج النص بحث في أن يكون به اللفظ نصا ، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993، ص: 12.

3- ينظر : محمد خطابي ، لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ،ص: 5.

4- المرجع نفسه ، ص: 23.

5- المرجع نفسه ،ص: 23.

يصف "عبد القاهر الجرجاني" الحذف فيقول:" هو باب دقيق المسلك لطيف المآخذ، عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنّك ترى بيه ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة"[1].

الحذف حسب الجرجاني يفسح المجال للقارئ أن يكتشف ما تمّ حذفه ،وتمكين العقل من التنبؤ به فهذه العملية التّي تحدث على مستوى عميق مما تتصوره هي مثل "ربط التلقائي بين السياق الحالي وما سبق من خطاب "[2]، وهو نفس ما أقرّه هاليداي ورقية حسن بأنّ الحذف يقوم بدور معين في اتساق النّص، ودوره يكمن في البحث عن العلاقة بين الجمل، وليس داخل الجملة[3].

3- قاعدة النظر الشمولي عند الزركشي:

إنّ من تمام الفهم الحقيقي لكتاب الله عز وجلّ، إعمال النّظر فيه بوصفه بنية مرصوصة، ونسيجا محكما وهندسة متناسقة يرد أوله إلى آخره، وآخره على أوله، كأنّه آية واحدة في تضّامها وتلاحمها، يقول "الزركشي" في مقدمة كتابه

:" بهرت بلاغته العقول ،وظهرت فصاحته على كل مقول، وتضافر إيجازه ،وإعجازه وتظاهرت حقيقته ،ومجازه ،وتقارن في حسن مطالعه ومقاطعه...وقد أحكم الحكيم صنعة مبناه ،وقسّم لفظه ،ومعناه إلى ما ينشط السامع ،ويفرط السامع من تجنيس أنيس....فهو من تناسب ألفاظه، وتناسق أغراضه، قلادة ذات

1- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، ص: 162.

2- خليل ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب،ص: 71.

3- ينظر: محمد خطابي ، لسانيات النص ،ص :24.

اتساق...بهر تمكّن فواصله، وحسن ارتباط أواخره وأوائله، وبديع إشارته، وعجيب تنقلاته"[1].

يبيّن "الزّركشي" ويشبّه القرآن بالمبنى الذي صنعه الحكيم ،وهذا الصنع يكون متكاملا، وهي بادرة إلى سرّ الإعجاز القرآني، أشار فيها إلى دور المتلقي في التنبيه إلى القرآن من دور الحسن الموجود فيه، ثم انساب إلى تناسقه ،وتناسب ألفاظه لغاية ما شبّهه:" بالقلادة ذات اتساق"، وهو تصور يفيض بالنظرة الشمولية الكلية للنّص القرآني إذ أنّ القلادة المتّراصة المتلاحمة المتناسقة شكلا ،ولونا، استعان "الزّركشي" أثناء تفسيره القرآن بمعرفة أسباب النزول[2]، ومن بين العلوم المساعدة التّي استعان بها ما يسمى بالسياق، وهو ما أعادت له الاعتبار الدراسات النّصية لأنّه يحدد المعنى وفق ضوابط تحكمه وفق سياقات تحدد معنى الكلمات:" السياق الفعلي، وسياق الموقف وكلاهما بحكم الاستعمال ويضبط حركة الكلمات"[3]. فأسباب النزول تعين المفسر على معرفة ملابسات وخلفيات كثيرة تكون مفتاحا للفهم وغالبا ما تنزل في أفراد معينين خصّهم بها القرآن لذلك فالوقوف على المعنى عن طريق بيان سبب النزول وهذا أمر تحّصل بقرائن تلتف بالقضايا.

1- محمد بدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفصل إبراهيم ، دار التراث القاهرة ، ط3، 1404هـ-1984م،ص: 4

2- بدر الدين الزركشي، البرهان في العلوم القرآن، مصدر سابق ،ص: 22.

3- ينظر : سعيد حسن البحيري ، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ،ص: 36.

أ– اللفظ العام والدليل يقوم على التخصيص:

قال تعالى:" وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ"[1] فإنّما لو تركنا مدلول اللفظ لاقتضى أنّ المُصّلى لا يجب عليه استقبال القبلة سفرا ولا حصرا، وهو خلاف الإجماع ؛فلا يفهم مراد الآية حتى يعلم سببها، نزلت لمّا "صلى الله عليه وسلم " وهو على راحلته، مستقبلا مكة إلى المدينة، حيث توجهت به، فعلم أنّ هذا هو المراد"[2].

ب– تفسير القرآن بالقرآن:

وهو منهج ذكره" الزّركشي" واعتبره أحسن طريق للتفسير:" فما أجمل في مكان فقد فُصّل في موضع آخر وما أختصر في مكان، فإنه بسط في آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له[3].

ج- الإجمال والتفصيل:

"المجمل ما لم تتضح دلالته، وهو واقع في القرآن، وله أسباب كثيرة منها الاشتراك، ومنها الحذف، واحتمال العطف، والاستئناف، ومنها غرابة اللّفظ، التقديم، والتأخير، والتكرار القاطع لوصل الكلام في الظّاهر"[4].

أمّا وظيفته فهي تربط بين الآيات في قوله تعالى:" لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ "[5]، فإنّ هذه الآية مجملة لا يعلم منها ما يرث

1- سورة البقرة،الآية :115.

2- بدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق ،ص: 29.

3- المصدر نفسه ،ص: 176.

4- جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ص:54.

5- سورة النّساء ، الآية: 7.

من الرجال والنّساء بالفرض والتعصيب، ومن يرث ومن لا يرث ، ثم فصّله أو بينّه في آية أخرى بقوله:" وصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ" [1] ، فكأنّه تفصيل للمعنى ولدلالة الآية يكون بتسلسل وترابط بحيث لا يفهم جزء إلاّ من خلال شرح الجزء الثاني الذي يتمثل في آية أخرى ممّا يستدعي استحضاره، وهذه العلاقة تذكرنا بما هو قائم في العلاقات التّي تحكم الانسجام، وهذه الآلية تدل على أنّ النّص القرآني منسجم شامل كامل.

وفي قوله :" أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ"[2] فهذا الاستثناء مجمل بينه في آية أخرى بقوله :" حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ"[3].

وكقوله :" وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ"[4] وهذا المجمل بيّنه في آية أخرى بقوله :" هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ"[5].

د- علاقة الجزء بالكل:

هي من الأساسيات التّي يتماسك عبرها النّص وتحدّ من مظاهر انسجام الخطاب كما يسميه "فان ديك" ترتيب الوقائع، وترتيب المتتالية، وهي العلاقات التي تحكم هذا الترتيب حصرها الباحث فيما يلي:

العام – الخاص – الكل - الجزء[6].

1- سورة النساء، الآية :11.

2- سورة المائدة ،الآية :1.

3- سورة المائدة ، الآية: 3

4- سورة الروم ، الآية :3.

5- سورة التوبة ،الآية :33.

6- ينظر : محمد خطابي، مدخل إلى لسانيات النص ،ص: 41.

وهو نفسه ما جاء في باب" المجمل والمفصل"، وباب "ذكر الخاص بعد العام"[1] فيؤتى به معطوفا عليه بالواو وللتنبيه على فضله حتى كأنّه ليس من جنس العام، في قوله تعالى:" حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى"[2] على القول بأنّها إحدى الصلوات الخمس في قوله تعالى:" مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ"[3]، فإنّ عداوة الله راجعة إلى عداوة حزبه جبريل كالمذكور أربع مرات فإنّه اندرج تحت عموم ملائكته، وتحت عموم رسله، ثم عموم حزبه، ثم خصوصه بالتنصيص عليه.

ك- المناسبة: تناول "الزركشي" مسألة المناسبة بين الآيات وفائدته " جعل أجزاء الكلام بعضها أخذا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حالة حال البناء المحكم، متلائم الأجزاء"[4]، فيعتبره من محاسن الكلام الذي يرتبط عبر آلية التناسب لئلا يكون منقطعا، يقول الشّيخ "عز الدين بن عبد السلام": "المناسبة علم حسن، ولكي يشترط في حسن الارتباط أن يقع في متحد مرتبط أوله بآخره.

1- المرجع السابق:ص:42

2- سورة البقرة ،الآية :238.

3- سورة البقرة ،الآية :98.

4- بدر الدين الزركشي ، البرهان في العلوم القرآن ،ج1، ص :36.

فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباطهما بالآخر"[1]، فالمناسبة هي من الوسائل التّي تربط النّص القرآني أوله وآخره هذا الترابط بين الآية والآية، يتعدى إلى سورة والسورة، فنحن أمام مفاهيم تماسك النص والاتساق والتناسق الذي يجعل القرآن كلاّ واحدا منظما ومنسجما متكاملا.

"الزّركشي" "حين يشير إلى افتتاح سورة الأنعام بالحمد ،فإنّه يتناسب لختام سورة المائدة في فصل القضاء وافتتاح سورة فاطر بـ "الحمد" أيضا ، فإنّه مناسب لختام ما قبلها"[2].

من قوله :" وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ "[3].

ذكر الشيخ "كمال الدّين الزّملكاني" في بعض دروسه مناسبة استفتاحها هذا ما لخّصه:" إنّ سورة بني إسرائيل افتتحت بحديث الإسراء، وهو من الخوارق الدّالة على صدق رسول الله- عليه الصلاة والسلام-، إنّه رسول من عند الله، والمشركون كذّبوا ذلك وقالوا:" كيف يسير في ليلة من مكة إلى بيت المقدس وعادوا وتنعتوا وقالوا: صف لنا بيت المقدس، فرفع له حتّى وصفه لهم، والسبب في الإسراء أولا لبيت المقدس، ليكون دليلا على صحة قوله بصعود السموات، فافتتحت أولا بالتسبيح تصديقا لنبيّه فيما ادّعاه...وأمّا الكهف فإنّه لما احتبس الوحي وأرجف الكفار بسبب ذلك، أنزلها الله ردا عليهم، وإنّه لم يقطع نعمه على نبيّه، فتناسب افتتاحها بالحمد الله

1- المصدر السابق ،ج1،ص: 37.

2- بدر الدين الزركشي ، البرهان في العلوم القرآن ، ج1،ص: 38.

3- سورة سبأ ،الآية :54.

على هذه النعمة، وإذا ثبت هذا بالنسبة إلى السور، فما ظنّك بالآيات وتعلق بعضها ببعض، بل عند التّأمل يظهر القرآن كله كلمة واحدة"[1].

فهذه النظرة لعلم المناسبة الواردة في كتاب "الزركشي"، هي كالانسجام الداخلي للنص القرآني، فهو يربط بين اسم السورة بعنوان معين بالسياق الثقافي المتحكم في تقاليد الكتابة عند العرب قاطبة فهو شبيه بالتغريض الذي يتجلى في العلاقة بين العنوان وموضع الخطاب، فالعنوان يهيء لنا نقطة البداية فيتبين لنا حولها اللّاحق من الخطاب، بل تهيئ أيضا نقطة بداية تقيد تأويلنا لما سيلحق[2]، فوظيفة العنوان في الخطاب هي أداة إبراز لها قوة خاصة ويترتب عنها خاصية خلق التوقعات فالعناصر المبرزة حسب "براون ويول" لا تمدنا فقط بنقطة انطلاق نبني حولها كل ما يكمن في صلب الخطاب، بل إنّها تمدنا كذلك بنبذة ملخصة حول موضوع الخطاب، و ثم تسهم في تقطيع النص إلى مقاطع أصغر[3]، فيقول في هذا الصدد:" لا شّك أنّ العرب تراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر، ومستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة أو تكون معه أحكم أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز، كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لما تردد فيها من كثير من أحكام النساء وسورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها"[4].

1- المصدر السابق ،ص: 39.

2- ينظر :محمد الخطابي ،لسانيات النّص،ص:139.

3- ينظر : براون ويول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطني منير التريكي،النشر العلمي والمطابع جامعة الملك سعود ،الرياض ، ط1، 1998 ،ص:182.

4- بدر الدين الزركشي ، البرهان في العلوم القرآن ،ج1، ص :270.

4-النظرة الشمولية للنّص القرآني عند السيوطي:

يرى "السيوطي" أنّه لا يحصل الوقوف على المعنى الكلي إلاّ عبر الربط حيث يقول:" الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبة الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر إلى الغرض الذي سيقت له السّورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد كم المطلوب وتنظر عند انجرار الكلام في "مقدمات" إلى ما ستتتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللّوازم التابعة له تقتضي البلاغة شفاء العليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا الأمر الكلّي المعين على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، فإذا فعلته بيّن لك وجه النّظم مفصلا بين آية وآية وفي كل سورة وسورة"[1]؛ إنّ هذا القول يبيّن وقوف "السيوطي" على عمليتين وهما: الغرض أو القصد من السورة، وما يتبعه من حكم المتلقي لهذه المقدمات التي تعبر عن الغرض بحيث يستطيع أن يتلقف السور بمعناها الشمولي الكلي.

"فلا جرم أنّ الغرض الكلّي يوازي مفهومه ما جاء به" فان ديك "حول البنية الكلية أو موضوع الخطاب"[2]، وهو محور النّص/الخطاب بحيث تنقسم إلى مقدمات تؤسس للغرض الكلّي وتجمع خيوطه ومدى تحقيق التوافق في المطلوب أي درجة قربها وبعدها من الموضوع الكلي أو البنية الكلية، وما ينفكك إلى الاهتمام بذوق المتلقي "نفس السامع" المتفحص لنهج "السيوطي" وطرحه في طريقة عرضه لكتاب الله خاصة قضية الإعجاز القرآني سيلاحظ النهج المختلف والمحاولة الجادة، القراءة

1- أبو بكر السيوطي ، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن ، معترك الأقران في الإعجاز القرآن ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت، م ج1،ط1، 1988م-1408هـ ،ص: 49.

2- محمد عبد الباسط عبيد ، الخطاب قراءة في علوم القرآن، مكتبة الآداب ،القاهرة، ط1، 2009،ص:23.

الشاملة وانتظام الأجزاء في القالب الكلّي حتى يبدو أنّ المتفرق ملتئما يضع الحكم في السياق ولا ينظر إلى الجزء منفردًا وهي النظرة التّي تعامل معها المفسرون والبلاغيون في إطار تجاوز الجملة إلى الخطاب والنّص والملفوظ قيد الاستعمال، ممّا يجعلنا نتأكد أنّ العرب عرفوا ثنائية النّص والخطاب كتصور مبعثر في ثقافتهم وأنّ محورها الأول والأخير هو "القرآن الكريم ".

قرن "السيوطي" المناسبة كوجه من وجوه الإعجاز لكن أبرز ما يشد الباحث هو تلكم العلاقات الرابطة بين الآيات التّي تنطوي تحت باب المناسبة " المناسبة في اللغة المشاكلة والمقاربة ومردّها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينهما عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع علاقات التلازم الذّهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضّدين ونحوه"[1]، وقد استعارها "الزركشي" في بيان تفصيله عن المناسبة والروابط بين الآيات "فالسيوطي" يجعل من فائدة هذه العلاقات:

1 – تقوي الارتباط.

2 – يصير التأليف حالته حال البناء المحكم والمتلائم الأجزاء[2].

3 - ذكر الآية بعد الأخرى إمّا أن يكون ظاهر الارتباط لتعلّق الكلام بعضه ببعض وعدم تمامه في الأولى، وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على وجه التأكيد أو التفسير أو الاعتراض أو البدل.

أ- التماسك الكلي ووحدة الموضوع:

1- جلال الّدين السيوطي ، معترك القرآن في إعجاز القرآن ، ج1، ص :45.

2- المصدر نفسه ،ص :46.

"إنّ التماسك الدلالي ذو طبيعة دلالية، وعبره تتحقق النظرة الكلية للنص في إطار المقامي والمقالي، وصولا لبنيتة الكبرى التّي تمتاز بطبيعة شمولية، وبطابع كلي وأبعاد إطارية، وتتمثل هذه البنية الدلالية الكبرى في موضوع النص وتحديد الموضوع تابع للفهم الكلّي للنص"[1]، فقد ساوى الباحث بين التماسك الذي يؤدي إلى البحث عن بنيته الكلية ولا يمكن ذلك إلاّ عبر الوقوف على وَحدة الموضوع.

يتحقق التماسك الكلّي، إذا ما جسدناه من منظور الدراسات القرآنية بوَحدة الموضوع، فوَحدة الموضوع ليس معناها انفصال السورة عن البقية وانقطاع علاقتها بما سواها بل " إنّ السورة مهما تعددت قضاياها فهي كلام واحدة يتعلق آخر بأوله، وأوله بآخره، ويترامى بجملته إلى غرض واحد، كما تتعلق الجمل بعضها ببعض في قضية الواحدة وإنّه لا غنى لمتفهّم نظم السورة عن استفتاء النظر في جميعها"[2].

- يمكن تحديد الوحدة الموضوعية للسورة بأنّها النظرة الكلية من خلال:

1 – الحديث عن الموضوع السورة وهدفها.

2 – بيان الصلة بين مقدمة السورة وخاتمتها.

3 – بيان الصلة بين مقدمة السورة وموضوعها.

4 – بيان الصلة بين مقدمة السورة ومحورها وامتداد هذا المحور .

5 – بيان الصلة بين مقدمة السورة وسياقها القريب.

1– احمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم ، دار الأفاق العربية (القاهرة) ط1، 2014، ص :128.

2– محمد عبد الله دراز ، النبأ العظيم، دار طيبة ، الرياض ،ط1 ، 1997 ،ص :159.

6 – بيان الصلة بين تقسيمات السورة بعضها ببعض

(الأقسام والمقاطع والفقرات والمجموعات).

7 – بيان الوحدة الموضوعية لكل تقسيم.

8 – بيان الوحدة الموضوعية للآية الكريمة بمعنى اتصال أجزائها.

9 – بيان صلة بين خاتمة السورة وموضوعها.

10 – بيان الصلة بين خاتمة السورة ومحورها وامتداد هذا المحور[1].

فوحدة الموضوع هي النظرية التي استوعبت القرآن كله من سورة الفاتحة إلى غاية سورة الناس بما أنّها كشفت الصلة بين أقسام القرآن، وهنا لا يستثنى علاقة " علم المناسبات" بالوحدة الموضوعية لأنّهما متكاملان في الوصول إلى الوحدة الموضوعية التي تقرر النظرة الكلية الشاملة، كما أنّ التفسير الموضوعي يهدف إلى معرفة المقصد من كل سورة ويحدد موضوعها الرئيسي.

يقول الغزالي:" لابد من النّظر إلى القرآن نظرة شاملة للوصول إلى الفهم الصحيح لأحكامه وتعاليمه، ومن وسائل هذه النظرة التفسير الموضوعي بشقيه، النظرة الموضوعية للقرآن كله"[2].

هذا ما شرحه "فان ديك" حول التمثيل الدلالي وتحديد مفهوم "موضوع الخطاب" باعتباره قضية ناجمة منطقيا عن اجتماع مجموعة من القضايا التي يتم التعبير عنها

1– أحمد بن محمد الشرقاوي ، نظرية الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم من خلال كتاب "الأساس في التفسير " للشيخ سعيد حوا ، كلية التربية للبنات ، عنيزة، (د.ط.،د.ت)، ص :90.

2– محمد الغزالي ، كيف نتعامل مع القرآن ،دار نهضة مصر للطباعة و النشر ،مصر ،ط7، 2005 ص: 84 .

من خلال سلسلة الجمل أو ما يسمى " البنية الكبرى"[1]، فموضوعات الخطاب تنظم وتصنف المعلومات الدلالية الموجودة في تسلسل الكلام إلى مجموعات وحتى تتمكن من عملية "التقليص" التمثيل الدلالي لنحصل على تصوير موضوع الخطاب يجب العودة إلى المقطع النصي ويصنع جملة تبدو كأنّها تلخيص لأهم العناصر في هذا المقطع، ويكون ذلك عبر استعمال الروابط الشكلانية بين القضايا التي زعمها "ديك" واستخلاص علاقات الاستلزام المنطقية للفهم والتأويل[2]، وهو ما يحدث على مستوى الوحدة الموضوعية فيرى "عبد الحميد الفراهي" أنّ جميع السور القرآنية لها وحدة موضوعية تستخرج من السورة لبيان وحدة القرآن عبر نظام، وروابط الكلام التركيبة، الترتيبية والتناسب وأنّه مسوق إلى مقصد وغاية، فهي تعبير عن الموضوع الأساسي أو فكرة الملخصة أو الهدف الواحد أو المقصد الواحد أو محور السورة[3]. وهنا يشرح الوحدة الموضوعية التي تدور حولها السورة القرآنية عبر الترابط التركيبي والترتيب لغاية التناسب الذي يدلنا في الأخير على الموضوع الأساسي وهو نفسه ما يسمى وحدة النّص.

المبحث الثاني

1- وحدة النص القرآني لدى الأصوليين:

كان لعلماء أصول الفقه فضل كبير في بلوغ الدراسات النصية العربية شأوا عظيما، مقارنة بما تقدمت به الدراسات اللسانية الحديثة للنص، " وهذا الفضل مرده أولا وأخيرا الوصول إلى ضوابط وقواعد يتوصلون بها إلى فهم الأحكام من

1- ينظر : ج.ب. براون ج.بول ، تحليل الخطاب، ص: 148.

2- ينظر : المرجع السابق ،ص: 149.

3- ينظر : عبد الحميد الفراهي ، دلائل النظام ، ص :50.

النصوص الشرعية فهما صحيحا[1]، وفي تخوم هذه الدراسات التي اهتمت بقضايا الجملة والدلالة والتركيب إلى مراعاة النظرة الكلية للنص وإلى أهمية السياق في التلاعب بالمعنى[2]، "الواقف على هذا التراث الضخم سيعي لا محالة النظرة الشمولية التي استحدثوها أثناء بحوثهم الفقهية وهي نظرة توافق كلية لسانيات النص"[3].

و لذلك فإنّ علم الأصول ليس ذلك العلم الجاف الذي يعتمد المنطق في استخراج الأحكام فقط، بل هناك خطاب يعيد طبيعة التعامل بين الأفراد وكيفية تواصلهم.

وها هو الإمام الشافعي (492ه) مؤسس علم الأصول يقول فيما معناه:"

إنّما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها، وأن فطرته أن يخاطب بالشيء منه عاما ظاهرا يراد به العام الظاهر، ويستغنى بأوّل هذا منه عن آخره وعاما ظاهرا يراد به العام ويدخله الخاص، فيستدل على هذا ببعض مما خوطب فيه، فكل هذا موجود عمله في أول الكلام أوسطه أو آخره، وتبتدئ الشيء من كلامها يبيّن أول لفظها فيه عن آخره، وتبتدئ الشيء بين آخرها لفظا عن أوله"[4].

1- ينظر: أحمد الرسيوني ، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي ، المعهد العالمي الإسلامي ،الدار البيضاء المغرب، ط1 ، 1411هـ-1990م، ص :12.

2- ينظر: محمد عبد الباسط عبيد، النص والخطاب قراءة في علوم القرآن ،ص:17 .

3- بن يحي طاهر ناعوس ،تحليل الخطاب القرآني في ضوء لسانيات النص ، دراسة تطبيقية في سورة البقرة، دار القدس (وهران) ،(د.ط، د.ت)،ص: 83.

4- محمد إدريس الشافعي ، الرسالة ،تحقيق :أحمد محمد شاكر،(د ط د ت)، ص : 51-52.

و"هذه الإشارة من الشّافعي لأهمية السياق في تفسير المعنى ووجوب الاعتراف من هذه الدلالات الظاهرة ،والخفية للفهم العام، ولا مندوحة إن قلنا أنّه هو المؤسس الأول لعلم الأصول ،وكذلك النص"[1].

علم أصول الفقه هو علم يبين القواعد التّي ينبني عليها الفقه ،والأصوليون هم جماعة من العلماء الذين درسوا علم أصول الفقه، وهم يستنبطون الأحكام الشرعية من النصوص الكتاب والسنة[2]، ويعرفه الغزالي: "أصول الفقه عبارة عن أدّلة هذه الأحكام وعن معرفة وجوه دلالتها على الأحكام من حيث الجملة لا من حيث التفصيل"[3].

أ– مفهوم وحدة النص القرآني لدى الأصوليين:

ينبغي أولا الإشارة إلى الهجوم الذي تبنّاه بعض المستشرقين وشكوكهم غير الموضوعية والاختلاف والتناقض الحاصل في الآيات القرآنية وهذا ما تؤكده كتب المستشرقين حين أصدر "القس الدومينيكاني ريكاردوس سانتا كروز" كتابا في" نقص القرآن"، حيث يريدونه إلى صناعة بشرية تعمّ بالأخطاء والتناقض والتعارض[4].

هذه الكتابات ذات النزعة العدوانية وقبلها دعوات جمّة تسيء لآيات الله المحكمات فنبغ الفكر الأصولي الذي يدعو إلى " لا تضاد بين الآيات القرآن...بل الجميع جار

1– بن يحي ظاهر ناعوس ، تحليل الخطاب القرآني في ضوء لسانيات النص ، دراسة تطبيقية في سورة البقرة ، ص: 82.

2– ينظر : محمد علي الشوكاني ، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق : أبو حفص سامي بن عربي الأسري، دار الفضيلة للنشر والتوزيع (الرياض)، ط1، 1421هـ–2000م،ص :59.

3أبي حامد الغزالي ، المستصفى من علم أصول ،،تحقيق :أحمد زكي حماد ،دار الميمان ،الرياض، (د ط) (د-ت،) ص:7

4– ينظر: فاروق عمر فوزي ،الإستشراق والتاريخ الإسلامي القرون الإسلامية الأولى ، منشورات الأهلية ، عمان ،ط1، ص :54.

على مهيع واحد ومنتظم إلى معنى واحد"[1]. راح علماء الأصول يثبتون وحدة وتماسك وعدم وجود تضاد في القرآن الكريم والاقتراب من دلالة النّص على ما تحمله من معنى، والمعنى الذي يحمله النّص أنواع، منه الحقيقي – الاستعمالي- الوظيفي وهم في غمرة ذلك عليهم بالمعرفة اللغوية لتساعدهم على هذا الاستنباط ومراعاة جانب المتكلم ومقتضى الحال للوصول إلى الغرض الذي يفهم من كلامهم[2]، فالأصوليون هم أول من تعامل مع مفهوم النّص من خلال استنباطهم للأحكام الشرعية ،وفهم الخطاب الإلهي يتطلب الوقوف على مقاصده عبر آليات اتخذوا منها سلّما لبلوغ الكليات ،وبالتّالي فهم إرادة الشارع.

اهتم الأصوليون بالوحدة الدلالية ودرسوا مستويات العلاقة ووجوهها بين آي القرآن الكريم وسوره باعتباره:" كلاّ يتجزأ لأنه يهدف إلى غاية واحدة وإن تنوعت مظاهر تعبيره وينطلق من فلسفة منسجمة وإن تبيّن للناظر سطح الأمور تنوعا في القضايا لذلك يجب التسليم بأنّ الآيات التي تدور على قضية واحدة...لها ثابت تكملة وتبينه في الآيات المكية أو لتخصصه وتقيده في الآيات المدنية ولكن مهما كان الحال لا تناقضه"[3].

ومن خلال دراستهم للنص القرآني اهتموا بوحدة النص ودافعوا عن تماسكه وانسجامه، دفاعًا لشبهة التناقض أو الاختلاف. دأب الأصوليون وهم في غمرة التأسيس لعلم أصول الفقه ؛رافعوا عن وحدة النص القرآني ،وتماسكه، وقد أكدّ

1- الشاطبي أبو إسحاق ، الاعتصام، تحقيق: محمد رشيد رضا ، (د.ط.د.ت)،ج2، ص: 822.

2- عبد الله البشير محمد، اللغة العربية في نظر الأصوليين، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري إدارة البحوث (دبي)، ط1 1423هـ-2008م،ص :61.

3- محمد مفتاح ، دينامية النص ، المركز الثقافي العربي (دار البيضاء ، المغرب) ط1 ، 1987م، ص 192.

الشافعي وحدة اللّسان الذي نزل في الكتاب:" ومن جماع علم الكتاب الله: العلم بأنّ جميع كتاب الله إنما نزل بلسان العرب"[1].

ففي كلام "الشاطبي" بيان إلى دحض كل مميزات التضّاد، ووصف الآيات بطريق واحدة منتظمة إلى معنى واحد وهو المقصد من إقامة الحجة، ومن إنزال القرآن الكريم على نبيّه الكريم ألا وهو :"عبادة الله تعالى".

وفي إشارات لطيفة للكثير من الأصوليين على وحدة النص القرآني، يذكر " إسحاق الشيرازي" في كتابه (اللّمع في أصول الفقه) "أنّ القرآن الكريم من فاتحته إلى خاتمته كالكلمة الواحدة"[2]، اختصارا يجمع الروابط التي تعمل على جعل هذا القرآن كلمة واحدة تماسكا والتئاما وقوة وإعجازا، وهذه النظرة التي تجعل القرآن الكريم كلمة واحدة هي لا شك تعكس تفوق الأصوليين في رؤيتهم الحديثة التّي تتواءم مع مداخل لسانيات النص، ذلك النص المترابط المنسجم المتصل أوله بآخره وفق آليات مختلفة.

"ابن حزم الظاهري" يعقد فصلا مهما في ما ادّعاه القوم من تعارض النصوص يقول: "إذا تعارض الحديثان أو الآيات أو الآية والحديث فيما يظنّ من لا يعلم، ففرض على كل مسلم استعمال كل ذلك لأنّه ليس بعض ذلك أولى باستعمال

1- محمد بن إدريس الشافعي ، الرسالة ، ص :222.

2- الشيرازي أبو إسحاق ، اللّمع في أصول الفقه ،تحقيق : محي الدين ديب ، يوسف علي بدوي ، دار ابن الكثير، بيروت ، ط1، 1416هـ-1995م، ص: 42.

من بعض ولا حديث أوجب من حديث آخر مثله، ولا آية أولى بالطاعة لها من آية أخرى وكل من عند الله"[1].

ب– وحدة اللسان العربي:

بيّن الأصوليون وحدة النص من خلال النص نفسه ،وأنّ صفة الاختلاف والتضّاد تعتبر باطلا إذا ما قرأنا قوله تعالى:" وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا"[2]، وهي صريحة واضحة لا تحتاج إلى شرح ،وتفسير يوضح معناها. وفهم الأصوليون هذه الآية "أنّ صاحب الخطاب قد قررها مسلمة وجعل أمرها غير قابل للجدل، ومسألة تتجاوز الأخذ والرد لأنّ الله قد شهد له أن لا اختلاف فيه"[3]

وهو نفس الاتجاه يؤكده الشاطبي بقوله:" فإنّ الذي عليه كل موقف بالشريعة أن لا تناقض فيها ،ولا اختلاف ضمن توهم ذلك، فلم يمعن النظر ،ولا أعطى وحي الله حقه"[4].

فكان من شروط (مسلمة الوحدة) أنّه تجسد باللسان العربي ،وهذا ما أثاره الشافعي حين ذكر:" أنّ القرآن يدل على أنّ ليس من كتاب الله شيء إلّا بلسان العرب"[5].

وهو ما يتوافق مع قوله تعالى:" قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ".*

1– أبو احمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (الأحكام في الأصول الأحكام ، التحقيق: محمد حامد عثمان، دار الحديث (القاهرة)، ط1، 1419هـ–1998م، ص: 14.

2– سورة النساء، الآية :82.

3– ابن حزم ،الأحكام في أصول الأحكام، مصدر سابق ،ج1،ص:19.

4– الشافعي ، الرسالة ،ص :42.

5– المصدر نفسه ،ص:42.

*–سورة الزمر،الآية:28

إنّ خاصية "عربية القرآن" التّي أكدّها الشافعي ،وأتبعه بعد ذلك الشاطبي كلاهما نظرا إلى أهمية هذه الأوّلية المسلمة في فهم القرآن وتأويله وأيضا تحديد وحدته، وانسجامه الداخلي وهو ما تبيّنه وظيفة عربية القرآن في كتب الأصوليين.

أضاف الشافعي:" ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبا وأكثرها ألفاظا، ولا يحيط بجميع علمه إنسان غير بنيه، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها، حتى لا يكون موجودا فيها من يعرفه"[1] .

القول بعربية القرآن دليل على وحدته ووحدة اللسان، ومن هذا المنظور يردف الشافعي الحجة على عربية القرآن أنّه محض لساني عربي لا يخلطه فيه بغيره، أي ينتفي عنه أيّ عجمة تشوبه .

قال الله تعالى :" وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ".[2]

فالقول بعربية القرآن ليس من باب الترف وإنّما نزل بلسان العرب دون غيره، "لأنّه لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب وكثر وجهه وجماع معانيه وتفرقها ومن علمه انتفت عنه الشبهة التّي دخلت على من جهل لسانها"[3]، فوحدة اللّسان هو سبيل إلى الفهم الصحيح الذي لا يؤدي معه إلى خلط في الاستدلال بل إنّه يدعو إلى تجميع المعاني بعد الوقوف على دلالاتها وفق السياق واستنباط الحكم منها وبالتّالي يسهم بقدر كبير في جعلنا ندرك ذلك التوافق بينهما.

1- المصدر السابق ،ص:42.

2- سورة إبراهيم، الآية :4.

3- الشافعي ، الرسالة ،ص :50.

وضع الأصوليون وحدة اللسان من أولى أولوياتهم كما جمعوا القرآن والسنة كوحدة[1] شاملة خاصة أن القرآن الكريم معجزة بلغته وأساليبه انتظامه والمسلك لمعرفة كيفية الانتظام تتطلب من الباحث دراسة أساليب العرب للتمكن من الاستنباط والاستدلال واحتراز للخروج عن مقصدية الشارع .

إنّ اعتناء الأصوليين بأهمية اللغة العربية مرّده الوقوف على مقصودهم من جملها وعبارتها في الأمر والنهي والعموم والخصوص والإجمال والتبيين لاستنباط الحكم الصحيح كذلك معرفة الدلالات والأدلة اللّفظية من الكتاب والسنة والحقيقة والمجاز والعموم والخصوص والإطلاق ،والتقييد والحذف والاقتضاء والإشارة والإيماء وغيره مما لا يعرف من غير علم العربية"[2].

ج– الوحدة الدلالية:

لنبيّن علاقة الوحدة القرآنية، أو فكرة أنّ النص القرآني بنية واحدة متماسكة غير مفككة النظم ،ولا مبعثرة النسيج ،والترابط، لابّد من استظهار الوحدة الدلالية، فهي المنفذ الذي سلكه الأصوليون أثناء تباينهم لمسلمة "الوحدة "، وحين يتوفر نوع من الترابط ،والتلاحم بين أجزاء أي ؛بنية لغوية يصدق عليه القول مفهوم النّص[3].

وهذا الإقرار بالوحدة الدلالية أثناء إسهاماتهم الفكرية لا يمكن التنّكر له في مجال الدراسات اللغوية اللسانية النّصية (النحوي – الدلالي – التداولي) ،وربطها بالسياق التواصلي الذي هو محور الدراسات النّصية.

1– ينظر: الشاطبي ، الموفقات ، ضبطه وقدم له : أبو عبيدة بن حسن أل سلمان ، دار ابن عفان (د.ط.د.ت) مجلد1، ص :39.

2– ينظر :الأمدي علي بن محمد التغلبي سيف الدين أبو حسن ، الإحكام في الأصول الأحكام ، تحقيق :عبد الرزاق عفيفي ،المكتب الإسلامي ،ط2 ، 1402، ج1، ص: 9.

3- ينظر : محمد المالكي ، دراسة الطبري للمعنى من خلال تفسيره ، جامع البيان عن التأويل القرآن ، الملكة المغربية،ط1، 1417ه-1996م، ص:39

إذا ما عدنا إلى استظهار مفاهيم الانسجام لدى الباحثين يعتبر "فان ديك" أنّ تحليل الانسجام يحتاج إلى تحديد نوع الدلالة التي ستمكننا من ذلك، وهي دلالة نسبية أي أنّنا لا نؤول الجمل، أو القضايا بمعزل عن الجمل، والقضايا السابقة عليه " فالعلاقة بين الجمل محددة باعتبار التأويلات النسبية".[1]

وهذا التحديد الذي يرتكز على الترابط أو الربط الدلالي بحيث لا يقوم فقط على العلاقات النحوية الشكلية، بل يحتاج إلى ترابط آخر نتوصل إليه عبر التأويل أي؛ استظهار الخطابات السابقة في إطار المشابهة لإنتاج المعنى ،وتكوين الفهم.

وهذا ما يتوقف مع ما جاء به الأصوليون: "هم الأوائل الذين حاولوا تصنيف الدلالات الخالصة للنصوص ويطلقون عليها الإفادة المستقلة أو غير المستقلة للفظ المركب المفيد أو أقسام اللفظ باعتبار الوضوح وعدمه"[2]، وهذه الدلالات يتوصل بها إلى دلالات النصوص ومعرفتها توصل إلى معرفة الأحكام الفقهية.

إنّ اقتران علم الأصول ودلالة النص القرآني بغية فهمه وتأويله وتفطنوا لما يسمى بالسياق وقد استعمل الإمام الشافعي مصطلح السياق[3].

اهتم الأصوليون أكثر من غيرهم بنحو الخطاب أو ما يسمى لسانيات الخطاب بحيث نظروا "إلى النّص القرآني في كليته وشموليته"[1]، عكس النحاة الذين قصرت

1- محمد خطابي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص:139

2- :بن يحيى ظاهر ناعوس ، تحليل الخطاب القرآني في ضوء اللسانيات النص ، دراسة تطبيقية في سورة البقرة، ص: 86.

3- ينظر : هادي نهر ، علم الدلالة التطبيقي في الثورات العربي ن عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن،ط1، 1429هـ-2008م،ط2، 1432هـ-2011 م ، ص: 224.

نظرتهم إلى الخطاب القرآني باعتباره يخضع إلى أقيسة مجردة بعيدة كل البعد عن فكرة المتجانس الشمولي الموحد لذلك حاولوا أن يشكلوا،" نظرية دلالية، متماسكة تكشف عن نظام الدلالة ومستوياتها وطرق الكشف عنها كالحديث عن درجة الوضوح والقوة في الدلالة وطرقها وأنماطها وشمولها وتعددها وتغيرها"[2].

لوعدنا إلى الفكر الغربي الألماني حينما تناولوا النص، ومفاهيمه وكيف تشتغل طبيعة الدلالية فإنّنا سنجد ما يعاضد مباحث الأصوليين ،ويتقاطع مع علمهم لذلك يرى "ديك" أنّه "مجموعة دلالات خالصة ناتجة عن دلالات مركبة متعالقة إذ أنّ النص مسألة دلالية في الأساس"[3]، هو نفسه صرّح بما صرح الشاطبي إذ يقول:" أن يكون الاعتناء بالمعاني المبثوثة في الخطاب هو المقصود الأعظم"[4].

إلى ملاحظة السياقيين اللّفظي، والحالي (المقامي) للوقوف على طبيعة النّص دلاليا. "إنّ تفريقهم بين النّداء والندبة ،والاستغاثة تدل على وعيهم بالبعد التداولي للتركيب المعين فالدلالة في مقاصد الكلام تختلف وفق الظروف المقامية المختلفة "[5].

اهتمامهم بدراسة القرائن الحالية المتمثلة في أسباب النزول ومواقف ملابسة نصوص الحديث الشريف.

أما "القرينة فحينما نعرّفها الأمر الدال على الشيء من غير استعمال فيه"[1].

1- ينظر : محمد المالكي ، دراسة الطبري للمعنى من خلال تفسيره ، جامع البيان عن التأويل القرآن ، الملكة المغربية،ط1، 1417هـ-1996م، ص :34..

2- تمام حسان ، اللغة العربية مبناها و معناها ، دار الثقافة ، المغرب ، ط1، 1994، ص :24.

3- تون فان دايك، النص البنى ووظائف مدخل أوّلي إلى علم النص ،ترجمة: منذر العياشي ،ص: 30

4- ينظر :التفتا زاني مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين، حاشية التفتا زاني على مختصر المنتهي الأصولي لابن الحاجب، دار الكتب العلمية (بيروت لبنان)،ص :193.

5- هادي نهر ، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي ،دار الأمل للنشر والتوزيع ،(الأردن)، ط1، 2007، ص :218.

وقد تحدث الغزالي عن القرائن من باب طريق فهم المراد من الخطاب في تبيان دلالة المنطوق (الكلام الشفوي) وطرق الفهم :

الله – النّبي.

الله – الملك – النّبي.

ليصل إلى قواعد المخاطبة في معرض اللغة التي تتجلى في النص الاحتمال وهذا الاحتمال لا يعرف المراد منه إلاّ بانضمام قرينة إلى اللفظ، وهي إمّا لفظ مكشوف كقوله تعالى:" وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ "[2]. والحق هو العشر وإمّا حالة على دليل العقل كقوله تعالى:" وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ "[3]، أمّا قرائن الأحوال من إشارات ورموز حركات ،وسوابق ولواحق لا تدخل تحت الحصر والتجنيس، يختص بذكرها المشاهد لها".[4] و قد قسّموا الألفاظ إلى عام وخاص ومشترك.

عرّف الأصوليون الخاص بقولهم :" كل لفظ موضوع بمعنى معلوم على الانفراد وكل اسم لمسمى معلوم على الانفراد "[5]، والمعنى المعلوم على الإنفراد هو المعنى الواحد سواء أكان دالا على الأعلام مثل: زيد خالد أم معنى ذهنيا له وجود في الخارج كخصوص الجنس مثل الإنسان، وخصوص النوع مثل امرأة أما المعنى الذهني ليس له وجود في الخارج مثل العلم، وقضية التخصيص متعلقة بالإرادة والقصد أي إنّ اللّفظ (المفرد أو المركب) لا يتصف بالخصوص إلّا بإرادة

1- فاضل السامرائي، الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم، ط1،2000 ، ص: 59.

2- سورة الأنعام ،الآية :14.

3- سورة الزمر، الآية: 67.

4- أبو حامد الغزالي ، المستصفى من علم الأصول ، تحقيق: أحمد زكي حماد ، دار الميمان للنشر والتوزيع ،(السعودية،الرياض) ،(دط دت)، ص :353.

5- نظام الدين أبو علي أحمد بن محمد إسحاق الشاشي ، أصول الشاشي ، دار الكتب العلمية ،(بيروت ،لبنان)،ط1، 2002م-1424هـ، ص :13.

المستعملين، وهنا يشترط الدليل الظاهر إمّا بالقرائن اللفظية، أو القرائن غير اللغوية الإحالية.

7-الوحدة البنائية في النص القرآني عند المفسرين:

أــ مفهوم البنية النصية:

لا يمكننا معرفة الوحدة النصية حتى نفهم معنى البنية ،وكيف تعمل على مستوى النصوص، بحيث هي نسق من العلامات بين مكونات لغوية ظاهرة يحقق هذا النسق الوحدة الداخلية، وإذا كانت بنية النّص اللغوية تعتمد على الترابط اللفظي والتماسك الدلالي فالبنية النّصية لوحدة النّص تحتوي على الاتساق ،والانسجام.

وصف" فان ديك " المنظور النحوي الذي يدرس البنية الصغرى المتمثلة في الجملة إلى العناية بالبنية الكبرى متكونة من جملة متصلة طويلة تؤلف وحدة معنوية هي النّص[1].

يحدّد "فان ديك" :"طبيعة البنية الصغرى المتمثلة في الجمل المتتابعة على مستوى المفردات أمّا البنية الكبرى فيحدث التحول على مستوى الترابط الذي يجمع هذه الجمل المتفرقة وقضاياها، فيصبح النّص كلّا واحدا ،ويأخذ مفهوم الأبنية الكبرى بعدا دلاليا"[2]، فالبنية الصغرى تكون على مستوى التراص الداخلي، والكبرى لها مفهوم دلالي يكون شاملا لذلك الترابط الذي يحدث أفقيا.

" قد افترضنا أنّ الأبنية الكبرى للنصوص دلالية فهي بذلك تصور الترابط الكلّي ومعنى النص الذي يستقر على مستوى أعلى من مستوى القضايا الدلالية وبذلك

1- إبراهيم محمود خليل ، في اللسانيات ونحو النص ، دار المسيرة ، عمان ،ط1 ،1427-2007، ص: 196.

2- تون فان دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن البحري ، دار القاهرة للكتاب، (مصر ،القاهرة) ، ط1 ، 2001 ،ص: 100.

يمكن أن يشكل تتابع كلي أو جزئي لعدد كبير من القضايا وحدة دلالية على مستوى أكثر عمومية "[1].

الأبنية الكبرى هي التي تحدد معنى النص عبر الترابط الكلي ويطلق عليها أيضا: "موضوع الخطاب" الذي يسميها محمد خطابي " البنية الكلية ما لمتتالية من الجمل هي تمثيل دلالي من نوع ما"...بمعنى أنّ موضوع الخطاب والبنية الكبرى تمثيل دلالي إمّا لقضية ما أو لمجموعة من القضايا أو لخطاب بأكمله"[2].

وهي تمثيل للبنية الدلالية العميقة حسب "فان ديك" المعنى الشامل للنّص ويحصل عليه بنهج اختصار العبارات المتكررة ويستنبط "فان ديك" من قضايا النّص المحدد من قضايا سطح النّص ما تسمى بالقضايا الكبرى حيث يطبق سلسة من عمليات يسميها القواعد الكبرى[3].

ب- الموضوع بوصفة نواة مضمون النص:

وهو الفكرة الرئيسية أو الأساسية أو الموضوع المحوري، ويعرف انطلاقا من معرفة نواة مضمون النّص حيث يتّسم مسار الأفكار القائم على موضوع أو عدة موضوعات في نص ما (الأشخاص – الأحوال – الوقائع- الأفعال – التصورات) ويتحقق موضوع النّص (بوصفة نواة المضمون) إمّا في جزء معين من النّص أو تجرده من مضمون النّص، وذلك بطريقة العبارة المفسرة المختصرة، وهنا يتجسد مبدأ الإعادة عن طريق تحديد النّص التحليلي أن تنطلق من الموضوعات

1- المرجع السابق ،ص :79.

2- محمد خطابي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ،ص: 44.

3- ينظر : كلاوس برينكر ، التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج ، تر : سعيد حسن البحيري ، مؤسسة المختار ، ط1، 1425هـ-2005م، ص :70.

المحورية ـ فالنّص يحتوي على عدة موضوعات لكي نتمكن من أن نفرق بين الموضوع الرئيسي والموضوعات الفرعية نضع مبدأين هما[1]:

أ- مبدأ إمكان الاستنباط : ويعني أنّنا نعد الموضوع الرئيسي للنص، الموضوع الذي يمكن أن نستنبط منه الموضوعات الأخرى (بعد فهمنا النص).

ب- مبدأ التوافق: إن الموضوع والوظيفة التوصيلية للنص يتوافق كل منهما على الآخر[2] فهذان المبدآن هما المسؤولان عن تحديد الموضوع النواة ،والموضوع الفرعي أي الجزئي، وهذه العملية لاستخراج الموضوع الكلي مرتبط في الأساس بالوقوف على البنية الكبرى ذات تماسك دلالي وليتم التحصل عليها فعلى المفسر امتلاك مجموعة من القدرات تتوافق ،والنّص الذي يكون محور تفاعل بينهما.

ج- نظرية الوحدة البنائية لدى المفسرين:

يقصد "بالوحدة البنائية للقرآن الابتعاد عن قراءة القرآن بطريقة التجزئة"[3]، بل اعتباره محكما كالكلمة الواحدة ،وباعتبار الخصوصية التّي ينفرد بها عن مجمل الكتب المنزلة ،وغير المّنزلة تنتظم حروفه، وكلماته وآياته ،وسوره في سلك واحد، كونه منفردا من حيث الأهداف ،والمقاصد والغايات.

1- المرجع السابق ، التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ص :76.

2- المرجع نفسه ،ص: 77.

3- طه جابر العلواني ، الوحدة البنائية للقرآن المجيد، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، ط1، 2002م، ص:13.

و "هذا التّخلي عن النظرة الجزئية"[1] التّي كانوا يفسرون آيات القرآن دون النظرة إلى سابقها، ولا إلى لاحقها أي دون التعامل مع القرآن وحدة واحدة يفسر بعضه بعضا أدى إلى خطأ في فهم مراد الآيات القرآنية وأدّت إلى التناقض وعدم الانسجام

لهذا فالتاريخ العام للتفسير كله مشرّع لإثبات الإعجاز القرآني من خلال أسلوبه ونظمه وائتلافه، فراحوا يبحثون في وحدته وترتيب سوره، وخاصة المناسبات بين الآيات والسور التّي خصصنا لها مبحثا مفصلا، كما اهتموا بالوحدة الموضوعية التي تعني بالآيات القرآنية ذات الموضوع الواحد.

يُقصد بالوحدة الموضوعية في القرآن الكريم الأحكامُ والتناسب والتناسق والتناغم[2]، وهي تجمع الموضوعات المتعددة في القرآن كاملا أو في عدد من السور تشترك في أمر معين.

كذلك كل سورة من القرآن تعتبر وحدة موضوعية موحدة وتعالج موضوعا رئيسيا تندرج معه موضوعات جزئية فرعية، " فمن مظاهر الوحدة النصية الوحدة الموضوعية للسورة الواحدة إحكام نظم الكلمات في الآية الواحدة، والمناسبة بين الآيات في السورة الواحدة والمناسبة بين السور"[3]، فحسب "المودودي" أنّ القرآن ليس مفككا بالنّظر إلى موضوعه ،وبحثه الرئيس ،وهدفه فالباحث والموضوعات التي يعالجها من أوله إلى آخره تتصل ببحثه الأساس ،وهدفه اتصال لآلئ العقد الواحد ببعضها بعضا بالرغم من تباين ألوانها وأحجامها، إذ يضع القرآن أمامه

1- أمير فيصل فتح ، نظرية الوحدة القرآنية عند علماء المسلمين دورها في الفكر الإسلامي تحت إشراف : محمد عبد التواب حامد، الجامعة الإسلامية العالمية ، إسلام أباد، 1423هـ-2002م، ص: 10.

2- ينظر : إبراهيم مصطفى ، احمد الريان ، حامد عبد القادر محمد النجار ، المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة،القاهرة ، 2001 ،ص:55.

3- أمير فيصل فتح ، نظرية الوحدة القرآنية عند علماء المسلمين ودورها في الفكر الإسلامي تحت إشراف: محمد هبد التواب حامد ،ص :404.

هدفا بعينه، ووضّح أنّ السورة القرآنية بالرغم من أنّها نزلت في ظروف مختلفة لكن تشترك في إبراز ذلك الموضوع الرئيس الذي نزل من أجله[1].

"فمن خلال الوحدة الموضوعية يبحث عن المحور الأساسي الذي تدور عليه موضوعات السورة، فيذكر مقاصد السورة ،وموضوعاتها ثم ينظر إلى الموضوع المحور الأساس الذي يجمع هذه الموضوعات"[2].

قبل القرن الخامس، لم تكن هناك دراسات ناضجة حول الإعجاز البياني، بل دراسات متناثرة تصب كلّها في الردود على من يخالف رأيه أنّ القرآن معجزة عن طريق النظم، وقوة الأسلوب، يعالجون ما يوهم التناقض والتشابه، وهي تصب في وحدة القرآن، غير أنّ أهم مَن تناول النّص القرآني بتلك النظرة الكلية والمتماسكة فهما أبو "بكر الباقلاني"[3]، و"عبد القاهر الجرجاني"[4]، لتأتي بعدهما أقلام سخيّة تسهب في الحديث عن وحدة القرآن ومن أربابها "الشاطبي" و"الزّركشي "حيث عقدا بابا في علم المناسبات كما قدم "البقاعي" صورة عن الوحدة النصية من خلال كتابه (نظم الدرر في تناسب الآي، والسور القرآنية)، كما ظهرت مؤلفات "السيوطي" الذي ركز فيها على ربط السور القرآنية فقد عبّروا عن وحدة النص عن طريق البحث في قضية التناسب، و"تظهر أهمية الوحدة الموضوعية في تحديد ملامح الوحدة القرآنية التي أعانتهم على فهم القرآن بنظرة شمولية كلية"[5].

1- المرجع السابق ،ص: 403.

2- محمود الأطرش ، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم السورة القرآنية ، دار الإيمان ، الإسكندرية، ط1 ، 2008م،ص :26.

3- ينظر : أبو بكر محمد الباقلاني ، إعجاز القرآن.

4- ينظر : عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز.

5- أمير فيصل فتح ، نظر الوحدة القرآنية عند علماء المسلمين ودورها في الفكر الإسلامي ،ص 382.

ففي سورة البقرة فإنّ الموضوع الرئيس الذي تدور حوله آيات السور هو "الهداية" وكل السور تدعو لقبول الهداية الإلهية وفيها ذكر لليهود كي يذكرهم الله وينصحهم بأنّها نفس الهداية التّي أنزلت على نبيهم موسى- عليه السلام-.

تتم "الوحدة الموضوعية بتقسيم آيات السور إلى فقرتين موضوعية مع ربط كل منها بالموضوع الذي تهدف إليه السورة وهو الهداية"[1].

د- التناسق الموضوعي: وهو المعنى الذي يجمع ويربط بين موضوعات السورة ويبيّن علل ترتيبها لإبراز التلاؤم ،والانسجام والنظام ،والتتابع بين الموضوعات، وهو يبرز الانسجام وصفة التوالي والتتابع بين موضوعات السور بعد تحرير مقاصدها والغاية التي ترمي إليها كل سورة[2]، فالتناسق هو إبراز نظام بناء السورة الموضوعي في ترتيب وترابط وانسجام.

يقول الرّازي وهو يفسر سورة فصلت:" وكُلُّ مَن أنْصَفَ ولَمْ يَتَعَسَّفْ عَلِمَ"ذا فَسَّرْنا هَذِهِ الآيَةَ عَلى الوَجْهِ الَّذِي ذَكَرْناهُ صارَتْ هَذِهِ السُّورَةُ مِن أوَّلِها إلى آخِرِها كَلامًا واحِدًا مُنْتَظِمًا مَسُوقًا نَحْوَ غَرَضٍ واحِدٍ[3].

وهنا إذا فرقت أجزاءه فلا يتوصل إلى المراد فتقرير الوحدة الموضوعية هو تقرير بالتناسق الموضوعي "إنّك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثاً من المعاني حشيت حشواً وأوازعا من المباني جمعت عفواً، فإذا هي لو تدبرت بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسسٍ وأصول، وأقيم على كل أصلٍ منها شعب وفصول، وامتد من كل شعبةٍ، منها فروعٌ تقصر أو تطول، فلا تزال تنتقل

1- المرجع السابق ،ص:383.

2- ينظر : محمد بن عمر بازمول ، التناسق الموضوعي في السور القرآنية، الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، م1،ط1، 2008، ص: 11.

3- فخر الدين الرازي ، تفسير الرازي مفاتيح الغيب ، التفسير الكبير ، دار التراث العربي ، بيروت، 580/28.

بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيانٍ واحدٍ، قد وضع رسمه مرةً واحدةً، لا تحس بشيءٍ من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق، ولا بشيءٍ، من الانفصال في الخروج من طريقٍ، إلى طريقٍ...يريك المنفصل متصلاً والمختلف مؤتلفاً[1]

8- وحدة النص القرآني لدى المفسرين:

القرآن الكريم هو الوحي الإلهي ،وتمييزه نابع من كونه مصدرَ المعارف العربية ،وأول ممارسة نصية عند العرب[2] فأقبلوا عليه بالشّرح، والتفسير، يتأملون نظمه ويستكنهون معناه، فدرسوا آياته وسوره ،وتوصلوا إلى نظمه وإعجازه ووحدته، وتطرقوا إلى الجانب الجمالي فيه.

إنّ المفسرين انطلقوا من مفهوم وحدة النّص؛ أي اعتباره وحدة متماسكة متعاضدة، وهي لاشك ساهمت بنسبة كبيرة أثناء القيام بعمليات التأويل والشّرح، فعقدوا فصولا في الترتيب والتأليف والتناسب ،والتناسق كما بيّنوا علاقة القرآن بذاته كالحديث عن المحكم ،والمتشابه الناسخ ،والمنسوخ العام والخاص، المطلق والمقيد، هذه العلاقات التّي تستهدف الوحدة الدلالية[3].

ا- مفهوم التماسك النصي من خلال التفسيرات:

1- محمد عبد الله دراز ، النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن ، دار طبية للنشر والتوزيع ، ط1 ، 1421هـ - 2000م، ص 195.

2- ينظر :عبد القادر شرشار ، تحليل الخطابي الأدبي وقضايا النص ، منشورات دار الجزائرية ن ط1، 2015، ص:21.

3- ينظر : محمد المالكي ، دراسة الطبري للمعنى من خلال تفسيره ، جامع البيان عن التأويل أي القرآن ، وزارة الأوقاف الشؤون الدينية المملكة المغربية، ط1، 1417هـ-1996، ص: 40.

يلتبس لدى الكثير مفهوم التماسك النصي، هذا الالتباس مردّه الترجمات المختلفة ،وفوضى المصطلحات، فهناك من قيّده بالاتساق ،وآخرون بالانسجام "كل جملة تمتلك بعض أشكال التماسك عادة مع الجملة السابقة مباشرة من جهة أخرى كل جملة تحتوي على الأقل رابطة واحدة يربطها بما حدث مقدما، وبعض آخر من الجمل يمكن أن يحتوي على رابطة بما سوف يأتي لكن هذه نادرة جداَ وليست ضرورية للتعيين النص"□.[1]

إذن فالتماسك يتحقق عبر الترابط ،والعلاقات بين أجزاء الجملة لتنتقل إلى الفقرات ثم النّص أي ؛العلاقات الداخلية ،وبين ما يحيط به[2]، وإذا ما بلغنا كتب المفسرين فإنّنا نجد سبيلا من الأدوات ،والآليات التّي تدل على معرفتهم بمفهوم التماسك كتصور ناتج عن اهتمامهم بوحدة القرآن، واعتباره كلا موحدا.

ب– **حسن النسق:**" ورد مفهوم حسن التنسيق تعبيرا عن الكلمات المتتاليات العطوفات المتلاحمات تلاحما سليما مستحسنا بحيث إذا أفردت كل جملة منه قامت بنفسها، واستقلّ معناها بلفظها، ومنها قوله تعالى "وَقِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ "فإنّ جملة المعطوف بعضها على بعض بواو النسق على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة"[3].

ج– أهمية الترتيب في إبراز الوحدة القرآنية:

1– صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، دراسة تطبيقية على السور المكية ، ج1،ص :92.

2– ينظر : كلاوس برينكر ، التحليل اللغوي ،ص :59.

3– جلال الدين السيوطي ، معترك القرآن في إعجاز القرآن ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ن ط1408،1هـ – 1988م ، مج1، ص 308.

تناول السيوطي قضية الترتيب القرآني في كتابه: (تناسق الدرر) "حيث نوّه بأنّه مرتب ترتيبا محكما كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضا، يقول ابن عربي:" ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني منتظمة المباني"[1]، فالترتيب له دور كبير في حصول ،وانتظام الآيات على مستوى إدراك القارئ المتلقي ثم يأتي دور هذا الإدراك ليجعله مقبولا من الناحية الدلالية ،وبالتّالي منسجما.

يقول في شأن سورة الفاتحة: افتتح سبحانه كتابه بهذه السورة لأنّها جمع مقاصد القرآن، فصارت كالعنوان ،وبراعة الاستهلاك ،وقال الحسن البصري : إنّ الله أودع علوم الكتب السابقة في القرآن ثم أودع علوم القرآن في المفصل، ثم أودع علوم المفصل في الفاتحة.

يفصّل فخر الدين الرازي " القصد من سورة : " الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" يدل على الإلهيات قوله : "مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ" يدل على نفي الجبر ،وعلى إثبات أن كل بقضاء الله وقدره وقوله : "اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" إلى آخر سورة يدل على إثبات قضاء الله ،وعلى الثوابت ،وقد اشتملت هذه السورة على المطالب الأربعة التّي هي المقصد الأعظم من القرآن"[2].

د– فأسرار التنزيل، والترتيب وبيان" وجه التناسب بيان مناسبة مطلع السورة للمقصد الذي سيقت له، واعتبار كل سور في القرآن هي شرح ما أجمل في سورة

1– جلال الدين السيوطي ، تناسق الدور في تناسب السور ،تح: عبد القادر أحمد عطار ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ط1، 1406هـ– 1986م،ص :9 – 22.

2– المرجع نفسه ،ص :61.

التّي قبلها هو توصيف بأن الترتيب خاصة ،والاهتمام به من طرف المفسرين عامة يؤكد أنّه سلسلة واحدة متناسقة ، متناغمة"[1].

خصّص البقاعي للدفاع عن الوحدة القرآنية كتابة: نظم الدرر في التناسب الآي والسور يقول:" فعلم المناسبات القرآن علم من حيث الترتيب وثمرته الإطلاع أجزاء الشيء المطلوب علم مناسبته من حيث الترتيب ،وثمرته الإطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ماله بما وراءه وما أمامه من الارتباط، والتعلق الذي يعتبر كلحمة، ومنه يتحقق مقصد السورة ويفيد مفرعة المقصد هي جميع جملها "[2].فتحقيق معالم وحدة النّص القرآني من خلال الربط بين أواخر السور ،وأوائلها وتبيان مقاصد السور القرآنية لتحقيق الوحدة الدلالية وأيضا أجزاء القرآن (الربط بين مقاصد الصور القرآنية).

د– **الإجمال والتفصيل** :" كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها وشرح له وإطناب لا يجـازيه المجمل مـا لم تتضح دلالته، وهو واقع في القرآن خلافا للظاهر"[3].

يتضح ذلك من خلال سورة الأنعام في قوله تعالى: " وَكَذلِكَ نُرِي إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ"[4]، فهنا نلاحظ الإجمال تقرير من الله على بسطه الأدلة للخليل إبراهيم عليه السلام بهدف الوصول إلى حالة اليقين من الإيمان باللّه ويقصد بالإراءة توفير الأدلة الاستدلالية ثم باقي التفصيل: " فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ

1– جلال الدين السيوطي ، معترك القرآن في إعجاز القرآن ، ص :5.

2– البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآي والسور ، "المقدمة"،ج1،ص: 5–6.

3– جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، (مج3)،ص :53.

4– سورة الأنعام ، الآية :75.

رَأى كَوْكَبًا "[1]، "فجرى ذكر هذا الاستدلال كالشرح ،والتفسير لتلك الإراءة، فوجب القول إنّ تلك الإراءة، هي الاستدلال"[2].

ه– **الإتحاد والتلازم**: وهو ما يسمى بالإتحاد المعنوي أي التناسب بين خاتمة السورة الثانية لفاتحة السورة الأولى كان يذكر الأصل في سورة سابقة ثم يذكر في سورة لاحقة[3].

مثل: افتتاح سورة البقرة بقوله:" الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ" فإنّ إشارة إلى صراط المستقيم في قوله: "اهــدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ"، فإنّهم لما سألــوا الله : الهداية إلى الصراط المستقيم قيل لهم: ذلك الصراط الذي سألتهم الهداية إليه ،وهذا معنى حسن يظهر فيه سر ارتباط سورة البقرة بالفاتحة[4].

و– **قاعدة رد الإعجاز على الصدر**: "تظهر عند السيوطي فيما يسمى التعانق والتآلف"[5]، " بين سور الواقعة وسورة الرحمن، يقول: انظر إلى اتصال قوله هنا: الواقعة: "إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ" بقوله هناك في "الرحمن"، "فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ" ولهذا

1– سورة الأنعام ، الآية: 76.

2– خليل بن ياسر البطاشي ، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب ،ص :79.

3– ينظر قطب الرسيوني ، النص القرآني من القراءة إلى أفق التدبر ، منشورات وزارة والشؤون الإسلامية المملكة المغربية ،ط1، 1431هـ– 2010م،ص :92.

4– جلال الدين السيوطي ، التناسق الدرر في تناسب السورة ، ص: 65.

5– قطب الرسيوني ، النص القرآني من القراءة إلى أفق التدبر، ص:93.

اقتصر في "الرحمن" على ذكر انشقاق السمـاء، وفي الواقعة على ذكـر رجّ السّماء، "فكأنّ السورتين لتلازمهما ،واتحادهما كسورة واحدة"،[1] يمكن اعتبار هذه التخريجات التّي يتعامل بها المفسرون في شرح القرآن الكريم هي دليل على تماسك حاصل من الجزئيات لغاية اكتمال كله، وهي أيضا علاقات أكدّت على انسجام النّص القرآني ممّا تمنحه من استمرارية دلالية ،وهو ما يوّضح فكرة شمولية النّص القرآني.

1- جلال الدين السيوطي ، التناسق الدرر في تناسب السور ،ص :123.

3- أبعاد المناسبة في النص القرآني وعلاقتها بالاتساق والانسجام والارتباط .

أ – المناسبة لغة واصطلاحا :

المناسبة في المعاجم اللغوية تتخذ معنى المشاكلة ـ الارتباط بين الشيئين إذ يقول "ابن فارس": " فالنون والسين، الباء، كلمة واحدة مقياسها اتصال شيء بشيء"[1]، أما عند ابن منظور (ت811ه): الّنسبة والنسيب: المتناسب، وفلان يناسب فلانا، فهو نسيبه أي قريبه، وليس بينهما نسب: أي المشاكلة"[2].

أما الرّاغب الأصفهاني (ت502ه):" النسب والنسبة: الاشتراك من جهة أحد الأبوين، وذلك ضربان: نسب بالطول إلى الاشتراك بين الآباء والأبناء ونسب بالعرض كالنسبة بين بني الإخوة وبين الأعمام".[3]

وفي هذا المعنى أيضا يقول الزركشي:" ت(894ه) :"واعلم أنّ المناسبة علم شريف تحرز بيه العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول والمناسبة في اللغة المقاربة، وفلان يناسب فلانا أي يقرب منه، ويشاكله ،ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل كالأخوين ،وابن العمّ ونحوه، وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما وهو القرابة "[4].

ب-المناسبة اصطلاحا :

1- أحمد بن فارس ، مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ،لبنان،(د.ط) ، الجزء الرابع ، ص: 422.

2- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ،لسان العرب ، تح : عامر أحمد حيدر ، راجعه عبد المنعم خليل إبراهيم، إبراهيم / منشورات محمد علي بيضون، بيروت لبنان ،ط1، 2005 ،مادة النسب ،ص :118.

3- الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن تحقيق : تحقيق:عدنان الداودي ،دار القلم ،دمشق ،ط1، 1412 ،ج1 ،ص :801.

4- محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علم القرآن تح : أبو الفضل الدمياطي ، دار الحديث ،القاهرة،ط1 ، 2006،ص :35.

ارتبطت المناسبة بعلم القرآن الكريم، ولذلك يقول "البقاعي" (ت 885):"علم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيبه أجزائه وهو سرّ البلاغة "[1].

أما عند "القاضي أبو بكر بن العربي" (ت 543هـ): هو ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة ،ومتسقة المعني، منتظمة المباني "[2].

وأطلق على التناسب اسم النظام: " ومرادنا بالنظام أن تكون السورة وحدة متكاملة، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة ،واللاّحقة ،وعلى هذا الأصل، ترى القرآن كلّه كلاما واحدا ذا مناسبة ،وترتيب في أجزائه من الأول إلى الآخر"[3].

يرتبط علم المناسبة ارتباطا وثيقا بترتيب أجزاء القرآن العظيم وآياته، ويلتقي مع علم البلاغة في ترتيب المعاني المتشابهة المتسعة، حيث تكاد تقترب من القاعدة المعروفة عند البلاغيين،" لكل مقام مقال " ومطابقة الكلام بمقتضى الحال، ويعتبره الكثيرون جزءا من المناسبة، وهو مناسبة النص للواقع الذي يلقي فيه[4].ج

ج- نشأة علم المناسبة:

لم يكن في كتابات المتقدمين مصطلح المناسبة بعينه، ولا يعرف له واضع أو مؤسس غير أنّ من استعمله هو "الرّازي" (254 ه) عند تفسيره آخر سورة

1- أبو بكر البقاعي ، نظم الدرر في التناسب الآيات والسور ، الكتاب الإسلامي ، القاهرة ،ط1 ، 1340هـ-1983 ،ج1 ،ص:6.

2- بدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج1، ص: 32.

3- عبد الحميد الفراهي الهندي ، دلائل النظام ، الطبعة المحمدية .، ط1، 1388هـ ، ص:40 .

4- ينظر : عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، مصدر سابق ،ص:89.

المائدة حيث أشار إلى وجه التناسب بين خاتمة السورة وافتتاحها بقوله :" فيما أحس المناسبة بين ذلك المفتتح والمختتم"[1].

كما هو متباين لدى العرب قديما معرفتهم العربية عن سليقة ونبوغهم فيها، واطلاعهم على تفاسير القرآن الكريم لذلك ورد عن (الأصمعي) أنّه قال :" كنت أقرأ سورة المائدة ومعي أعربي[2] فقرأت هذه الآية :" وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [3] فقرأت "اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" ، ثم تنبهت فقلت :" اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" فقال الأعرابي :" فقال: الآن أصبتَ، فقلت : وكيف عرفت؟ قال:" يا هذا عَزَّ فَحَكَم فقطع ولو غفر ورحم لما أمر بالقطع".

انشغل أكثر البلاغيين والمفسرين:" كالجرجاني، والزّمخشري، وابن عاشور بالنظم داخل الآية القرآنية المنفردة غالبا، وبين الآيات المتجاورة لذلك فإنّ"علم التناسب ينظر إلى نظام الرّبط بين أجزاء السورة جميعا، بل يمتد إلى القرآن كلّه، ومن ثم التعامل معه وحدة واحدة، والسورة وحدة واحدة، بل إنّ آيات القرآن الكريم لترتبط حتى تكون كالكلمة الواحدة"[4]، وهذا ما نجده عند بعض المفسرين الذين تحدثوا عن المناسبة في مواطن كثيرة من التفسيرات، وإن لم يلفظوا بمصطلح التناسب لكنّهم دعوا إلى المزج بين تفسير آيتين لاستنتاج العلاقة بينهما نذكر منهم:

1- ينظر : إقبال وافي نجم تحت إشراف الأستاذ المساعد الدكتور صباح عباس عنوز ، التناسب ودوره في الإعجاز القرآني رسالة ماجستير في الشريعة والعلوم الإسلامية ، جامعة الكوفة . كلية الفقه ، سنة 2009،ص :14.

* أفاد الزركشي أن أول من ألف في المناسبة هو الشيخ أبو بكر النيسابوري على حد تعبير الشيخ أبو الحسن الشهر باني ،ينظر:الزركشي،البرهان في علوم القرآن ،ص:25.

2- عبد الرزاق الصنعاني ، المصّنف ، دار التأصيل ، ط1، 1436هـ - 2015م ، مج8، ص 100.

3- سورة المائدة الآية رقم :40.

4- بد ر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن، ج1،ص :36.

1 – أبو جعفر الطبري (ت 310) لم يذكر التناسب في كتابه البيان عن تأويل آي القرآن[1]، كتصور مفاهيمي في تفسيره الذي اعتمد فيه على التأويل بل قام بعملية الجمع بين الآيتين وهذا الجمع والربط للتوصل إلى المعنى والفهم الكلي يقارب المناسبة.

2-عبد القاهر الجرجاني، القائل بنظرية النظم، وهي تقترب لحد ما يسمى بالتناسب

يقول عبد القاهر :" تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضهما بسبب من بعض [2]"
غير أنّ الجرجاني رسم معمارية ما يسمى التناسب والوحدة النصية في القرآن الكريم[3]، وجهوده انصبّت على أنّ الترتيب هو الأساس في النظم، و"الجرجاني" يقرّر أنّ ترتيب الآيات والسور والأعشار هو على أكمل وجوه الاتساق والنظام والإتقان والالتئام والإحكام[4]، لكنّه في التقعيد والتطبيق ركّز على الترتيب في الجملة والآية ولم يتجاوزه إلى وحدة السورة أو التناسب بين السور أو الوحدة في القرآن الكريم".

الزمخشري :(ت 538 هـ) خصّ الزمخشري تفسيره بعلمين هما علم المعاني وعلم البيان لإظهار جمال النظم القرآني من خلال أسرار البلاغة، وتعامل معه من هذا المنطلق، في هذا الصدد يقول طارق مصطفى:" صرّح الزمخشري بنظم الكلم القرآني ولفت في حديثه عن افتتاح القرآن واختصاصه إلى كون القرآن وحدة واحدة

1- ينظر: أبو جعفر ، تفسير الطبري المسمى جامع البيان ، في تأويل القرآن،دار الهجرة ،القاهرة ،ط1، 2001.

2- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ،ص :4.

3- ينظر : كتاب طه جابر العلواني ، الوحدة البنائية للقرآن المجيد ، مكتبة الشرق الدولية (القاهرة) ، ط1، 1427هـ- 2006، ص :3.

4- ينظر : درويش الجندي ، نظرية عبد القاهر في النظم ، دار العلوم، (القاهرة ، ط1، 1960،ص : 84-85.

ولمّح- وهو يميّز بين الإنزال والتنزيل- إلى أن الترتيب توفيقي، وهو ما أكدّه في تفسير سورة القدر، فالقرآن بحسب ما يفهم من كلام الزمخشري في المقدمة حين أنزل جملة واحدة إلى سماء الدنيا كان مؤلفا منظما، ثم تنّزل مفرقا على النبي- صلى الله عليه وسلم-)، لكن جمعه في المصاحف كان وفقا للترتيب الأول"[1].

4 – القاضي أبو بكر بن العربي (ت543)[2]: ذكره الزّركشي مستشهدا بقوله: "

ارتباط آي القرآن بعضها حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني، منتظمة المعاني، علم عظيم لم يتعرض له إلاّ عالم واحد عمل فيه بسورة البقرة، ثم فتح الله -عز وجل- لنا فيه، فلم نجد له حملة ،ورأينا الخلق فيه بأوصاف البطلة ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله ورددنا إليه"[3].

5 – بدر الدين الزركشي: (ت794هـ) من العلماء الذين استفاضوا في ذكر علم

التناسب كفرع لمعرفة أسرار القرآن وقد صنّفه في الفهرست في الترتيب الثاني بعد معرفة سبب النزول، وذكر أهم رواده الذين تناولوه بغزارة كفخر الدّين الرّازي وقد بنى وجه التناسب على الرّبط بين مبدأ الترتيب ،والنزول ثم ذكر بعض

1- طارق مصطفى محمد ، التناسب في سورة البقرة، رسالة ماجستير ، جامعة القدس ، 1428هـ/2007م،ص: 45

2- الإمام العلامة الحافظ القاضي أو بكر ، محمد بن عبد الله محمد بن عبد الله ابن العربي الأندلسي الاشبيلي المالكي مؤرخ وقاضي شرعي ومفسر وفقيه ومحدث ولد في اشبيلية سنة 468 هـ من مؤلفاته قانون التأويل كوكب الحديث والمسلسلات أمهات المسائل نزهة الناظر ينظر: الحافظ أبو عبد الله شمس الدين الذهبي ، سير أعلام النبلاء تح : بشار معروف وآخرون ، ط1، 1402هـ-1982، ج29 ، الطبقة 29 ،ص: 198-199.

3- بدر الدين الزركشي ، البرهان في العلوم القرآن ، ج1، ص :16.

المناسبات بين السور ،وكيف ترتبط، ومناسبة فواتح السور لغاية ما يجعل من القرآن كله كالكلمة الواحدة [1].

6 – برهان الدّين البقاعي: (ت885هـ) من خلال كتابه "نظم الدرر في التناسب الآيات والسور" [2] فإنّه استوفى هذا العلم حقّه من التأليف ،والتنظير بل جعله شاملا لكل خصائصه بين الآيات والسور والمطالع وبين البداية والنهاية دالا على وَحدة النّص القرآني وفي هذا الصدد يقول مصطفى طارق :" ولعلّ جهد البقاعي في نظم الدرر هو الكامل ،والملّم والأكثر تفصيلا، والأكثر شمولية من كل سابقيه ومعظم الذين جاؤوا بعده، فإنّه قد جعل المناسبة هي محور الكتاب الذي حوى كنوزا من هذا الفن، ولا عبرة بما يقال أحيانا عن تكلفة فيه، فبعضه من كلام الأقران أو الذين لا يقدرون هذا العلم حق قدره، ثمّ هل يتوقع من البقاعي وقد أخذ على عاتقه استقصاء وجوب التناسب في القرآن كله؟"[3].

السيوطي (ت911هـ) : تأتي أهمية كتابه " تناسق الدرر في تناسب السور" في بيان استفراده بأهمية التناسب وكذلك ذكره في عنوان الكتاب، وهو استفاد من كتب الأوّلين ،ومن تناولهم لهذا العلم في تفاسيرهم، كما أنّه ذكر بأنّ ترتيب القرآن قديما يعرف بعلم المناسبات أي ما هو مرتب في المصحف أما ترتيب النزول فغير متوفر إلا ما ورد نادره في كتب الأصوليين [4].

1- ينظر:المصدر السابق ،ج1، ص: 35-49.

2- ينظر برهان الدين أبي حسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، جزء 22.

3- طارق مصطفى ، التناسب في سورة البقرة ،ص :21.

4- ينظر : الحافظ جلال الدين السيوطي ، تناسق الدرر في تناسب السور ، تحقيق : عبد القادر أحمد عطار ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ط1، 1406هـ- 1986م، ص : من 1 -29.

يشير الألوسي (1270هـ) في تفسيره (روح المعاني وتفسير العظيم والسبع والمثاني) إلى علاقات التناسب بين الآيات وكذلك ما بين السور، وعلاقات التناسب التّي تجمع بين سورتي المائدة ،والنساء يقول:" إنّ هاتين السورتين في التلازم والإتحاد، نظير البقرة وآل عمران، فهما اتحدا في تقرير الأصول من الوحدانية والنبوة ونحوهما، وهاتان في تقرير الفروع الحكيمة"[1]، هذا التلازم ،والاتحاد الذي ذكره الألوسي هو نتاج ما استنتجه من أهداف سورتي البقرة وال عمران وما يحملانه من التوحيد والنبوة، وهو بذلك يتّبع العلماء السابقين في تقريرهم بالتناسب كتصور مفاهيمي تطبيقي، يرى أنّه يحدث إلاّ إذا ردّوا الأصول إلى الفروع وعلى إثرها يتم تماسكهما ،و يحصل الفهم الصائب .

د- علاقات المناسبة في القرآن:

وفي هذا الصدد "يذكر السيوطي أنواع ارتباط الآي بعضها ببعض وأرجعه لتعلق الكلام بعضه ببعض، ويكـون على جهة التأكـد والتفسير، أو الاعتراض، والتشديد أو لا يظهر الارتباط، بل يظهر إنّ كل جملة مستقلة عن الأخرى وأنّها خلاف النوع المبدوء، إمّا أن تكون معطوفة على ما قبلها بحرف من حروف العطف المشترك في الحكم"[2].

1 – أن تكون معطوفة، ولابّد أن تكون بينهما جهة جامعة على ما سبق تقسيمه كقوله تعالى :"يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا"[3] وقوله :" وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ"[1].

1– شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان،ج3، ص: 222.

2– الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ،ص :40.

3– سورة الحديد، الآية: 4.

وفائدة العطف جعلها كالنّظيرين ،والشريكين .

وهذا ما أكدّه "عبد القاهر الجرجاني" حينما تحدث عن الوصل الذي قصد به عطف الجمل بعضها على بعض: " اعلم أنّ العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض ،أو ترك العطف فيها ،والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى"... فقد جاء عن بعضهم أنّه سئل عنها فقال:" معرفة الفصل من الوصل ذاك لغموضه ،ودقة مسلكه...واعلم أنّ سبيلنا أن ننظر إلى فائدة العطف في المفرد ثم نعود إلى الجملة فننظر فيها ،ونتعرف حالها" [2]، فالفصل، والوصل هما ثنائية تعزّز معنى الاتساق ،والترابط .

وقد" تكون العلاقة بينهما مضادة ،وهذا كمناسبة ذكر الرّحمة بعد ذكر العذاب والرّغبة بعد الرهبة، وعادة القرآن الكريم إذ ذكر أحكاما ما ذكر بعدها وعدا ووعيدا ليكون ذلك باعثا على العمل بما سبق، ثم يذكر آيات التوحيد والتنزيه إلى ليعلم عظم الآمر والنّاهي"[3].

وقد تأتي الجملة معطوفة على ما قبلها ويشكل وجه الارتباط، فيحتاج إلى شرح، ومنها قوله تعالى:" يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا"[4] ،والرّابط بين أحكام الأهلة ،وبين حكم إتيان البيوت هو أحدهما كأنّه قيل لهم عند سؤالهم عن الحكمة في تمام الأهلة ونقائصها:" معلوم أنّ كل ما يفعله الله فيه حكمة ظاهرة ومصلحة لعباده، فدعوا

1- سورة البقرة ،الآية: 245.

2- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ،ص: 146.

3- جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق : شعيب الأرنئوط، مؤسسة الرسالة ناشرون ، بيروت لبنان،ط1، 1429هـ- 2008م ،ص :631.

4- سورة البقرة ،الآية :189.

السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها أنتم ممّا ليس من البر في شيء وأنتم تحسبونها برّا".

ثانيا أنّه "من باب الاستطراد كما ذكر أنّها مواقيت للحّج ،وكان هذا من أفعالهم في الحّج، ففي الحديث: أنّ أناسا من الأنصار كانوا إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطا ولا دارا ،ولا فسطاطا من باب، فإن كان من أهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ،ويخرج أو يتخذ سلمّا يصعد به، وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء "[1].

الاستطراد في الحديث بالانتقال من موضوع إلى آخر لا يكون بهدف رفع الملل على القارئ، بل وسيلة لكشف الترابط بين الآيات "الموضوع" المعيّن ويعد أحد الوسائل ،والأدوات التي تفيد على فهم النص القرآني ببيان وجه الترابط بين ما ابتدأ به الكلام ،وبين ما انتقل إليه ، استطرادا لبيان أمر فيه جهة جامعة بينهما[2].

قال الله تعالى:" **يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**"[3].

قال الزّمخشري:" هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقب ذكر بدو السوءات وخصف الورق عليها إظهارا للمنّة فيما خلق الله من اللباس، ولما من العري وكشف العورة ومن المهانة والفضيحة، وإشعار بأنّ الستر باب عظيم من أبواب التقوى"[4].

ثالثا: من قبيل التمثيل لماهم عليه من تعكيسهم في سؤالهم، وأنّ مثلهم كمثل من يترك بابا ،ويدخل من ظهر البيت، فقيل لهم:" ليس البرّ ما أنتم عليه من تعكيس (الأسئلة) ولكن البّر من اتّقى ذلك"، ثم قال الله:" وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا"، أي

1- بدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن، ص :41.

2- ينظر :جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ،ص :632.

3- سورة الأعراف ،الآية 26.

4- جلال الدين السيوطي ،الإتقان في علوم القرآن ، ص 632.

باشروا الأمور من وجوهها التّي يجب أن تباشر عليها، ولا تعكسوها والمراد أن يصمم القلب على أن جميع أفعال الله حكمة منه [1]، وأنّه:" لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ" [2] في السؤال اتهام.

ن-المناسبة و دورها في انسجام و اتساق النّص وترابطه:

إن ظاهرة المناسبة مرّدها القرآن الكريم ،والبحث في فصول إعجازه وانبرى الكثير من الباحثين في هذا الميدان يبيّن دور المناسبة في تفسير النّص القرآني المقدس بيانا للكشف عن المعاني الكلية، وهو ما جاء به القدماء حين ضمّنوا فصولا عن المناسبة كأساس لفهم النّص القرآني بدءًا من فهم ارتباط السور ،والآيات، وبهذا حققوا دراسة الانسجام الداخلي للنّص من خلال علم المناسبة[3]، ويقصدون به "وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة أو بين السورة والسورة"[4]

ك ــ أثر المناسبة في وحدة النص القرآني:

بعد ظهور علم اللسانيات النّص، والبحث في كيفية انتظامه واتساقه وترابطه وانسجامه[5] ظهرت أعمال كثيرة تدعو إلى النّظر في دراسة "التناسب " ودوره الذي

1- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص: 41.

2- سورة الأنبياء ،الآية 23.

3- ينظر : قطب الرسيوني ، النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر مدخل إلى نقد القراءات وتأصيل علم التدبر القرآني ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية، ط1، 1431هـ – 2010، ص :92.

4- ابن القيّم الجوزيه الفوائد ، تح : محمد عزيز شمس ، دار عالم الفوائد ، د.ط.،د.ت، ص: 13.

5- ينظر : جميل حمداوي ، لسانيات النص وتحليل الخطاب بين النظرية والتطبيق، ص :29.

يحققه من خلال وحدة النّص القرآني، فالمناسبة تكون عبر التعانق، والتعاطف ظاهرا لارتباط الكلام بعضه ببعض، وهذا النوع لا يفصل فيه وقد يكون خفيا فيلوح للناظر كل جملة مستقلة عن الأخرى، وأنّها خلاف النمط المبدوء به، وهنا يفتقر إلى استجلاء الروابط المحتملة بين الآيات ،ويكون الاجتهاد في الكشف عن وجه المناسبة على أن لا يركب مركب التّحمل، ويدفع في وجه الإعجاز البياني بالمحامل الباردة"[1].

وهذا ما يدعونا إلى استحضار نظرة،"عبد القاهر الجرجاني" الصريحة في كتابه: (دلائل الإعجاز) يقول:" تأملوه سورة سورة وعشرا عشرا وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبوا بها مكانها، ولفظة ينكر شأنها أو يرى أنّ غيرها أصلح هناك أو أشبه أو أحرى أو أخلق بل وجدوا اتساقا بهر العقول وأعجز الجمهور ونظاما والتئاما وإتقانا وإحكاما"[2].

وهي نظرة تدعو إلى التأمل في المقصدية الكلية والأهداف الواضحة التّي تتعاضد عن طريقها الآيات والسور لتؤديها في نسق شامل، منتظم الأجزاء، يكشف عن وجه الإعجاز، يضاف إلى الأوجه الإعجازية الأخرى.

فعلم المناسبة ارتبط بقضية الإعجاز القرآني كما سبق ذكرها في نفس المنحى الذي بحث فيه عن آليات النّص الخاصة التّي تميّزه عن غيره من النصوص.

دأب علماء التفسير القرآني في البحث عن الكيفية التّي يبنى فيها النّص القرآني بكافة مستوياته، وهي السابقة لهم، "فالعرب لم يعرفوا الممارسة النصية التامة إلاّ مع القرآن وهي أولى هذه الممارسة، وتتمثل في الوقوف على النّص في ذاتيته

1- الجويني ، البرهان في أصول الفقه ، تح: عبد العظيم الدّيب ،دار الوفاء، مصر، ط3 ،1412 ص 37.

2- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، ص :89.

النصية"[1]، هذا الإقرار بالسّبق عند العرب الذي يرى فيه الباحث أنّ الممارسة النّصية بدأت فقط وحصرا مع "القرآن الكريم " هي وجهة صائبة من الناحية العلمية والمنهجية والمعرفية، وما يؤكد ،ويعضد إقراره هذا هو ما جاءت به دراسات المفسرين كعبد القاهر الجرجاني لغاية العصر الحديث.

" فدرسوه على مستوى الآية وعلى مستوى السورة ثم على مستوى النص ككل وبينوا كيفية التلاحم والترابط بين الأجزاء وكشفوا وظائف العلاقات الرابطة بين تلك الأجزاء داخل النص القرآني"[2].

وهذا يعني أنّنا إذا فصّلنا سورة قرآنية واحدة باعتبارها نصا قائما بذاته تتوافر فيه كل العناصر التّي تجعل منه كلاّ واحدا مترابط الأجزاء متسق المعاني على الرغم من اختلاف سور القرآن طولا أو قصرا أو تعدد القضايا التّي يطرحها ،واختلاف نزولها، فإنّها تشّكل نصا واحدا متكاملا منتظما.

للشاطبي (ت890هـ) رأي في هذا الموضوع حيث يرى أنّ السورة الواحدة تطرح موضوعات كثيرة، وهذا لا يخلّ بالارتباط الكامن بين الآيات: "إنّ الكلام المنظور فيه تارة يكون واحدا بكل اعتبار بمعنى أنّه أنزل في قضية واحدة طالت أو قصرت وعليه أكثر سور المفصّل وتارة يكون متعددا في الاعتبار بمعنى: أنّه أنزل في قضايا متعددة كسورة البقرة، وآل العمران والنّساء، وأقرأ باسم ربك وأشباهها ولا علينا أنزلت السورة بأكملها دفعة واحدة أم نزلت شيئا بعد شيء"[3].

1- عبد القادر شرشار ، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص ، منشورات دار الجزائرية، ط1 ، 2015، ص: 20.

2- حسين فخري ، نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدّال، دار العربية للعلوم ناشرون،ط1 1428- 2007م،ص :203.

3- الشاطبي أبو إسحاق بن موسى بن محمد اللحمي ، الموافقات في أصول الشريعة ،دار ابن عفان ، المملكة العربية السعودية،ط1، 1417 هـ ،ج3، ص: 375.

فالارتباط المترتب بين الأجزاء القرآنية يجعلها متناسقة متسقة، متلاحمة، تؤدي الوظيفة المنوطة بها ،وهي تحقيق الغرض الفكري العام الذي تستهدفه من خلال الفكرة العامة لأي موضوع.

لم يحفل الكثير من الباحثين بالبحث عن العلاقات الخفيّة التي تنظّم النص القرآني، وهو ما يدور في محور الانسجام ،وآياته المعتمدة المستقاة من النظرية اللسانية النّصية الحديثة.

وبما أنّ القرآن الكريم يختلف عن بقية النصوص في كثير من الإضاءات، فهو معجز، محكم البناء متناسق الآيات، قوي العبارات ،والمفردات وإذا أردنا أن نثبت انسجام النّص القرآني، فلا وسيلة أنجع من المناسبة، خاصة أنّ الكثير من المغرضين شككوا في مدى ترابط الأجزاء، وانسجامها بسبب تباعد النزول وانبروا إلى "أن ينفوا عن القرآن كلّ مظاهر النصية الموحدة للقرآن، وأنّه ليس نصا منسجما بالمعنى الحديث الذي يستلزم درجة كبيرة من الترابط في مستوى التأليف اللغوي، فليس في القرآن نص مترابط، ولا منسجم بل لا يوجد ذلك حتّى في السورة الواحدة "[1].

إنّ علم المناسبة إذا ما نظرنا له من وجهة لسانية حديثة، نصية ،فإنّه يعد أحد آليات الارتباط[2]، بل هو الوسيلة التّي يكشف بها عن الاتساق الدلالي ،وكيف ترتبط الصلات المعنوية بين أجزاء النّص القرآني، ويضاف كلبنة أخرى من وسائل الانسجام التّي يعرف بها الترابط ،والتلاحم القرآني.

1- عبد الرحمن بودراع: الخطاب القرآني ومناهج التأويل نحو دراسة نقدية للتأويلات المعاصرة الرابطة المحمدية للعلماء، الرباط،ط1، 2013، ص: 129.

2- ينظر : صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، دراسة تطبيقية على السور المكية ،ج2، دار قباء للطباعة والتوزيع ، القاهرة ،ط1، 1431هـ- 2000م ،ص :99.

تطرّق "الزركشي" وهو يشير للمناسبة في كتابة (البرهان في علوم القرآن) إلى ما يتشابه مع فكرة "فان دايك" عند حديثه عن مبدأ التعالق الجملي الواقع في التراكيب النصية[1]، ويقول: في إشارة منه ،وعرضه لأهميّة المناسبة ،ودورها في عملية الربط.

"المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول، وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها ومرجعه - والله أعلم- إلى معنى ما رابط بينهما: عام وخاص، عقلي أو حسي أو خيالي، وغير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضّدين ونحو أو التلازم الخارجي كالمرتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر"[2].

ويستفيض في شرح هذه الفائدة التّي تجعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط ،ويصير التأليف حاله حال البناء.

ذكر "فانك دايك" في تمثيله للترابط بين القضايا ووصف تتابع الجمل وفق السياق التواصلي، وقف عند العلاقة السببية التّي تربط واقعتان بعضهما بعضا، بحيث تكون (أ) سببا أو تعليلا ل(ب)، ولذا تكون (ب) نتيجة ل (أ)[3].

وقد وضّح "فان دايك" معايير توضّح التتابع الذي يشكل لنا نصا مترابطا أو متماسكا دلاليا.

1- حين يعيد صياغة ما أشار إليه ديك وما ورد في كتب المفسرين عن المناسبة خاصة العلاقات التي تسير مع الاتساق وعلاقة العلة والسبب وعلاقة الملائمة التي تصب مع مجرى الاتساق في جهة معرفية واحدة من منظور لسانيات النص الحديثة .

2- الزّركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج1، ص :35.

3- فان دايك ، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات ، تر: سعيد حسن بحري ، دار القاهرة للكتاب ، مصر ، القاهرة، ط1، 2001، ص :59.

فحسب رأيه:" إنّ التماسك بشكل عام يوضح العلاقات بين القضايا الفردية والقضايا الأخرى(داخل تتابع ما) ،وقد تحدد التماسك آخـــر الأمر ســواء على مستوى المعاني...وهكذا فإنّ التتّابع متماسك دلاليا؛ مرتبط تفسير كل قضية في التتابع"[1].

حينما نتابع تحليل" فان دايك "(V.Diyk)لمعان التتابع والتّماسك الدلالي ،وشروط ذلك التّماسك على مستوى القضايا حيث تفسر كلّ قضية بالموازاة مع القضايا الأخرى هذا ما يطلق عليه "فان دايك" التفسير النسبي.

يشرح "صبحي إبراهيم الفقي" ما ورد عند "الزّركشي" من شرط تحقيق المناسبة الذي يتعلق بمراعاة العلاقة القائمة بين مكونات النّص الواحد المتمثل في السورة على سبيل المثال، وفي عدة نصوص.

المعنى الرابط الذي اعتبره السيّوطي شرطا لوجود المناسبة هو ما " يقصد به الاستمرارية المحققة عبر كلمات وعبارات وجمل وآيات وفقرات مكونة للنص ومن ثمّ تظهر العلاقة بين المناسبة والتماسك النصي "[2].

ورد لدى "الزّركشي" بيان مفصل عن دور المناسبة في تحقيق الرّبط أو ما يسمى التماسك النّصي، وقد اشترط فيه، " حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره"[3].

هذا الإتحاد والترابط لابّد أن نبيّن الكيفية التّي تجعل سور القرآن مرتبة ترتيبا يعكس صورة التماسك فالترتيب يقع كالتّالي :

1- المرجع السابق، ص :75.

2- صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، دراسة تطبيقية على السور المكية ، الجزء الثاني ،ص :95.

3- الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج1،ص :37.

1 – ترتيب السّور التوقيفي: وهو ما اعتبره "الزّركشي"، "الرّاجح باعتبار افتتاح كلّ سورة ،وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها؛ثم هو يخفى تارة ويظهر تارة أخرى ؛ كافتتاح سورة الأنعام بالحمد مناسب لختام سورة المائدة من فصل القضاء" [1].وهذا المثال أورده الزركشي عن المناسبة و عن اختفاء الترابط على القارئ و عدم فهم طبيعة المناسبة بين افتتاح وختام السورتين .

2- وكافتتاح سورة فاطر بـ"الحمد الله" أيضا مناسب لختام ما قبلها من قوله: "وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ"[2].6

ي- نموذج تطبيقي "سورة مريم":

لا يمكن أن نحدد الترابط النّصي دون تحديد عناصره العامة ألا ،وهي "الأبنية الصغرى" و"الأبنية الكبرى" ثم أجزاء هذه العناصر فبنية النّص تعتمد أو تتضح من خلال الترابط اللفظي ،والتماسك الدلالي.

في معرض ارتباط المناسبة وشروط حدوثها كما فصّل السيوطي بوجود ،"معنى رابط بين المتناسبين واعتبر أنّ مرجع المناسبة في الآيات يربط بينهما رابط عام أو خاص، عقلي، أو حسي، خيالي"[3].

بنية النصّ العليا حسب مفهوم فان دايك(V.Diyk) هي :"إنّ البنية العليا هي نمـط من شكـل النّص (Text Form) موضوعـه، وهي مضمـون النّص(Textinhalt)[4]، وتحديد البنى الكبرى يرتبط أيضا بتفكيك العلاقات الظاهرة أو

1- المصدر السابق ، ج1، ص:38

2- سورة سبأ، الآية 54.

3- المرجع السابق :البرهان في علوم القرآن ،مج2، ص :35.

4- ينظر فان دايك ؛ علم النص ؛ مدخل متداخل الاختصاصات تر: سعيد حسن البحري، ص: 209.

المضمرة ،وهي أيضا القضايا الكبرى أمّا الأبنية الصغرى فهي أجزاء مترابطة داخل البنية الكبرى:" تركيبيا – دلاليا" إذ بها تتكون وتتشكل البنا العليا أو الكبرى.

1 – البنية الكبرى في سورة مريم:

يطلق بعض الباحثين مصطلح الفقرة[1] على البنية الكبرى، وكل فقرة تحتوي على بؤرة أصلية وكل فقرة تحوي جملة نحوية واحدة تشّكل في النّص نسبة تامة مستقلة بقابليتها للفهم في حين أنّ بقية الجمل التّالية لهذه النسبة تشّكل نسبيا ناقصة متعلقة بالجملة البؤرة وتابعة لها لا تستقل بقابليتها للفهم، وتقع هذه البؤرة الأصلية عادة بداية الفقرة بحيث تكون أول جملها[2].

نستدل بالمفسرين إلى أنّ المعنى الإجمالي للسورة أو "البنية العليا "، فهي وردت كردّ على اليهود فيما اقترفوه من القول الشنيع في مريم ،وابنها وكان فيها بيان نزاهة "آل عمران" وقداستهم، وذكر الأنبياء والمرسلين من أسلاف هؤلاء وقرابتهم، وكرامة زكرياء والإشادة بإبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وإدريس- عليهم السلام- وذكر جزاء الله من عقاب وثواب.

يمكن تشكيل المحاور الكبرى كالتالي:

محور التوحيد وهي الولد والشريك وقضية البعث القائمة على التوحيد.

1 – الرد على اليهود.

2 – مناقشة النصارى في قضية اتخاذ الله للولد.

3 – قضية زكرياء وولده يحيى عليهما السلام.

1- ينظر خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء تحليل اللساني للخطاب ،ص: 100.

2- المرجع نفسه ،ص :199.نقلا عن (أبو خرمة)، عمر ، نحو النص، ص: 114.

إنّ المناسبة هي بحث في أوجه الصلات المعنوية بين الآيات والسور وأسباب النزول وهي أيضا ربط بين النص القرآني وسياقه التاريخي وهي آلية من آليات الانسجام والاتساق والترابط في آن واحد.

2 – المناسبة بين السور واسمها.

يذكر الزّركشي في هذا الصدد أنّ تسمية السورة باسم معين " ليس إلاّ تعضيد لتقليد معلوم لدى العرب، وهو تقليد يراعي فيه من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصّه ويسمون الجملة من كلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتب العزيز"[1].

وغالبا ما يكون "اسم السورة مترجما عن مقصودها لأنّ اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسماه وعنوانه الدّال إجمالا على تفصيل ما فيه"[2].

وحسب عنوان سورة مريم فإنّها سميت على هذا النحو لوجود قرينة "قصة مريم" على الرغم من أنّها احتوت قصصا لأنبياء آخرين، "فابتدأت بقصة زكرياء ويحيى ثم تلتها قصة مريم وعيسى وطرف من قصة إبراهيم وغبنه ،وقصدية السورة التعقيب على قصة عيسى ابن مريم التّي كثر فيها الجدل ،واختلف فيها أحزاب اليهود والنصارى"[3]. وبسطت فيها قصة مريم وابنها وأهلها قبل أن تفصّل في غيرها، ولا يشبهها في ذلك إلاّ سورة" آل عمران" المدنية.

3– التماسك بين اسم السورة وقصة مذكورة فيها.

1– بدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج1، ص: 270.

2– برهان الدين ا لبقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ،الكتاب الإسلامي ،القاهرة ،1340هـ– 1983، ج1، ص :12.

3– السيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، بيروت، ط2 ،2004 ، ص:5000.

نستطيع أن ندرج نوع التماسك في التناسب بين اسم السور أو:

1 – حدث مذكور فيها.

2 – قصة مذكورة فيها.

3 – بين اسم السورة والسورة كلها.

4 – بينها وبين الآية الأولى.

5 – مناسبة أول السورة بآخرها[1].

4– مناسبة سورة لسورة أخرى:

سورة مريم ذكرت فيها إشارات بعدد من أنبياء الله تعالى ، ذلك سميت بهذا الاسم لأنّها كانت أكثر هذه القصص تفصيلا في السورة، وقد ذكرت قصتها أو إشارات في اثنتي عشرة سورة ،وفي أغلبها يقترن اسمها بعيسى - عليه السّلام - [2] فالتماسك النّصي في السورتين "الكهف" و"مريم" قائم على مرجعية السورة إلى العنوان أو اسم السورة.

5– مناسبة أول سورة بآخرها.

يتحقق هذا التماسك كما ذكره "إبراهيم الفقي" كالتّالي:

1 – تكرار اللفظ أو المعنى أو بالمعنى المترادف.

1– صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، دراسة على السور المكية ج2، ص 124.

2– المرجع نفسه، ص :167.

2 – الإجمال والتفصيل.

3 – المرجعية وهي المرجعية السابقة الداخلية[1].

في الآيات الأولى من سورة مريم قال تعالى:" كهيعص 1ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا "

2 إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا 3 قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا4"[2].

آواخر السورة:" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا 96 فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا97"[3].

6- مناسبة آيات السور لبعضها بعضا:

إنّ العلاقات التّي تربط أجزاء القرآن الكريم لفظة بلفظة ،وآية بأية وسورة بسورة، تأخذ طابعا شموليا كاملا، هذه العلاقات تتجسّد عبر وسائل مختلفة حددّها علماء اللغة النّصي، وها هي تتجسد بفيض كبير سابقة لتميز النص القرآني عن بقية النصوص البشرية. ذكر السيوطي أنّ مرجع "المناسبة في الآيات ونحوها إلى معنى "رابط بينها عام وخاص، عقلي حسي، أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات والتلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلول و النّظيرين والضدين ونحوه"[4].

1- المرجع السابق ، ص :124.

2- سورة مريم الآية من 1 إلي 9

3- سورة مريم الآية من 95 إلى 98.

4- الزركشي ، البرهان في العلوم القرآن ،ج1، ص :35.

هذه القرائن المذكورة تعزّز الترابط ،وقد أردف السيّوطي في شرح كيفية التماسك بين الآيات "بأنّ الارتباط إمّا يكون ظاهرا، وإمّا لا يظهر بل تكون كل جملة مستقلة عن الأخرى ،وهنا يشترط أن تكون معطوفة وإذا لم تكن معطوفة "[1].

من خلال سورة مريم يمكننا تعيين التماسك عبر الوسائل التّالية:

1– تناسب الفواصل عبر تكرار المد بالياء و الألف في الآيات كالتّالي: زكرياء، خفيّا، شيبا، شقيّا، وليّا، رضيّا، سميّا، عُتيّا، شيئا، سويّا، عشيّا، صبيّا، تقيّا، عصيّا، حيّا، شرقيّا، سويّا، تقيّا، زكيّا، بغيا، مقضيّا، قصيّا، منسيّا، سريّا، جنيّا، إنسيّا، فريّا، بغيّا، صبيّا، نبيّا، حيّا، شقيّا، حيّا .

تكرار هذا المد على مستوى (33 آية)، متتالية فهي أسهمت في جمالية النّص وتحقيق التماسك والارتباط، عبر الاستمرارية ،وانسجام الموسيقى فقد عرّف الرّماني (ت 386هـ) الفاصلة بقوله:" الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني والفواصل بلاغية ،والسجع عيب، وذلك أنّ الفواصل تابعة للمعاني، أمّا الأسجاع فالمعاني تابعة لها"[2].

وهذين الحرفين الأخيرين من الكلمة الأخيرة في كل لفظة، والدّلالة التّي تحملها تفهم من خلال السياق ،تجعل عملية التناسب الصوتي و جمالية النظم الموسيقي تنساب إلى النفس فتترك الأثر البالغ ؛خاصة في عملية الانسجام التي تحدث على مستوى الإيقاع الموسيقي وجمالية القرآن الكريم.

7– علاقة التضّاد:

1– المصدر السابق ، ص: 136.

2– الرماني أبو حسن علي بن عيسى ، النكت في إعجاز القرآن ،تح وتع : محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر ، د.ت.د.ط.، ص: 89.

وتكون بذكر الضدّ في الآية الواحدة مع مراعاة التقابل "ويسمى أيضا الطباق - التكافؤ -المقاسمة"[1].

ويمكن حصرها في سورة مريم كالآتي :

"وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا"[2].

"قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا"[3].

بين الآية : "يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا"[4].

و الآية "وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا"[5].

8- الإجمال والتفصيل:

هذه العلاقة شديدة الصلة بالتماسك النصي، ولا نقصد بالإجمال والتفصيل الأحكام الشرعية بل التفصيل يعد شرحا للإجمال وهو يحمل المرجعية لما سبق إجماله في التفصيل ، وردت الآية المجملة في قوله :"إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا " ليرد تفصيلا لأحوال الدّعاء في الآية التي تليها:" قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا"[6].

1- أحمد مطلوب ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ،العراق ،ط 1 ،1983 ،ص :368.

2- سورة مريم ،الآية: 33.

3- سورة مريم ،الآية :73 .

4- سورة مريم ،الآية :85 .

5- سورة مريم، الآية :86 .

6- سورة مريم ،الآية :5.

9-السبب والمسبب: التماسك في هذا النمط دلالي إذ يربط بينهما رابط منطقي يترتب السبب ،وعلاقة بالمسبب[1]. وسنوضح ذلك في آية قرآنية نستدل بها ،ومن النماذج في سورة مريم ورد كالتّالي:في قوله تعالى :

" قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا، قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا"[2].

السبب مرجعية خلفية المسبب فيه "أنّى يكون لي غلام " هذا هو المسبب الذي يحمل آية الله " لِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ" والنتيجة هي وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا " إذن الرابط هو لام التعليل.

10- مناسبة السورة لما قبلها:

ذكر السيوطي مناسبة سورة مريم لما قبلها من سورة الكهف لأنّها اشتملت على عدة أعاجيب، قصة أصحاب الكهف ،وطول لبثهم هذه المدة الطويلة بلا أكل ولا شرب، وقصة موسى مع الخضر، وما فيها من الخارقات وقصة ذي القرنين، وهذه السورة فيها أعجوبات قصة ولادة يحي بن زكرياء، وقصة ولادة عيسى وأن ّأصحاب الكهف يبعثون قبل قيام السّاعة ويحجون مع عيسى بن مريم حين ينزل[3].

11- مناسبة السورة لما يليها:

1- صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النّصي ، بين النظرية والتطبيق ، دراسة تطبيقية على سور المكية ،ج2،ص: 149.

2- سورة مريم، الآية :22 .

3- جلال الدين السيوطي ، التناسق الدرر في تناسب السور تح : عبد القادر عطا ، دار الكتاب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1406هـ- 1986م ،ص :101.

سورة طه نزلت بعد سورة مريم ،والوجه الآخر من التناسب هو أنّه لمّا ذكر في سورة مريم عدة قصص من الأنبياء زكرياء يحيى عيسى فالثلاثة مبسوطة فيها .و ممّا تقدم نستنتج أنّ :

المناسبة هي أحد الأوجه التّي تحصل معها معادلة اتّساق النص القرآني الدّاخليّ، فإذا كان يتمثل الارتباط بين الآية والآية ليتعدى إلى السورة والسورة، فهنا نحن أمام مفاهيم الاتساق والتماسك الذي يجعل القرآن كلاما واحدا منظما.

حققت المناسبة معالم الربط بين السور والآيات القرآنية وبالتالي فهي تجسيد لفكرة وحدة القرآن وتعاضده، و تحقق الربط من خلال تعيين المواضيع الكبرى التي تشمل سورة مريم، وكذلك عبر التغريض الذي عبرنا عليه بواسطة مناسبة السورة واسمها والتماسك المدرج في علاقات التناسب كما ورد تفصيلها عند المفسرين والباحثين وعليه فإنّ التناسب يصلح أن يكون البديل الذي ينوب عن الاتساق والترابط والتماسك والانسجام بالموازاة مع حقل لسانيات النص.

عرف العرب ثنائية الاتساق، والانسجام في تصوراتهم الفكرية فهي معين لا ينضب إذا ما نبشنا في مخزونهم البلاغي والنقدي والتفسيري، فقد عرفوا الشمولية في الطرح ،وابتعدوا عن الجزئية في فهم كلام الله، فقبل عبد القاهر الجرجاني، ونظرية النّظم لم تكن هناك ملامح جادّة إلاّ ما جاء شتاتا هنا، وهناك فوردت في كتب الإعجاز القرآني والبلاغة، والنحو والنقد معالم الدرس النّصي، ومفاهيم الاتساق حسب نظرتهم التي دافعوا من خلالها عن انسجام النص وتماسكه في إطار الدفاع عن القرآن من المشككين به، الباقلاني قدَم من خلال مدونته إعجاز القرآن في خضّم الرّد على المفترين ،والكافرين بما أنزل على النبي (محمد) من ضمن ما ورد في دفاعه كاشف عن النظم القرآني ،وحسن السّبك ، وبديع التأليف والرّصف والفصل والوصل والضّم والجمع والمؤتلف والمختلف والمتناسب

والتكرار، كلّها معايير تثبت أنّ اتساق النّص القرآني ورد في تصوراتهم، ومفاهيمهم حول إعجاز الأسلوب القرآني وبيانه ،وإحكام وحدته وشموليته في المنهج والقصد فأهمّ ضابط في النّص هو معيار الاتساق، يتجلى عبر متتاليات من الجمل لها علاقات تركيبية يمنحها الترابط الشكلي، أشاروا إليها في الكثير من القضايا مثل الوصل والعطف، ثم إذا أدركنا حقيقة الجمل المتتالية وحقيقة النظم والترتيب، والأسلوب الخارج عن معايير الخطابات الأخرى.

أمّا عند الجرجاني فيتجلى في مفاهيم التعليق والفصل والوصل فيمكن اعتبار أنّه رسم معالم الاتساق النّصي بتصوراته عن ارتباط الجمل، وهي خصوصية تلتقي بما جاء به علماء النّص .

كما يمكن حصر مظاهر الانسجام، وآلياته في فكرة الشمولية نفسها لأنّ الانتقال من الجزء إلى الكل، وترتيب الخطاب هو من صميم الانسجام، أمّا من خلال ما ورد لدى المفسرين فإنّ وسائل الانسجام ظهرت من خلال التفصيل ،والإجمال والسياق الذي يسهم في ربط الدلالة الكلية وتحديدها، وله دور كبير في عملية الانسجام، كما أنّ السياق غير اللّغوي المتمثل في "علم أسباب النزول "فهو يحمل القول أو فعل التلفظ ضمن مقامه ليظهر التفسير الكامل، لهذا أعادت الدراسات النّصية، دور السياق في تحليل الخطاب ودوره في عملية الانسجام.

إنّ المناسبة هي أحد الأوجه التّي تحمل معادلة اتساق النّص القرآني الداخليّ إذا كان الارتباط يتمثل بين الآية والأخرى وهي تجسيد لفكرة الوحدة القرآنية عبر مجموعة من العلاقات من تكرار الفاصلة، السبب والمسبب، أما مناسبة السورة لما قبلها، وما يليها تؤدي إلى الانسجام.

الفصل الثالث :ثنائيتا الاتساق والانسجام في التفسير الكبير

المبحث الأول : آلية الاتساق في التفسير الكبير

المبحث الثاني : آلية الانسجام في التفسير الكبير

المبحث الثالث : التلقي و التأويل وعلاقته بالانسجام

لم يختزل "فخر الدّين الرّازي" نظرته إلى القرآن على أنّه جزء منفصل، بل اعتبره كلاّ متكاملا موحدا، فقد ضمّ تفسيره جميع العلوم إضافة إلى التعامل معه من واقع اللغة التي تحتوي على شمولية القصد والمنهج، وهي مفاهيم ومصطلحات وردت عطفا على تأكيد أو استدلال أو شرح أو برهان على وجود ترابط وانسجام وتلاحم بين الآيات القرآنية والسور بعضها ببعض، ما يمكن لأي باحث النظر في هذا التفسير وفق المقاربة النصية المبنية على العلاقات الترابطية ومعايير النصية ومباحث يمكن تصنيفها أنّها ملمح من ملامح الدرس النّصي، ومن هذه المعايير تجلى لنا معياري الاتساق والانسجام خاصة أنّ "فخر الدين الرّازي" من الأوائل الذين اهتموا باتساق القرآن الكريم عبر آلياته المختلفة، وانسجامه عبر مجموعة من العلاقات التّي إذا تأملناها فإنّها تضاهي ما ورد في المدارس النّصية الغربية .

1-الاتساق وأهم آلياته:

يحتوي الاتساق على قدر من البحث ،والأهمية في واقع لسانيات النّص، خاصة أنّه يؤدّي دورا مهمّا في التراتبية المعيارية لسلم النصية، فهو يحمل الواجهة المكونة لأيّ نص، أي تلك البنية السطحية التّي تحتوي على متتاليات ومقاطع متشابكة تتخذ من الوسائل اللغوية ،وغير اللغوية مجالا لها [1]، وإن اتخذ مسميات ومصطلحات عدّة إلاّ أنّه لا يخرج عن كونه مجموعة من الوسائل اللسانية الرّابطة بين عناصر الجملة وبين الجمل التي تسمح لملفوظ ما شفوي أو كتابي بأن يدور في شكل نص، ويعرّفه "كارتير" بقوله:" الاتساق ناتج عن العلاقات الموجودة بين الأشكال النصية، أما المعطيات غير اللسانية (مقامية تداولية) فلا تدخل إطلاقا في

[1] باتريك شاردودو –دومنيك منغونو ،معجم تحليل الخطاب ،تر:عبد القادر المهيري ،دار سيناترا ،تونس ، 2008،ص:100

تحديده "[1]، كما يعرّفه الخطابي:" بأنّه ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص/خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية الشكلية التّي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته"[2]، ويطلق عليه أيضا مصطلح الربط والتضام و"هو معيار يهتم بظاهر النّص ودراسة الوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرار اللّفظي"[3] بحيث يحدث الترابط بين العناصر السطحية التّي تأخذ شكلا نحويا تتصل ببعضها بعضا لتحقق الاتساق والتماسك.

كما عرّفه" شاوش: " بأنّه مجموع من الإمكانيات المتاحة في اللّغة لجعل أجزاء النّص متماسكا بعضه ببعض"[4]، ومن هذا المنطلق تكاد تتداخل التعريفات حول معيار الاتساق عند الباحثين العرب من حيث أهميته التّي يعلو بها حجر الأساس في لسانيات النّص تداولته الدراسات الحديثة بإسهاب، ويبيّن "الخطابي" الطريقة التّي يسلكها محلل الخطاب في وصف اتساق النّص أن يتدرج من بداية الخطاب " الجملة الثانية منه غالبا " حتى نهايته راصدا الضمائر، والإشارات المحيلة والإحالة بأنواعها مهتما بوسائل الرّبط المتنوعة كالعطف والاستدراك والحذف والمقارنة"[5] ، فالاتساق يهتم بالبنية النحوية الشكلية والعلاقات التّي تضمن استمرارية النّص وتخلق سمة النّصية في انتظام موحد كأنّه نسيج ،وسبك متداخل يسري لغاية ما تتضح الفكرة، مع أنّه لم يظهر كمصطلح متكامل غير أنّه ظهر في شكل مفاهيم وتصورات طرحتها كتبهم وإنتاجاتهم الثرة، فقدت وردت إشارات كثيرة تمثل معيار

[1] نعمان بوقرة ،المصطلحات الأساسية في لسانيات النص و تحليل الخطاب ، ص:96

[2] محمد الخطابي ،لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،ط2،2002،ص : 39

[3] أحمد عفيفي ، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ،مكتبة الزهراء ،ط1،القاهرة ،2001،ص:50

3 محمد شاوش،أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية ،المؤسسة العربية ،تونس،ط1،2001،ص:121

[5] محمد الخطابي ،لسانيات النص ،ص:40

الاتساق في تفسير "فخر الدّين الرّازي" صنّفها علماء الغرب وفق هرم تسلسلي يضع آليات الاتساق من حذف وتكرار واستبدال وربط موضع بحث وتنقيب ومقاربة، فالتفسير الكبير وما يحمله من شروحات بيانية ولغوية وعلمية، وما تعامل به مع النّص القرآني من واقع اللّغة التي تحتوي على الشمولية والخطاب الكلي، هذا ما جعل من التقارب الحاصل بين حدود الاتساق وهذا الفيض الشمولي محل اقتراب كبير من ناحية الدرس اللساني النّصي.

1-الحذف:

و يعد الحذف من أهم الأدوات الاتساقية، فهو "استبعاد العناصر السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الفهم أو أن يوسع أو أن يعدّل بواسطة العبارات النّاقصة وأطلق عليها تسمية الاكتفاء بالمعنى العدمي"[1]، فهو وإن يقع على المستوى السطحي فلا بد أن يعاد على مستوى الفهم، وبهذا يحصل الربط بواسطة المراجعة والعودة ومن ثم نلفي "هاليداي ورقية حسن" يسحبانه إلى منظور علاقة قبلية " فهو علاقة داخل النص وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النّص السابق، وهذا يعني أنّ الحذف علاقة قبلية[2]"، فهذا التعريف يجمع بين الإحالة والحذف، لأنّه حسب "هاليداي ورقية حسن "يشرك المتلقي في البحث عنها ذهنيا كما عاينهما "دي بوجراند"[3].

يرى "أحمد عفيفي" أنّ الحذف يكون على مستوى عناصر التركيب مغيبا في المستوى السطحي، وحاضرا في الدلالة ،وأداء المعنى مع وجود قرائن معنوية و مقالية تدل عليه، وحذفه أهم من ذكره، ومن تّم هذا الحذف على مستوى الجمل

[1] روبرت دي بوجراند ،النص و الخطاب و الإجراء تر:تمام حسان ،عالم الكتب ، القاهرة ،ط1988،1، ص:340

[2] محمد الخطابي ، لسانيات النص ، ص: 23

[3] ينظر : دي بوجراند ، النص و الخطاب و الإجراء ، ص:344

يسهم في عملية الربط بين الأجزاء[1]، فلسانيات النّص تعاملت مع آلية الحذف على أساس أنّها خاصية تتجاوز المفهوم البلاغي للحذف فهو يعمل من منظور وظيفي يخرج عن المعيارية التّي اقترنت بالإيجاز والاختصار.

3-الحذف البلاغي في القرآن الكريم

يكتسي الحذف قيمة بلاغية لا متناهية في الموروث البلاغي وبالخصوص ارتباطه من ناحية بالقرآن الكريم، ويضعه الجرجاني موضعا ذا أهمية بأن أفرد له اثنتي وعشرين صفحة في كتابه دلائل الإعجاز وبهذا يكون أوّل من تفطن إلى تشعباته وأهميته[2]. ارتبط الحذف بالذكر فهما ظاهرتان متلازمتان أو ثنائيتان متقابلتان في نظر البلاغيين[3] ، ويوجب وجودهما في نفس التركيب بحيث تظهر المزية لآلية الحذف مقابل الذكر، فالحذف حسب نظرة البلاغيين " هو أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتكون أنطق ما تكون إذا لم تنطق وإذا لم تنطق وأتّم ما تكون بيانا وإذا لم تبيّن"[4].

شغل الحذف كتب المفسرين واهتمام الباحثين ، فقد تناوله السيوطي والزّركشي وغيرهما وأفردا له أمثلة تفصيلية، فالسيوطي" يلحقه تحت باب الإيجاز والإطناب" ومنه إيجاز الحذف مع أنواعه وأمثلة عن الحذف الخاص فقط بالاسم والفعل والحرف[5]، هذه الالتفاتة للحذف من السيوطي لا تضعه موضع مقاربة مع ما ورد لدى علم النّص، بل يعدّ من سبيل المجاز أي؛ اعتبار اللّفظ استعمل في غير

[1]أحمد عفيفي ، نحو النص ، ص :125

[2] [2]مصطفى عبد السلام ،الحذف البلاغي في القرآن الكريم ،مكتبة القرآن ،القاهرة ،ط1،ص:16

3حسن طبل ،المعنى في البلاغة العربية ،دار الفكر العربي ،القاهرة ،ط1998،1،ص:174

[4]عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ،تحقيق :محمد شاكر ،مكتبة الخانجي ، القاهرة ،د ط،2000ص:111

[5]ينظر: السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ،تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم ،وزارة الشؤون الدينية ،السعودية ،ط1،ص:121

موضعه، كما أنّ الزّركشي[1] ذكر أيضا في موضع حذف الاسم ،والفعل والحرف وحذف الجملة مع التذليل بأمثلة من القرآن الكريم ، فلا يمكن اعتبار هذا الحذف هو المهم في الاتساق أي؛ لا يكون داخل الجملة الواحدة، بل ينبغي البحث عنه في العلاقة بين الجمل[2]، فالحذف الذي يخدم النّص ويحقق له الترابط والاتساق هو الذي يتوسط بين جملتين حيث نجد في الجملة الثانية فراغا بنيويا يبحث المتلقي عنه اعتمادا على ما ورد في الجملة الأولى ،أو النّص الأول[3]، في حين يرى "صبحي إبراهيم الفقي" أنّ للحذف خاصية تعمل على تماسك النص، وهو يقوم على محورين:

1-التكرار

2- المرجعية :وهي تكون إمّا علاقة سابقة أو لاحقة، أي أنّ التوصل إلى معرفة العناصر المحذوفة وتتبع أثرها هي الكفيلة بتحقيق التماسك النصي ويدل عليها السياق المقامي واللّفظي، فهذين المحورين هما الصلة التّي تمكن أي باحث من إدراك هذا الاتساق فالحذف في القرآن الكريم ارتبط بالإعجاز البلاغي والنحوي و من ثمّ يمكن أن يكون من العلاقات الترابطية ، وإشراك القارئ في البحث عن المرجعية حسب ما ورد لدى "الفقي" إذا ما عدنا إلى تفسير "فخر الدّين"، واستفدنا من شروحاتِه فهو يذكر الحذف وموضع التقدير ففي قوله تعالى:" في بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ* رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصلاةِ وَإِيتَآءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ والأبصار* لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن

[1]ينظر :الزركشي ،البرهان في علوم القرآن ، تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الثراث ،القاهرة ،ج3، ص:121

[2]الخطابي محمد ،لسانيات النص ، ص :243

[3]ينظر :أحمد عفيفي ، نحو النص ، ص :26

يشاء بِغَيْرِ حِسَابٍ}[1]، يقول "الرّازي":" في بيوت أذن "، يقتضي محذوفا يكون فيها وذكروا فيها وجوه أحدها أنّ التقدير كمشكاة فيها مصباح في بيوت أذن الله ،وأنّ المقصود من ذكر المصباح المثل ،وكون المصباح في بيوت أذن الله، وأنّ المقصود من ذكر المصباح المثل ،وكون المصباح في بيوت أذن الله لا يزيد في هذا المقصود لأنّ ذلك لا يزيد المصباح إنارة ،وإضاءة[2]. في هذه الآية تقدير الحذف يحيلنا إلى الآية التّي تسبقها، حسب ما ساقه "فخر الدّين الرّازي" في قوله عز وجلّ:" ۞ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ[3]، فالحذف استدعى استحضار آية سابقة تحققت عبر مرجعية داخلية سابقة ترجعنا إلى عملية ربط بين الآية السابقة لتقدير المحذوف والقبض على المعنى الكلّي وبالتّالي يحصل التماسك الكلّي، ويحقق الحذف وظيفته النصية المنوطة به، يتم خلق وظيفة للمتلقي للتواصل مع النّص ،وإدراك الفراغات وافتراضها أو العودة لها .

2-الوصل

يعّد الوصل محطة اتساقية لا يمكن التغافل عنها في عملية الاتساق أو في تحديد " درجة اتساق النص/الخطاب، إنّه تحديد الطريقة التّي يترابط بها اللّاحق

[1] سورة النور ، الآية :36-38

[2] فخر الدين الرّازي ، التفسير الكبير و مفاتيح الغيب ،دار الفكر ،ط1، 1981،ج24، ص:2

[3] سورة النور ،الآية :35

بالسابق بشكل منتظم"[1]، ويرى "الخطابي أنّ "النّص عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطيّا ولكي تدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النّص"[2]، ويأخذ الوصل أشكالا ضمن الوصل الإضافي والعكسي والسببي والزمني، فالوصل الإضافي يتم بواسطة الأداتين "و"، و"أو" تندرج ضمن المقولة العامة للوصل الإضافي، أمّا الوصل العكسي فإنّه يتم بواسطة أدوات مثل: "لكن، بل، مع ذلك، مهما، على الرغم من "؛ أمّا الوصل السببي يتمثل في العلاقات المنطقية بين الجمل ،وتتفرع عنه علاقات أخرى كالنتيجة والسبب والشرط، ويعّد الوصل الزمني أيضا من أنواعه [3].

يمكن إعادة بسط مفهوم الوصل في الموروث البلاغي لدى علماء العرب والباحثين من مفهوم "الوصل والفصل" في مفاهيم البلاغة العربية ،وقد عالجهما "الجرجاني" في إطار العطف النحوي حيث ذكرهما "فخر الدّين" في الباب الثالث من كتابه (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز)، واعتبرهما أعظم أركان البلاغة بحيث يعد الوصل تتابع الكلمات ،والجمل في التعبير نطقا وكتابة، تتابعا يوحي باتصال المعنى، وتلاحم عناصره وتوحده في إحساس القائل أو الكاتب أن يأخذ الفصل شكلا خاصا حيث يستعرض دور (واو العطف) بحكم أنّ الوصل هو الدلالة على اتصال المعنى بعطف ،أو بغير عطف، بل إنّ مصطلح العطف ذاته كان يستخدم مرادفا لمصطلح الوصل بالمفهوم العام له"[4]، وهذا ما يذكره " الرّازي" في فائدة

[1] ينظر :محمد خطابي ، لسانيات النص ،ص:25

[2] المرجع نفسه ،ص:25

[3] المرجع نفسه ، ص:25-26

[4] حسن طبل ،المعنى في البلاغة العربية ،ص:97

العطف، والتشريك بين المعطوف ،والمعطوف عليه وأدوات العطف، وعطف الجمل على الجمل[1].

ا- نماذج عن الوصل

يقول تعالى :" لَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ"[2]، معطوف على قوله :" وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ"[3]، يردف " الرّازي "بأنّ وجه الاتصال هو " الواو " واو العطف، كأنّه قيل:" أخد عليهم الميثاق وذكرهم موسى بنعم الله وأمرهم بمحاربة الجبّارين فخالفوا القول والميثاق، وهنا حدث اتصال بين الآية السابقة مع الموالية عبر أداة العطف " الواو"[4].

يفصّل "فخر الدّين الرّازي" الآية التالية:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا [5]، يرى " الرّازي" أنّ وجه الاتصال في هذه الآية بم قبلها، أنّها متصلة بقوله: "كونوا قوامين بالقسط"، وذلك لأنّ الإنسان لا يكون قائما بالقسط إلاّ إذا كان راسخ القدم في الإيمان

[1] ينظر: فخر الدين الرازي ،نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، دار صادر ،بيروت ،ط1 ،2004،ص: 203

[2] سورة المائدة ، الآية :20

[3] سورة المائدة ،الآية 12

[4] فخر الدين الرّازي ،التفسير الكبير ،ج11، ص: 200

[5] سورة النساء ، الآية :136

بالأشياء المذكورة في هذه الآية، وثانيهما أنّه تعالى لما بيّن الأحكام الكثيرة في هذه السورة ذكر عقبها آية الأمر بالإيمان[1]، ويمكن اعتبار أنّ هذا الاتصال يمثل الوصل السببي الذي يمثل علاقة رابطة تحكم اتصال الآية بالتي قبلها كنتيجة، فالقوام بالقسط إلاّ إذا كان راسخا في الإيمان فهو نتيجة للفعل.

5-الاستبدال

هو أحد العناصر الاتساقية، تتم على المستوى النحوي المعجمي، وهو علاقة قبلية رابطة بين العناصر التي يتم تعويضها فالخطابي يراها أنّها "عملية تتم داخل النص، إنّه تعويض عنصر من النص بعنصر آخر"[2]، لهذا فإنّ "الخطابي" يشرح كيف تسهم آلية الاستبدال في اتساق النّص بحيث أنّ العلاقة بين العنصرين المستبدل والمستبدل هي علاقة قبلية بين عنصر سابق وعنصر لاحق، ومن تم تظهر الاستمرارية التي تسعى للربط بين العنصر المستبدل في الجملة اللاحقة وتتمركز عملية التأويل في البحث عن علاقة التقابل بين المستبدل والمستبدل وليس بالضروري تكون العلاقة تطابقية، المتمثلة في إعادة التحديد والاستبعاد[3].
تطرق "أحمد عفيفي" إلى أنواع الاستبدال مع أمثلة تحدد طبيعته، فهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

أ- استبدال اسمي: ويتم استخدام عناصر لغوية اسمية مثل "آخرون، آخر، نفس"

[1] فخر الدّين الرّازي ،التفسير الكبير ، ج11، ص : 76
[2] محمد الخطابي ، لسانيات النص ، ص:22
[3] المرجع نفسه ،ص :23

ب- استبدال فعلي: ويمكن التدليل عليه بالمثال التالي: هل تظن أنّ الطالب المكافح ينال حقه؟ أظن أنّ كل طالب مكافح "يفعل ذلك" فالكلمة (يفعل) استبدلت بكلام كان بالإمكان أن يحل محل العبارة "ينال حقه"[1].

ج- استبدال قولي: ويشير إليه عبر نموذج من الآية قال تعالى :" قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا"[2].

ومن نماذج الاستبدال الاسمي قال تعالى :

"۞ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ"[3]، فقد تمّ استبدال كلمة الآخر بكلمة (أحد)، أي الأحد الثاني وتمّ الاستدلال عليه في النّص القرآني، بحيث كانت علامة القبول أن تأكله النّار وهو قول أكثر المفسرين، فصار أحد القربانين مقبولا والآخر مردودا لأنّ حصول التقوى شرط قبول الأعمال[4].

أيضا استبدال اسمي، ورد في قوله تعالى :" قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا[5]، حصل استبدال بين الكلمتين "الله- الرحمن"، قال " فالمراد بهما الاسم لا المسمى ،والواو للتخيير بمعنى " ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ " أي؛ سمو بهذا أو اذكروا إمّا هذا أو هذا، ويتم التدليل عليه في الضمير فله " الهاء" ترجع إلى أحد الاسمين، وهي تحيل إلى علاقة قبلية تربط بينهما داخل النص نفسه. كذلك من

[1] أحمد عفيفي ،نحو النص ،ص :123

[2] سورة الكهف،الآية :64

[3] سورة المائدة ، الآية : 28

[4] فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج11،ص:211

[5] سورة الإسراء ،الآية : 110

صور الاستبدال التي يمكن أن نعثر عليها في المنجز البلاغي هي الاستعارة فهي – وإن كانت – نقل كلمة أو عبارة من معناها الأصلي أو المتعارف عليه إلى معنى آخر على سبيل الإعارة، فهي علاقة مشابهة بحيث يشترط أن يكون وجه الشبه في الاستعارة، وهو الرّابطة بين المستعار له ،والمستعار فيه ويشترط أن يكون معنى الكلمة المستعار موجودا في المستعار له من حيث عموم جنسه على الحقيقة إلاّ أنّ لذلك الجنس خصائص، ومراتب، فاستعارة الطيران لغير ذي جناح إذا أردت السرعة ،وانقضاض الكواكب للفرس إذا أسرع في حركته من علو[1]، وهي بذلك تندرج تحت قسم "البديع" ولم تخرج عن المعيارية إلاّ مع الدراسات الحديثة فمع الباحث "بول ريكور" الذي قدّم تصورا مختلفا عن الاستعارة الذي ينأى عن تلك الزاوية التقليدية المحضة التي تخرج فيها من مفهومها الشائع إلى ما يسمى بالتأويل الذي يتركز على استبدال كلمة بأخرى، ويعمل على المقارنة، فيعتبر الاستبدال عملية عقيمة أي؛ لا ينتج أمّا الاستعارة فهي تولد الدلالة عبر التأويل بحيث يكون أحدهما حرفيا ،والآخر مجازيا يثير على مستوى الجملة خلقا حقيقيا للمعنى لا يستطيع تفسيره، لهذا شبّه "بول ريكور" الاستعارة بأنّها لغز يكون فيها التنافر دلاليا، يمكن أن تكون الاستعارة عملية استبدالية، ومن تم تعطي تصورا آخر، يقول "فخر الدين الرّازي" تعقيبا على قوله تعالى:" إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا 3 قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا "[2]، فقد شبّه الشيب بشواظ النّار في بياضه، وإنارته وانتشاره في الشعر وشبّه فيه وأخذه كل مأخذ كاشتعال النّار ثم أخرجه مخرج الاستعارة ثمّ اسند الاشتعال إلى مكان الشعر

[1] أحمد عبد السيّد الصاوي ،مفهوم الاستعارة ،منشأة العارف ، الإسكندرية ، ط1 ،2000 ص:90

[2] سورة مريم ، الآية :04

ومنبته وهو الرأس[1]، ويتمثل وجه الشبه بين الاستبدال والاستعارة في التعويض فعوّض الشيب بالنّار وكان الجامع بينهما الانبساط [2].

6-آلية الربط و دورها في اتساق النصوص

إنّ للنصوص تركيبا معيناّ؛ تتداخل في تكوينه عدّة عوامل تدعى الروابط والعلائق، بحيث ينحدر على مستويين اثنين (التركيبي والدلالي) ليتحقق الاتساق والتماسك والانسجام، وقد حصرها العلماء في مجموعة من الأدوات والألفاظ والعلاقات[3]. تعرض العلماء لظاهرة الربط في التركيب ،والأسلوب العربي واعتبرها متصلة بنشاط العقل، وتتركز حول " التذكر والتعرف والأخير يعتمد على إدراك المعالم والقرائن ،وأمّا التذكر فيتصل أكثر ما يتصل بالتداعي والترابط، فالربط هو ظاهر من ظواهر الاستعمال اللغوي تتدرج تحت سلم القرائن النحوية[4].

الربط هو أساس الاتساق به ينتظم النّص لذلك يصنّفه علماء النّصية أحد أدواته وآلياته المهمة " فالاتساق يعني تحقيق الترابط الكامل بين بداية النص وآخره دون الفصل بين المستويات اللغوية المختلفة حيث لا يعرف التجزئة "[5]. يصنّف "أحمد عفيفي" الربط ،ووسائله استنادا إلى رأي "جون كوهين" على صورتين:

ا- الربط الواضح ،ويجري من خلال وسائل تركيبية مثل حرف العطف (الواو، لكن) أو ظرف (مع أن).

---

[1] فخر الدين الرّازي ، التفسير الكبير ، ج23، ص: 182

[2] المصدر نفسه ، ص :182

[3] ينظر:جورج يول ،معرفة اللغة ،تر:محمود فراج عبد الحافظ ،دار الوفاء ،الإسكندرية ،ط1995،1،ص:143

[4] ينظر تمام حسان ،مقالات في اللغة والأدب ، ج1،عالم الكتب ، القاهرة ، ط1، 2006،ص:100

[5] أحمد عفيفي ، نحو النص ، ص:96

ب- الربط التضمني: وهو ربط خال من أدوات الربط يعرف ضمنيا عبر علاقة منطقية جامعة بين الجمل أو العبارات ويسمى في عرف الدلالة، ونظرية الحقول الدلالية بالربط التجاوري[1].

يتجلى الربط في القرآن الكريم عبر حزمة من الأدوات التّي تخدم طبيعته وأسلوبه الإعجازي، ومنتهى بلاغته ،وقصديته حيث ذكر "الزركشي" أنّ الارتباط بين الآيات، والسور يظهر عبر المناسبة " وأنّه يرى تلك اللطائف القرآنية مودعة في تلك الترتيبات والروابط"[2]، أما في الشق الآخر للمدارس الغربية فإنّ" فان ديك" يدرج مصطلح الترابط ليدل به على علاقة مخصوصة بين الجمل التي تكون فيها القضايا مترابطة ،والجمل متسلسلة ،وهذا عبر أدوات الربط النحوية التركيبية وهي (الوصل، والعطف، والظروف، وأدوات التعريف)[3]، ويضيف شروطا إلى هذا الربط على أن تكون هناك علاقة موجودة بين الدلالات ،والمعاني وأيضا يتحدد بنوع تجانس تعلق الأحداث ممّا تشير إليه تلك القضايا[4].

إذا ما استقصينا تفسير "فخر الدّين الرّازي" عن توظيفه ،وشرحه لهذه الآلية فإنّه يعقب على الكثير من النماذج التّي تستدعي التأمل فيها ،والتّي تنتمي إلى مجال الربط النّصي .

ج-واو العطف : في قوله :" فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا[5]، الواو في الشياطين هي للعطف [6].

---

[1]-أحمد عفيفي ، نحو النص ، ص: 101

[2]-بدر الدّين الزركشي ،البرهان في علوم القرآن ،ج1،ص :36

[3] -ينظر :فان ديك ،النص و السياق نص:74

[4]-المرجع نفسه ، ص:76

5-سورة الكهف ، الآية: 86

[6]-فخر الدين الرّازي ، التفسير الكبير جزء مريم ، ص:242

د–الربط بالضمير: يستخدم الضمير البارز للربط، فإنّه يصبح في حكم الأداة لذلك فإنّ الضمائر تؤدي وظيفتها في الربط، فالضمير البارز يعتمد على إعادة الذكر في حين أدوات الربط على المعاني الوظيفية التّي تحدد نوع العلاقة المنشأة كأدوات الشرط ،والعطف ،والجر[1]، يذكر "تمام حسان" أنّ الربط بالضمير بديلا لإعادة الذكر أيسر في الاستعمال، وأدعى إلى الخفة والاختصار[2].

وفي قوله تعالى:" وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ "[3]، الضمير"ها" يعود إلى الشمس أو إلى العين الحامية، فتعدد المحال إليه هنا راجع إلى طبيعة التأويل[4]، وبالتّالي فإنّ الضمير قام بوظيفة الربط ،وأغنى عن إعادة أو تكرار اللفظ بعينه.

وفي قوله تعالى:" وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا[5]، يرى" فخر الدّين الرّازي "أنّ الضمير في قوله :" بَعْضَهُمْ "، هم عائد إلى يأجوج، ومأجوج، الضمير المتصل "هم" ربط بين سابق مذكور في علاقة قبلية[6].

7- المناسبة

في قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩[7]، يرجع الترتيب إلى أنّ الصلاة نوع من أنواع العبادة، والعبادة نوع من

[1] مصطفى حميدة ،نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ،مكتبة لبنان ناشرون ،ط1، 1998ص:80

[2] ينظر: تمام حسان ،البيان في روائع القرآن ، عالم الكتب ،ط1993،1،ص:119

[3] سورة مريم ، الآية :82

[4] فخر الدين الرّازي ، التفسير الكبير ، جزء مريم ، ص:167

[5] سورة الكهف ، الآية :99

[6] ينظر : فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، سورة الكهف ، ص:173

[7] سورة الحج ،الآية :77

أنواع الخير لأنّ فعل الخير ينقسم إلى: خدمة المعبود الذي هو تعظيم أمر الله، وإلى الإحسان الذي هو الشفقة على خلق الله، ويدخل فيه البّر والمعروف والصدقة على الفقراء، وحسن القول للناس، فكأنّه سبحانه قال:" كلفتم بالصلاة بل كلفتم بما هو أعمّ منها وهو العبادة، بل كلفتم بما هو أعمّ من العبادة وهو فعل الخيرات"[1]، يبدو أنّ "فخر الدين الرّازي" يرى من خلال هذا الترتيب أنّه يخدم القصد العام للآية من جهة، والسورة من جهة ثانية، وهنا تنقيب عن وجه المناسبة ،أو التناسب بين جزئيات الآية عبر تلاحم المعاني، ولقد تمّ الربط عبر عنصر الترتيب، والتناسب فيفضي إلك التسلسل المبني على التماسك، والتناسق.

8-الإحالة

من أهم العلاقات التّي تعمل على الربط الداخلي في العلاقات اللغوية النّصية هي علاقة الإحالة بكافة أشكالها ،حيث تسهم في ربط أجزاء النص، و تماسكه ،ومن خلال توجيه العنصر الإحالي نحو دلالة معيّنة ،فمعرفة مرجع الضمير يزيل اللّبس عن القارئ، و يخضعه لقانون الاتساق .ومن النماذج التّي نستشفها في تفسير "الرّازي " والتّي تتماشى مع المفاهيم النحوية ،وتتفق مع أنصار لسانيات النّص إحالة الضمائر كما سيرد في النموذج أدناه.

أ- نموذج من الإحالة في تفسير الرّازي

1-إحالة الضمائر: في قوله تعالى:" وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (45) " (البقرة 45) يقول الرّازي :"واختلفوا في المخاطبين بقوله تعالى:" واستعينوا" فقال قوم:" هم المؤمنون بالرّسول"، قال:" لأنّ من ينكر الصلاة أصلا والصبر على دين محمد – صلى الله عليه وسلم – لا يكاد يقال له استعن

[1] فخر الدين الرّازي ، التفسير الكبير ، ج23، ص:72

بالصبر والصلاة، فلا جرم وجب صرفه إلى صدق محمد"، ولا يمتنع الخطاب عن أن يكون لبني إسرائيل ثم يقع بعد ذلك للمؤمنين بمحمد – صلى الله عليه وسلم – والأقرب أنّ المخاطب هم بنو إسرائيل لأنّ صرف الخطاب إلى غيرهم يوجب تفكيك النّظم[1] ،من خلال شرح الرّازي لقضية المرجعية في ضمير المخاطب المستتر المستشف من قوله:" استعينوا" أي أنتم ، تعدد مرجعية المحال إليه يفرض حججا يقيس بها الرّازي إلى من تعود والأقرب، وهي إحالة مقامية تفترض وجود سياق يمكن الاستناد إليه وقد توصل إليه الرّازي بعد الاستدلال وموجب السيّاق الذي يستدعي أنّ أقرب مخاطب هم بنو إسرائيل وإلاّ كان الخطاب والنّظم القرآني مفكّكا وهذه هي أبعاد الإحالة في واقع الخطاب القرآني تخدم المقصدية والإعجاز القرآني كله.

9- الاتساق المعجمي

هذا النوع من الاتساق يعني بالعلاقات التّي تجمع بين الكلمات والمفردات في تتابعات أفقية نصية وعلاقة معجمية لا تفتقر إلى عنصر نحوي يظهرها[2]، يعرّفه "محمد الخطابي" بأنّه مظهر من مظاهر الاتساق أي هو متفرع عنه ويختلف عنه في ما يخص الجانب الشكلي "النحوي" للربط بين عناصر النص[3]، ويمكن أن يتحقق السبك المعجمي حسب تصنيفاتهم إلى نوعين:

1-التكرار

2-المصاحبة المعجمية

ا-آلية التكرار

[1] فخر الدين الرّازي :التفسير الكبير،ج3،ص:51

[2] ينظر : يسرى نوفل ، المعايير النصية في السور القرآنية ، دار النابغة ، القاهرة ، ط1، 2001 ،ص:93

[3] ينظر : محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص: 24

يعد التكرار آلية نصية بامتياز على الرغم من أنّه يتجلى في الدراسات البلاغية والنحوية واللغوية إلاّ أنّ علماء النص وضّحوا أهميته في الربط والاتساق المعجمي فهو يتخذ شكل علاقة إحالة، لذلك فقد أعيد دراسته وفق حدود جعلته يتخلص من قيود البلاغة التّي حصرته في تقوية المعنى وتوكيده، يرى "أحمد عفيفي" أنّ التكرار في ظاهر النّص يصنع الترابط بين أجزاء النّص[1]، و يصنفه إلى أنواع وهي كالتالي:

ا-**التكرار الكلي** وهو نوعان:

*التكرار مع وحدة المرجع

*التكرار مع اختلاف المرجع

ب-التكرار الجزئي: ويقصد به تكرار عنصر سبق استخدامه ولكن في أشكال وفئات مختلفة.

يصنّف الباحثون تكرارا آخر هو " تكرار المعنى واللفظ مختلف، وهو ما يطلق عليه في الظاهرة العربية بالترادف"[2]، وأيضا التوازي الذي يكون عبر تكرار البنية مع ملئها بعناصر معنوية جديدة، وأخيرا تكرار لفظ الجملة[3] الذي يغلب طابعه في القرآن الكريم في جمل بعينها يكون الغرض منه غالبا خدمة بنية النص القرآني وتميز أسلوب القرآن عن بقية الأساليب الأخرى وتكثيف الدلالة وربط أول الآية بآخرها في شكل سلسلة متكررة تجعل المتلقي يذعن الاهتمام لهذا التناغم، فالتكرار يحدث على مستوى الإدراك انتباها يجعل القارئ يعيد قراءة الآيات والتأمل في طبيعة هذا التكرار على هذا النمط والبحث في مميزاته.

[1] ينظر أحمد عفيفي ، نحو النص ، ص: 106

[2] ينظر خليل ياسر بطا شي ، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب ، دار جرير ،ط1،2009،ص:67

[3] ينظر : أحمد عفيفي ، نحو النص ،ص: 107

د-نماذج عن التكرار

في قوله تعالى :" وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا، إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا "[1]، يعلّق " فخر الدّين الرّازي" في المسألة الرابعة حول لفظة (سببا) إذ يشرح معناها لغويا ثمّ يفصّل دلالتها، ومعناها في الآية إذ تخرج عن معناها الأصلي الذي هو الحبل إلى ما استعيرت إليه، وهو العلم والمقدرة، والآية (فاتبّع سببا) الذي يعني أنّ الله لما أعطاه من كل شيء سببا أراد أن يتبع (سببا) يوصله إليه ويقرّبه منه[2]، ثم يتوالى عبر الآيات التّي تليها في قوله تعالى:" حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا (90) "[3]، وتتوالى أيضا في الآية التي تليها، وهو تكرار يجعل المتلقي ينتبه ويربط بينه وبين سابقاته.

أيضا من صور التكرار في قوله تعالى :"وبرّا بوالديه ولم يكن جبّارا عصيّا"[4]، وهنا يصف يحي- عليه السلام- وفي قوله تعالى:" وبرّا بوالدتي ولم يجعلني شقيّا"[5]، يمكن اعتباره تكرارا مع اختلاف المرجع أو الدلالة لأنّ المرجعية مختلفة الأولى ليحي- عليه السلام- والثانية لعيسى- عليه السلام-، يوّضح الرّازي أهمية التكرار في قوله تعالى: "الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۚ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ "[6]، وهي حسب الرّازي رد على ما جاء في قوله:" وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا

[1] سورة الكهف، الآية :84

[2] فخر الدين الرّازي ، التفسير الكبير ، سورة الكهف ، ص: 165

[3] سورة الكهف ، الآية : 90

[4] سورة مريم ، الآية : 14

[5] سورة مريم ، الآية : 32

[6] سورة الأعراف ، الآية : 92

مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ (90)"[1]، التكرار في هذه الآية أحدث خلق استمرارية في اللفظ والمعنى وتحققت وظيفة الإحالة التكرارية، وبالتّالي ارتباط المعنى واتساقه.

هـ-التضام

يقصد الخطابي بالتضام "توارد زوجين من الكلمات بالفعل أو القوة نظرا لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك"[2]، وهي نوع من أنواع الربط المعجمي، حيث يرتبط عنصر بعنصر آخر من خلال الظهور المشترك المتكرر في سياقات متشابهة مثل الكلمات (الحرب، الأعداء، الصراع ، الجنرال) وتتجلى علاقاتها في درجات يعقدون لها علماء النّص حالات نذكرها:

1-التباين وله درجات (تضاد، تخالف، تعاكس)

2-التنافر : مرتبط بفكرة النفي كالتّضاد

3-علاقة الجزء بالكل

4-علاقة الجزء بالجزء

5-الدخول في سلسلة مرتبة مثل: (السبت، الأحد، الاثنين)، (محرم، صفر، ربيع)

6-التلازم الذكري، مثل : (المرض والطبيب)، (النملة والعسل)

7-الاندراج في صنف عام الاشتمال المشترك، مثل : الكرسي والطاولة حيث تشملها كلمة الأثاث[3]. تتوافر علاقات التضام بشكل أو بآخر، وتحت مصطلحات أخرى تنسب إلى علم البديع وتندرج ضمنه، والتضاد يقابله مفهوم الطباق في البديع، وهو الإتيان بالنقيضين أو الضدين، ففي قوله تعالى:" وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ

[1] سورة الأعراف ، الآية : 90

[2] محمد الخطابي ، لسانيات النص ، ص: 50

[3] يسرى نوفل ، المعايير النصية في السور القرآنية دراسة تطبيقية مقارنة ،دار النابغة ،القاهرة ،ط1، 2010 ، ص:110

وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا" مريم 33، فالتضاد بين (ولد) و(يموت)، يقول الرّازي:" وسلام عليه يوم ولد أي أول ما يرى الدنيا ويوم تموت أي أول يوم يرى فيه أول أمر الآخرة ويوم يبعث حيّا أي أول يوم يرى فيه الجنة والنّار وهو يوم القيامة، فحدث فعلا اتساق على الرغم من وجود التّضاد الذي أثاره الرّازي في ترتيب مراحل الحياة نفسها[1].

من العلاقات الترابطية أيضا المقارنة بين النقيضين ففي قوله تعالىّ :" وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا" مريم 73، فالتضاد واقع بين (كفروا) و(آمنوا) هو عقد مقابلة بين المؤمنين والكافرين ومقارنة بينهما لتبيان صفات وعاقبة كليهما، فالمقارنة هنا تعمل على الربط ويكون ذلك بعقد الموازنة هذا ما يجعل القارئ يرجع إلى حالة التكرارية وبالتّالي ارتباط المعنى ،واتساقه.

2-آلية الانسجام في التفسير الكبير

تتعلق آلية الاتساق بمعيار الانسجام تعلّقا علائقيّا لا تكاد تختلف عنها إلاّ في كون الاتساق يتعلق بالشكل النحوي، والانسجام يرتبط من الناحية الدلالية التواصلية بحيث ينتج مساحة للقارئ المتلقي بأن يتفاعل مع النّص، ويكشف الانسجام، وبالتّالي يضحى للانسجام دور في إرساء معالم التواصل والتداولية التي منحت جانبا مهما لدور السياق، وأعاد دوره في البحث عن العلاقات الخفية في فهم النص، وبالتالي حدوث معيار الانسجام النصي. قد بيّن "محمد الخطابي" آراء "براون و يول"، واعتمد على مقاربتهما في الانسجام الخطابي من منطلق عملية التواصل ودور المتلقي وكذلك عملية تحليل الخطاب الذي يعتمد على السياق

[1]فخر الدين الرّازي ، التفسير الكبير ، ج 21، ص: 194

والتأويل[1]، لذلك فالتأويل معطى ضروري ومحطة أساسية يكشف صورة التماسك الدلالي الذي يحدث بصورة تكون غير مفهومة يصطلح عليه "دي بوجراند" الذي يتطلب إجراءات لتنشيط المعرفة لإيجاد الترابط المعرفي وله تقسيم لوسائل الانسجام يعيّنها عبر سلم تدرجي:

ا–السببية

ب–العموم والخصوص

ج–معلومات عن تنظيم الأحداث، والأعمال والموضوعات والمواقف

د–التفاعل مع المعلومات التي يعرضها النص مع المعرفة السابقة [2]

فالانسجام النصي يقوم بتنشيط عمل الذاكرة وتفعيل أدائها في ربط المفاهيم بين ما يطرحه النص وبين المعارف والمعلومات السابقة أو استدعاؤها في سياقات متشابهة[3]. سعى الكثير من الباحثين لمقاربة الانسجام من منظور ما يوائم طبيعة الثقافة العربية، خاصة الخطاب القرآني فإننا نجد مقاربات لا تعد ولا تحصى،" فمحمد مفتاح " في كتابه (دينامية النص) تعرض في الفصل السادس للانسجام في النص القرآني، بحيث استثمر في المناهج اللسانية،و السيميائية باعتبار أنّ النص القرآني كلا لا يتجزأ، واستدعى مفاهيم إجرائية لتحليل الخطاب القرآني تمثلت في: المقصدية، والمماثلة والمشابهة، ونوع العلاقة بحيث يعزز هذه العلاقات والمبادئ مفهوم الانسجام الذي يخدم طبيعة النص القرآني وهدفه بدءا من البنية وانتهاءا إلى حقيقة النسخ في القرآن الكريم ودعاوي رفضه[4].

[1] ينظر : محمد الخطابي ، لسانيات النص ، ص: 57–58

[2] ينظر : روبرت دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ص: 108

[3] نعمان بوقرة ، لسانيات الخطاب ؛مباحث في التأسيس و الإجراء ، ص:51

[4] ينظر : محمد مفتاح ، دينامية النص؛تنظير و إنجاز ، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،ط2، 1990 ،ص:195–197

أهم مظهر من مظاهر انسجام أي نص أو خطاب هو الترتيب، ولا يمكن أن نطلق على نص أنّه منسجم دون إثبات هذه الخاصية التي تعمل على الربط الدلالي أو المفهومي بين أجزائه، وهو ما سنقتفى آثاره في المدونة التفسيرية " لفخر الدّين الرّازي " .

3-ترتيب الخطاب القرآني

يحصل الترتيب في متتالية ما حسب "فان ديك" عبر ترتيب الوقائع، وهذا عن طريق مجموعة علائقية تخضع لها، تمثل العلاقة بين ترتيب الجمل وترتيب الأحداث وجها آخر من أهم خصائص (سيمانطيقا) الخطاب الخاصة وفيما يخص التصرفات والأحداث، فإنّ ترتيب الأحداث قد يسمى بالترتيب المعتاد إذا تطابق ترتيبها الزماني والمكاني الترتيب الخطي المستقيم للخطاب والترتيب المعتاد تتفق مع العلاقات العامة، والخاصة، والكلية والجزئية وهي علاقة موجودة بين الأحداث" [1]، ففي قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيم"[2].

من خلال التفسير لهذه الآية نلاحظ وجود ترتيب منطقي واقعي لآداب الدخول إلى المنازل ويمكن أن نمثله بالمخطط التالي:

الاستئناس--- التسليم --- عدم الدخول إلى البيوت حتى يؤذن لكم .

[1] فان ديك ، النص و السياق ؛استقصاء البحث في الخطاب الدلالي و التداولي ،تر:عبد القادر قنيني ،إفريقيا الشرق ،لبنان ،ط1، 2000 ،ص:142

[2] سورة النور، الآية :28

يرى "فخر الدّين الرّازي" أنّ تقديم السلام هو أولى على الاستئناس فيرجّح أنّ الترتيب الذي جاء به القرآن مرّده أنّ الاستئناس هو الاستعلام والاستكشاف، (استفعال من آنس الشيء إذا أبصره ظاهرا مكشوفا) والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم؟ ومنه قوله: استأنس هل ترى أحدا فإن ستعلم الاستئذان هل هناك من يأذن له وهو مقدم على السلام؟[1]، ومن هذا فالوقائع مرتبة ترتيبا يسمح لنا بالحكم عليها أنّها منسجمة وفق ما نراه من معرفة للعالم، وهي لو أننا نقلنا فعل التسليم قبل الاستئناس لتغير المعنى والمقصد من الآية وفي ذلك حكمة الله- عز وجل-.

4-السياق

تتجلى قيمة السياق كونه خاصية تربط تحليل الخطاب بالانسجام النصي، وكذا المقاربة التداولية والتواصل، لذلك أعادت له الدراسات الحديثة فاعليته التي أقصتها النظرية البنيوية التي أولت أهمية للداخل على حساب الخارج، تبنت النظريات النصية آلية السياق في الكشف عن النصوص ودلالاتها عبر السياقات الخارجية ولهذا أولى "فان ديك" أهمية كبرى للسياق في كتابه (النص والسياق)، فمعرفة المنجز التلفظي يكون ضمن سياق معين.

يعرّف السياق على أنّه "ما يصاحب اللفظ مما يساعد توضيح المعنى"[2]، و"هو يمثل المكونات الرأسية التي تحيط بالنص وتتجدد من خلاله أبعاده الدلالية، والجو العام الذي يحيط بالكلمة وما يكتنفها من قرائن وعلامات فالكلمة الواحدة والجملة الواحدة قد تحمل كلاهما مدلولين متناقضين تماما، دون أن تختلف الكلمة

[1] فخر الدين الرّازي ، التفسير الكبير ، ج23،ص:198

[2] أبو الفرج ، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث ، دار النهضة ، ص: 116

في بنائها الداخلي، وإنما الذي يتغير هو السياق والقرائن المحيطة"[1]، يرى "محمد الخطابي" أنّ العناصر التي تشكل سياق الخطاب /النص- ما- هي[2]:

ا-المتكلم

ب-المخاطب

ج-المشاركون

د-القناة: الوسيلة التواصلية

هـ-المقام

و-جنس الرسالة

ز-الحدث

ك-المقصد

فمعرفة هذه العناصر تساعد المتلقي في عملية التأويل وتمنحه معارف مسبقة لتتم عملية الفهم والإفهام ،وبهذا تتقاسم الدراسات النصية هذه الآلية للكشف عن شروط إنتاج النص وظروفه ولا بّد من معرفة العناصر السياقية حتى يتم الكشف عن المعنى ويتّضح ما كان يلتبس علينا فهمه،" فهو مجموعة من الظروف التي تحقق حدوث فعل التلفظ بموقف الكلام وتسمى هذه الظروف بالسياق[3]. يرى " ج- يول" أنّ أكثر الوحدات اللغوية التي تتطلب أكثر من غيرها معلومات عن السياق لتيسير فهمها هي الأدوات الإشارية مثل: هنا- الآن- أنا- أنت- هذا-ذلك، وإذا أردنا فهم

[1] عبد الجليل عبد القادر ،الأسلوبية و ثلاثية الدوائر البلاغية ، دار صفاء ، عمان ، ط1، 2002،ص:213

[2] محمد الخطابي ، لسانيات النص ، ص:229

[3] ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ،ص:41

مدلول هذه الوحدات إذا ما وردت في مقطع خطابي استوجب– على الأقل– معرفة هوية المتكلم والمتلقي والإطار الزماني والمكاني للحدث اللغوي[1].

السياق النصي: قدّم نحو النص وتحليل الخطاب بعض الآليات لتحليل الوحدات اللغوية الكبرى مثل: العبارة، أجزاء الخطاب في المحادثات، المحاورة، وكذلك النماذج الحجاجية في بعض نماذج الخطاب وكشفوا عن علاقات تتجاوز الإحالة بين الجمل إلى الدلالة بين الوحدات الكبرى[2]، فالسياق النصي يهتم بتفسير الجمل على وقع النص السابق والعبارات التي تتضمن إحالة على النص السابق[3]، أما السياق في القرآن الكريم فيعرف على النحو التالي:" تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود دون انقطاع أو انفصال"[4]، ومنه يمكن اعتبار نوعين من السياق في القرآن الكريم هما :

ا–السياق الأصغر: وهو السياق اللغوي الداخلي المتضمن داخل النص أو الآيات، مثل " ذكر جملة سابقة أو لاحقة أو في الجملة نفسها يحوّل مدلول عنصر آخر إلى دلالة غير معروفة.

ب–السياق الأكبر: هو السياق الكلي الجامع الذي يمكن إرجاعه إلى أسباب النزول، ويعرف علم أسباب النزول بأنّه العلم الذي تعرف به معاني المنزّل، وانتصاب الإشكال وقد نال هذا العلم حظوة واسعة بين تطرق الاحتمال، ومن أهدافه التي نستجليها أنّ معرفة سبب النزول يفيد في تأطير الآية وعلى من نزلت

[1] ج بروان –ج يول ، تحليل الخطاب ، ص:35

[2] ينظرك :ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ،ص: 66

[3] ينظر :براون ،يول ، تحليل الخطاب ، ص: 39

[4] المثنى عبد الفتاح ، نظرية السياق القرآني؛دراسة تأصيلية دلالة نقدية ،دار الأوائل ،الأردن ،ط1 ،2008 ،ص:15

على وجه التخصيص[1]، ويرى الباحث "محمد عبد الباسط عبيد" أنّ أسباب النزول، والمكي والمدني، الناسخ والمنسوخ، والوجوه والنظائر، والخاص والعام، يمثل السياق الخارجي للنص ويمثل محيطه الاجتماعي والتاريخي والعلمين الآخرين يمثلان السياق الداخلي للنص[2]، يمكن استجلاء مظاهر السياق في المدونة التفسيرية لدى "فخر الدين الرّازي" في كثير من شروحاته وتعقيباته فإنّه يوظف أسباب التنزيل ففي قوله تعالى:" وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿66﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿67﴾[3] فالمراد بالإنسان شخص معين فقيل هو أبو جهل، وقيل هو أبيّ بن خلف[4]، فسبب النزول يمنح القارئ معرفة بمراد الإنسان، والمعنى السياقي الذي يعيد تشكيل الآية وربطها بما قبلها وما بعدها في ضوء السياق الاجتماعي، فهناك توال متصل بين الآية التي قبلها، والتي يأمر فيها الله عباده بالعبادة والمصابرة، فكأنّ سائلا سأل، وقال هذه العبادات لا منفعة فيها في الدنيا، وأما الآخرة فقد أنكرها قوم فلا بد من ذكر الدلالة على القول بالحشر حتى يظهر أنّ الاشتغال بالعبادة مفيد فلهذا حكى الله قول منكري الحشر، ومنهم "الإنسان" الذي وضعناه في السياق الكلي، أو الأكبر، وهنا أدركنا حال المخاطب، فحصل الانسجام في ذهن المتلقي بعد توفير السياق الخارجي .

نلفي في مدونة "الفخر" الكثير من السياقات الخارجية التي استعان بها في توضيح المعنى، ففي قوله :" لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى

[1] قطب الرسيوني ، النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر ،منشورات وزارة الأوقاف الدينية ،المغرب ،ط1، 2010 ،ص:27

[2] ينظر :محمد عبد الباسط عبيد ،النص و الخطاب ؛قراءة في علوم القرآن ،مكتبة الآداب ،القاهرة ،ط1، 2009 ،ص:112

[3] سورة مريم ،الآية :67

[4] فخر الدّين الرّازي ،التفسير الكبير ،ج21 ، ص:242

الْمَرِيضِ حَرَجٌ "[1]، يرى الرّازي المراد من "رفع الحرج" أنّ الآية نزلت في ابن مكتوم الذي وضع الله الجهاد عنه، وكان أعمى[2]، ويتبعها أيضا في نفس الآية أعلاه:" لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا " يقول الرّازي أنّ أكثر المفسرين يجمعون على أنّها نزلت في بني ليث بن عمرو، وهم من كنانة كان الرّجل لا يأكل وحده يمكث يومه فإنّه لم يجد من يؤاكله لم يأكل شيئا، وربما كانت معه الإبل فلا تشرب من ألبانها حتى يجد من يشاربه[3]، فوضع الآية في سياقها الخارجي، الذي يجعل الدلالة متناسقة حيث تتوجه إلى المعنى الذي يقتضيه العقل، وبالتالي يتجلى الفهم ويتحقق الانسجام عبر ربط الدلالات، ووضع اللفظ في مقامه الذي ينبغي أن يكون عليه.

5-العلاقات الترابطية الدلالية

أ-السببية

يكون عبر ذكر السبب ونتيجته، وهي علاقة دلالية موجودة في النص نستشفها عبر استخراج السبب، وربطه بنتيجته، وفي المدونة التفسيرية في قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (101) قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ (102)"[4]. في الآية السبب "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ"، نتيجته") قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ"، قال المفسرون: يعني قوم

[1] سورة النور ،الآية :61

[2] فخر الدّين الرّازي ، التفسير الكبير، ج24،ص:35

[3] المصدر نفسه ، ج،24، ص: 37

[4] سورة المائدة ، الآية : 102

صالح سألوا الناقة ثم عقروها، وقوم موسى قالوا:" أرنا الله جهرة" فصار ذلك وبالا عليهم، وبنو إسرائيل قالوا لنبي لهم:" ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله والربط عبر الضمير (الهاء) "قد سألها" عائد إلى سؤالهم عن تلك الأشياء والتقدير: قد سئل تلك السؤالات الفاسدة التي ذكرتموها قوم من قبلكم فلما أجابوا عليها أصبحوا بها كافرين[1].

ب-الخاص والعام

ففي قوله تعالى:" فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (44) "[2]، يقول "فخر الدّين":" إنّ هذه نزلت في اليهود فهي خاصة بهم، ومن تمّ الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"، " وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ "يكون للعموم وقوله :" بما أنزل الله " صيغة عموم، ومعناه من أتى بضدّ حكم الله تعالى في كل ما أنزل الله [3].

ج-الإجمال و التفصيل

وهو علاقة تربط الآيات، تتم عبر إجمال ثمّ تفصيل وشرح الآية، فهو ترابط واتصال يحصل بين الآيات عبر علاقة دلالية معنوية، تمنح السورةَ الاستمراريةَ، ومن النماذج تظهر في قوله تعالى :" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"[4]، هذا تفصيل لما ورد إجماله في قوله :" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ" المائدة 85، إلى قوله:" فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا" النحل 114، ويقول "فخر

---

[1] فخر الدين الرّازي ، التفسير الكبير ، ج 12، ص: 115

[22] سورة المائدة ، الآية : 44

[3] فخر الدّين الرّازي ،التفسير الكبير ، ج12، ص: 07

[4] سورة المائدة ، الآية : 90

الدين الرّازي": إنّ هذا النوع من الأحكام المذكورة في هذا الموضع ووجه اتصاله بما قبله فقد تم تفصيل المحرمات من الخمر والميسر والأنصاب والأزلام أي داخلة في المحللات، بل في المحرمات[1]، فهذه العلاقة أسهمت في ربط الآيات والاستمرارية في الدلالة حيث حصل ترتيب على مستوى النص بإجمال كلي ثم تفصيل هو ما حقق الانسجام منظما وموحدا.

6-موضوع الخطاب

يتخذ موضوع الخطاب في لسانيات النّص مجموع ما يسمى " البنية الدلالية" التي تصب في قالب يجمع البنية الكبرى، وعند المفسرين نلفي ذلك في إبرازهم الوَحدةَ الموضوعية للسورة الواحدة، أو كما يسميه "خليل بطاشي"، "عملية بحث واستكشاف البؤرة المركزية في الموضوع عن طريقّ إعادة تنظيم محتويات الخطاب"[2]، وقد اعتنى المفسرون خلال تقديمهم الشروحاتِ القرآنيةَ أهمية الوحدة الموضوعية التي تعادل موضوع الخطاب في الدرس النّصي، فهي كالخطوط العريضة الرئيسة المحورية التّي تدور حولها السورة، ويتم التفاعل معها عبر عرض المشاركين في عملية الخطاب، ونظرا لخصوصية الخطاب القرآني، وما يتعين علينا التعامل معه خصوصا أنّ البنية الكلية نتوصل إليها عن طريق عمليات أساسها الحذف والاختزال أي يتم حذف الموضوعات الثانوية، ودمج أخرى في عموميات"[3]. يتضح لنا من خلال الولوج في تفسير" الرّازي" أنّه انتبه لهذه الخاصية كما أنّه اعتبر أنّ القرآن كله وحدة واحدة، ولعلّ أكثر سورة اتخذها المفسرون مطية لإبراز انتظام هو سورة الفاتحة فاعتبرها المحور الذي اشتملت عليه العلوم الأربعة " التوراة،

[1] فخر الدّين الرّازي ، التفسير الكبير ، ج12، ص : 84

[2] خليل البطاشي ، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب ، ص: 225

[3] المرجع نفسه ، ص : 22

والإنجيل، والزبور، والفرقان"، ثم أودع هذه العلوم في الفرقان ثم أودع علوم الفرقان في المفصّل، ثم أودع علوم المفصل في الفاتحة فمن علم تفسير الفاتحة كان عمن علم تفسير جميع كتب الله المنزلة، ومن قرأها فكأنّما قرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ويضيف أنّ السورة مسماة بأم القرآن فوجب كونها كالأصل والمعدن[1]، فهي إذن تشتمل على معاني القرآن وأهم مقاصده الكلية الجامعة فهي مقدمة القرآن، وتجمع مواضيع أساسية في الشريعة الإسلامية والقرآن الكريم .

1-" الحمدُ لله ربّ العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدّين" تخص العقائد

2-"إياك نعبد وإياك نستعين" تخص العبادات

3-اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين" يخص مناهج الحياة [2].

7-المناسبة

يمكن إدراجه تحت آلية الترتيب لأنّ المناسبة كانت تعرف" بسر ترتيب القرآن"[3]، أي الترتيب الذي وجد في المصحف، وإنّ عناية الكتب التفسيرية يعدّ قليلا فقد أهملوا هذا العلم القائم بذاته ،وذكرّ به الرّازي حيث أشار إليه، وإلى احتوائه على لطائف القرآن من تأمل في لطائف نظم السور، وبديع ترتيبها علم أنّ القرآن كما أنّه معجز بحسب ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضا بسبب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا:" إنّه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك إلاّ أنّي رأيت جمهور المفسرين

[1] فخر الدّين الرّازي ، التفسير الكبير ، ج 1، ص: 184

[2] المصدر نفسه، ص: 186

[3] جلال الدّين السيوطي ،تناسق الدّرر في تناسق السور ،تحقيق :عبد القادر عطا الله ،دار الكتب العلمية ،لبنان ،ط1، 1986 ،ص:21

معرضين عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الأسرار"[1]، وهي بلا شك نظرة تحمل دعوة للنظر في هذا العلم كما أننا نلمس من خلال مقولته استشراف، وسبق لنصية القرآن عبر الترتيب والنظم"، وهي خصوصية الإعجاز التّي جعلته يتعالى عن بقية النصوص الأخرى، فالمناسبة هي ذلك الترابط الدلالي بين الآيات التّي على ملأ الفراغ كلما انقطعت الصلة بين الآية والأخرى، يذكر الرّازي تناسب افتتاح الآية الأولى من الفاتحة بأربعة سورة يذكرها على التوالي.

1-سورة الأنعام، في قوله: ،"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ "واعلم أنّ المذكور هنا قسم من أقسام ما هو مذكور في أول سورة الفاتحة، وأيضا فالمذكور في أول سورة الأنعام كأنّه قسم من أقسام ما هو مذكور في أول سورة الفاتحة، فالمذكور في أول سورة الأنعام أنّه خلق السموات والأرض، والمذكور في أول سورة الفاتحة كونه ربّا للعالمين[2]، فبهذا تحقق ترابط دلالي عبر وجه التناسب.

2-سورة الكهف: في قوله تعالى:" الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا " والمقصود منه ترتيب الأرواح بالمعارف، وفي قوله في أول سورة الفاتحة "رب العالمين" إشارة إلى التربية العامة في حق كل العالمين، ويدخل فيه التربية الروحانية للملائكة والإنس والجن والشياطين والتربية الجسمانية الحاصلة في السموات والأرضين، فكان المذكور في أول سورة الكهف نوعا من أنواع

[1] المصدر السابق ،ص: 22

[2] فخر الدّين الرّازي ، التفسير الكبير ، ج 1، ص: 186

ما ذكره في أول الفاتحة[1]، وهذا أيضا وجه آخر من أوجه التناسب الذي يخدم الترابط والتلاحم بين فواتح سورة الفاتحة مع الكهف ويخدم القصد الكلي.

3-سورة سبأ: وهو قوله:" الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (1) " فبيّن في أول سورة الأنعام أنّ السموات والأرض له وبين في أول سورة سبأ[2] الأشياء الحاصلة في السموات والأرض له، والأرض له وهذا أيضا قسم من الأقسام الداخلة تحت قوله: " الحمد لله رب العالمين " .

4-قوله: "الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ" والمذكور في أول سورة الأنعام كونه خالقا لها، والخلق هو التقديم، والمذكور في هذه السورة كونه فاطرا لها ومحدثا لذواتها، ويعد أيضا من الأقسام الداخلة تحت قوله:" الحمد لله رب العالمين "[3].

ممّا ذكرناه سابقا نلمس وجود تلاحم ، وترابط دلالي على مستوى المعنى الذي يعد بنية واحدة مع سورة الفاتحة، وهي لطائف أظهرها "فخر الدّين الرّازي" لإظهار التعالق الموجود بين فاتحة سورة الفاتحة، وبين بقية الآيات المذكور فيها "الحمد لله" بحيث يدرك القارئ أنّ مطلع سورة الفاتحة، وبقية المطالع الأخرى ترمي إلى مقصدية واحدة لا تنفك ،ولا تتناقض، بل هي منسجمة الوصول إليها يكون عبر إعمال العقل لموجبات القضايا القرآنية ككل واحد موحد.

8-التلقي والتأويل وعلاقته بالانسجام:

ا-التأويل:

[1] المصدر السابق، ص: 186

[2] المصدر نفسه ، ص: 187

[3] المصدر نفسه ،ص: 187

يتقلد التأويل في المعاجم اللغوية معان مختلفة أبرزها " الرجوع إلى الأصل والعودة إلى أصل الشيء، سواء كان فعلا أو حديثا وذلك لاكتشاف دلالته ومغزاه، وهي حركة ذهنية عقلية في إدراك الظواهر"[1]، أمّا اصطلاحا فهو صرف الآية إلى ما تحمله من المعاني وقيل:" أصله من الإيالة، وهي السياسة، فكأن المؤول يسوس الكلام، ويضع المعنى فيه موضعه، وهو كشف ما انغلق من المعنى وهو يرتبط بالاستنباط ،ومن أبعاده أنّه يعمل على توجيه القارئ لمواجهة النص والكشف عن دلالاته، وهذه المساحة المتاحة للقارئ تكون مضبوطة وفق شروط وقواعد يعتمدها"[2]

أما في الثقافة الغربية، فارتبط التأويل كنشاط يمارس مع النصوص الدينية، وحتى نتمكن من التأصيل لهذا المصطلح علينا وضعه في سياقه اللغوي الذي انبثق منه، فهو في التعبير الإنجليزي في الثقافة اليونانية الكلاسيكية يعني" هرمس " "HERMEMEUS" ويقصد بها: المفسر أو الشارح ووصف أفلاطون الشعراء بأنّهم "مفسري الله" و في الأسطورة اليونانية ، كان هرمس رسول الآلهة و كان عمله هو أن ينقل إلى النّاس في الأرض رسائل وأسرار آلهة أوليمبوس ، فمهمته هي بناء جسر التفاهم بين العالمين الآلهة والجنس البشري[3]، فارتباط (الهيرمونطيقيا) بعملية الفهم وتفسير النصوص ،وقراءة النصوص القديمة ، فبول ريكور يرجح بداية التأويل، وارتباطه بعملية فهم النصوص والفهم يكون انطلاقا من القصد على أساس ما يريد أن يقول أي ارتباطه بعملية القراءة، وتعلق أيضا بعملية التفسير النصي الذي يحتوي على عدد من المعاني، وبما أنّ ارتباط فهم النصوص

[1] ناصر حامد أبو زيد ، مفهوم النص ،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط1 ،2014 ،ص: 240

[2] ينظر: المرجع نفسه ، ص: 243

[3] دايفيد جاسبر ، مقدمة في الهرمينوطيقا ، ترجمة :وجيه قانصو ،الدار العربية ناشرون ،ط1 ،2007 ،ص: 16

أصبح عسيرا نتيجة التباعد الثقافي، فقد وضع القارئ معادلا للنص[1]، نستنتج أنّ "بول ريكور" ربط بين التأويل، والفهم لهدف تفسير النص وهي علاقة أصيلة مكنت من استرجاع دور القارئ في هذه العملية وجعلته الواسطة بينهما، وهو بلا شك ما دعت له النظريات الحديثة خاصة لسانيات النص وتحليل الخطاب، حيث اهتمت بالتأويل كآلية من آليات الانسجام التّي تضع المتلقي في معرض التفاعل مع النص /الخطاب اعتمادا على السياق وعناصره.

ب-التلقي:

تأسست هذه النظرية على يد "ياوس و أيزر" واحتلت مكانة مميزة في كتب النقد والتأويل، فهي ليست مقاربة جمالية لنصوص معينة لكنها جزء من نسق فكري عام بدأ يؤسس نفسه منذ الستينيات تقوم على أسس محددة كوحدة الثقافة الأوربية، السنن، امتزاج الآفاق، تعاقب القراءات وتفاعل النص بالقارئ[2]، فهي راهنت على الأبعاد الثلاثة: (المؤلف، والنص، والقارئ) تصهرها جميعا في آلية القراءة، واجتمعت هذه النظرية الحديثة كمرحلة ما بعد البنيوية للخروج إلى مقاربة جديدة تنظر إلى (الملفوظ النصي) على أنّه واحد من المستويات التّي تفيدها (القراءة) وتوجيه المتلقي لا إلى الكشف عن المعنى فقط، بل بناء المعنى وإنتاجه وتغذية التحليل اللساني بمرجعيات ذاتية قائمة على فعل الفهم[3]، فالأمر الذي يجمع عليه النقاد هو أنّها،" نظرية تعنى بالفهم لا بالقراءة فحسب، والتماس المعنى من جديد واستجماع تلابيبه إنّها بمنزلة التأويل أو الاسترجاع فيستشعر القارئ فراغ المعنى وخواءه، فإذا به يلتمس من جديد المعنى من خلال قراءة ثانية تسترجع عودا على

[1] ينظر: بول ريكور ، صراع التأويلات ، ص: 32

[2] ينظر : محمد مفتاح ، النص من القراءة للتنظير ، ص: 46

[3] ينظر : بشرى موسى صالح ، نظرية التلقي ؛ أصول و تطبيقات ، المركز الثقافي العربي ، لبنان ، ط1، 2001،ص:35

بدء النص في كليته فينتظم الشكل كلا لا يتجزأ ، تتناسق ملامحه الأسلوبية "[1]، وينتج عن ذلك الانسجام الذي يوفره النّص للقارئ. إنّ أهم ما ورد في هذه النظرية هو منح القارئ " القارئ الضمني السلطة على النّص ، وهذه السلطة أو سمة التوافق ،والتلاؤم ليس معطى نصي وإنّما هو بنية من بنيات الفهم التّي يمتلكها هذا القارئ، ويبنيها بنفسه وبالتالي يحقق الاستجابة والتفاعل النّصي وهي ما يسميها " أيزر" بالفجوات أو الفراغات التّي تتطلب من القارئ ملأها، وتحصل نتيجة التفاعل بينه وبين بنية النص وعملية الفهم لديه[2]. ما تجتمع عليه هذه النظرية بالتأويل أنها استفادته أي استقت منه المتلازمات الأساسية لأي عملية تأويلية وهي: الفهم– التفسير––– التطبيق، فيما يكون هناك أفق الانتظار، وهو مفهوم إجرائي لهذه النظرية، وهو يتألف حسب "ياوس" من ثلاثة عوامل رئيسة :

ا–التجربة المسبقة التي اكتسبها الجمهور عند الجنس الذي ينتمي إليه النص

ب–شكل الأعمال السابقة و موضوعاته التي يفترض معرفتها .

ج–التعارض بين اللغة الشعرية واللغة العملية أي التعارض بين العالم التخيلي والواقع اليومي[3].

ج–التأويل المحلي:

هو من أحد الوسائل التي يقتضيها مفهوم الانسجام، بحيث يؤول النّص وفق شروط محددة ضمن التجارب السابقة، ومعرفة السياق، ويرى "محمد الخطابي" أنّ هذا المبدأ يعتمد على تقييد الطاقة التأويلية لدى المتلقي خاصة أنّه يوظف السياق

[1] فؤاد عفاني ، نظرية التلقي ؛رحلة الهجرة ، دار نينوي،سوريا، ط1 ،2011 ،ص:101

[2] ينظر : بشرى موسى صالح ، نظرية التلقي ، ص: 49

[3] ينظر : المرجع نفسه ،ص: 46

باستعمال المؤشرات الزمنية ،والمكانية[1]، وهذه الوحدات اللغوية تتطلب أكثر من غيرها معلومات عن السياق لتيسر الفهم، إذ تمّ إدراجها في مقطع خطابي استوجب على الأقل معرفة هوية المتكلم ،والمتلقي والإطار الزماني ،والمكاني للحدث اللغوي[2]، لذلك يقودنا التأويل المحلي إلى آلية أخرى، وهي التشابه أي؛ تلك التجربة أو مجموعة المعارف التّي يحملها المتلقي ،ويواجه بها النصوص، لهذا عدّ "ناصر حامد أبو زيد"، "أنّ البدء المشترك بين تجربتنا ، وتجربة النّص، كذلك على أساس المشترك بين الماضي والحاضر، نعيش تجربة النص الذي ينتمي إلى الماضي، ذلك أنّ للماضي وجودا مستمرا في الحاضر، والحاضر يدرك الماضي من خلال تجربته الذاتية"[3]، فالطريقة التّي ندرك فيها أهمية التأويل المحلي الذي يفيد السياق وبالتّالي يقيد الطاقة التأويلية للقارئ وبهذا التقييد نستبعد التأويل غير المنسجم مع المعلومات الواردة في الخطاب[4].

د-التأويل ودوره في انسجام الخطاب القرآني:

يرى "الغزالي" أنّ تفسير الكلام وبيان معناه، سواء وافق ظاهره أو خالف إذا إنّه يضاهي التفسير يحمد حقه و يرّد باطله"[5]، إذ يعتمد التأويل على حركة ذهن المؤول في تفسير النّص وفهمه ، فيصبح أداة لفهم النص القرآني وآلية لفتح أقفاله والتفتيش عن خفاياه ، وهنا تصريح بأنّ التأويل" حركة ذهنية لإدراك الظواهر"[6] ،

[1] ينظر : محمد الخطابي ، لسانيات الخطاب ، ص: 56

[2] ينظر : ج-براون ،ج-يول ،تحليل الخطاب ،ص: 35

[3] ناصر حامد أبو زيد ، إشكالات القراءة و التأويل ، المركز الثقافي العربي ، ط6، 2001 ،ص:28

[4] ينظر : محمد الخطابي ، لسانيات الخطاب ، ص: 28

[5] أبي حامد الغزالي ، قانون التأويل ، تحقيق : محمد الكوثري ،مؤسسة بشر للثقافة الإسلامية ،ط1 ،1993،ص:03

[6] ناصر حامد أبو زيد ، مفهوم النص ، ص: 240

أي يتعلق الأمر بعمليات ذهنية يقوم بها القارئ أو المؤول للنص ،لذلك خصّ "الشاطبي" قاعدة يتخذها المؤول ليهتدي بها وهي معارف يسلكها المؤول نذكرها :

ا- معرفة عادات العرب في أقوالها ومجاري أحوالها حالة التنزيل

ب- معرفة لسان العرب، مفردات وتراكيب ومعاني

ج- معرفة أسباب التنزيل ومقتضيات الأحوال

د- معرفة علم القراءات والناسخ والمنسوخ وقواعد أصول الفقه التي تتحدث عن المبيّن والمؤول والمقيد والمتشابه والظاهر والعام والمطلق[1]، ومن هذه المرتكزات التي اعتدّ بها الشاطبي حيث وضع مجالا واضحا لأهمية السياق الاجتماعي، وهو ما كان يقصد به التعامل مع النّص من خلال معطيات النّص نفسها ، وفهمه انطلاقا من سياقه الخاص ،وتأويله تأويلا داخليا محليا، وهو ما جاء به الخطابي بمبدأ "التأويل المحلي" بحيث يكون للسياق دور في توجيه العملية التأويلية وقدرة القارئ أو المتلقي، فالنص الواحد يمكن أن يفهم باختلاف كبير، وهو بذلك يعالج التفاوت الحاصل بين ما هو مكتوب في النص وبين طريقة الفهم البشري للنّص[2].

"الشاطبي" صاغ قاعدة تأويل منفردة عن غيره بحيث حاول التوفيق بين القوانين الكونية التركيبية، والقوانين التداولية وخصوصية النّص، وخصوصية اللغة التي يصاغ بها النّص، وأيضا خصوصية الزمان فاستثمر في نظرية التعريف المنطقي، ونظرية التجنيس ونظرية الاستقراء، وأيضا مجاري العادات ومقتضيات الأحوال [3].

[1] محمد مفتاح ، النص من القراءة للتنظير ، ص: 73

[2] دايفيد جاسبر ، مقدمة في الهرمينوطيقا،ص: 29

[3]، محمد مفتاح ، النص من القراءة التنظير ، ص: 73

هـ-نموذج تطبيقي

إذا تعاملنا مع تحليل الآية وفقًا للتأويل المحلي الذي جاء به " محمد خطابي" ، فإنّه يتعين علينا فهم الآية القرآنية وفق السياق وأسباب التنزيل أو ما سمّاه" الشّاطبي " بالمقاصد ومقتضيات الأحوال[1].

في قوله تعالى: " وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (26) وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27) لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (28) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (29)"[2].

ا-**المخاطـب:** هو الله- عز وجل-

ب-**المخاطَب:** هو محمد- عليه الصلاة والسلام- استنادا إلى تفسير "الرّازي" فإنّ المأمور بقوله :"وأذن" هو محمد، هو المخاطب به فهو أولى وتقدم قوله " وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ" لا يوجب أن يكون قوله "وأذن" يرجع إليه إذ قد بيّنا أنّ معنى قوله: "وَإِذْ بَوَّأْنَا" أي واذكر يا محمد "وَإِذْ بَوَّأْنَا" فهو في حكم المذكور، فإذا قال تعالى " وَأَذِّن" فإليه يرجع الخطاب[3].

ج-**الرسالة** : وعلى هذا القول ذكروا في تفسير قوله تعالى :" وَأَذِّن" أنّ الله تعالى أمر محمدا- صلى الله عليه وسلم- " بأن يعلم الناس بالحج ويعلم الناس أنّه حاج فيحجوا معه وفي قوله: "يَأْتُوكَ" دلالة على أنّ المراد أن يحج فيقتدى به وثالثا أنّه

[1] ينظر: محمد مفتاح ، النص من القراءة للتنظير ، ص: 73

[2] سورة الحج ، الآية :29

[3] فخر الدّين الرّازي، التفسير الكبير ، ج 23 ص: 29

ابتداء فرض الحج من الله تعالى للرسول، وهنا الرسالة هي تبليغ الناس فريضة الحج والاقتداء بالنبي الكريم[1].

د-تحديد المؤشرات وضبطها :

المؤشر الزمني : نلفي وجود زمان متمثل في تحديد زمني مذكور في الآية :" أيام معلومات " وهي ما خص به أيام الحج المفروضة على المسلمين .

مؤشر المتكلم : وهي مجموعة من الضمائر التي تدل على الذات المتكلمة نذكر منها : " أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ" ، تعود إلى الله- عز وجل-

مؤشر المستمعين : وذلك لتفسير الجمل التي تحتوي على مقام التخاطب نذكر منها :"يأتوك" كاف الخطاب الدالة على مقام استحضار للمخاطب والإشارة إليه .

م-ظروف التنزيل

أمر الله إبراهيم ببناء البيت، وتطهيره من الأقذار، وكانت معمورة فكانوا قد وضعوا فيها أصناما فأمر الله تعالى بتخريب ذلك البناء ووضع بناء جديد، ذلك هو التطهير من الأوثان، وأمره أن لا يشرك بالله في العبادة ولا يشرك به غرضا آخر في بناء البيت ، ثم تأتي الآية التي تأمر الناس بالحج.

هـ-**اللغة المشتركة:** وهي تمثيل العلاقة بين طرفي الخطاب والمعرفة المشتركة فهي من تؤطر عملية التواصل،" إذ ينطلق المرسل من عناصرها السياقية في إنتاج خطابه، كما يعوّل عليها المرسل إليه في تأويلها وبذلك يحصل الفهم والإفهام"[2]، من خلال التفسير ذكر "فخر الدّين الرّازي" قول الله:" ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ" (الحجّ 29) في قول "الزجاج":" إنّ أهل اللغة لا

[1] المصدر السابق ، ص: 29

[2] ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص: 73

يعرفون (التفث) إلا من خلال التفسير، وقال المبرد أصل (التفث) في كلام العرب كل قاذورة تلحق الإنسان فيجب عليه نقضها والمراد هنا قص الشارب والأظفار ونتف الإبط وحلق العانة، فقد أنزل القرآن لغة يفهمها العرب، وتعكس عاداتهم وسلوكاتهم الاجتماعية، وهي معرفة لسان العرب وتراكيبهم التي رجحها "الشاطبي" لتأويل القرآن الكريم .

و-**المتلقي والمعرفة الخلفية** :من خلال التفسير الكبير حينما يواجه أي متلق لنص أو خطاب فإنّه يعتمد على مجموعة من المعارف تكون مخزنة في ذاكرته وأثناء تحليله النّص فإنّه يضع تلك المعارف في إطار الخطاب الذي بين يديه ، فالآية القرآنية التّي تتحدث عن الحج في إطاره المحدد له، والذي يتبنى ظروفا تقتضي التسليم بالحج كركن وفرض، والتضحية وذكر اسم الله- عز وجل- يحيلنا إلى أنّ العرب عرفوا "شعائر دينية واعتقادات انتشرت في جزيرة العرب إذ كانوا يسجدون لأصنامهم ويعظمونها، وعرفوا أيضا مناسك الحج، فالحج قبل الإسلام يتشابه مع الحج الإبراهيمي، فقد كان الحج إلى مكة يتم في أشهر معينة، وهي شوال، وذو القعدة، وعشر من ذي الحجة؛ وتبدأ رحلتهم إلى الحج[1]، والعرب قبل الإسلام كانوا يعتقدون إذا خرجوا من بيوتهم وأحرموا لا يحق لهم دخولها ثانية من أبوابها قبل أن يدخلوا البيت الحرام، وتشددهم هذا بسبب تعظيمهم الكعبة، حتى عدّ من شعائر الحج الجاهلي، وقد أبطل الله- سبحانه وتعالى- اعتقادهم بدخول بيوتهم من ظهرها على أنّها من البرّ[2] كما أنّهم عرفوا الطواف والوقوف بالمزدلفة والسعي بين الصفا والمروة والتلبية و"الهدي" وهو ذبح للأصنام في أيام منى أي

[1] ينظر : سعد عبود سمار ، المعتقدات الميثودينية عند العرب قبل الإسلام ، دار تموز ، دمشق ، ط1 ،2016 ، ص: 64

[2] المرجع نفسه ، ص:66

يوم العيد والثلاثة أيامٍ بعده، هذا ما يجعلنا نفهم طبيعة الخطاب الإلهي بتشريع الحج وشرع التكبير وذكر اسم الله " لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ"، يقول الرّازي:" المشركون كانوا يذبحون للنصب والأوثان، والقصد من "فكلوا منها" هو أنّ أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون منها ترفعا على الفقراء فأمر المسلمين بذلك مخالفة الكفار ومساواة الفقراء واستعمال التواضع[1].

ممّا انتهينا إليه من خلال هذا الفصل أنّ مدونة التفسير "لفخر الدّين الرّازي" تشمل على معايير النصية تتوافر عليها عبر الخطاب الشامل الذي اعتمده "الرّازي" وهو بصدد التفسير القرآني، فلا نحتاج لإبراز هذه الشمولية والكلية والترابط ، فهو يستعمل هندسة بنائية للتدليل على وجود الاتصال والتماسك والانسجام، وإن احتجنا في ذلك إلى مقاربتها بأدوات حديثة مع ذلك لم نر انفلاتا لأنّ "الرّازي" وهو يشرح مدونته التفسيرية قدّم لنا مفاتيح نصية عالجها وفق ما اقتضت له طبيعة الخطاب القرآني المتسق والمنسجم .

من أهم آليات الاتساق التّي وظّفها الرّازي هي الإحالة الضميرية التّي نجده في مواضع كثيرة يعقب على مرجعيتها وإلى من تعود، كما أنّنا نلفي التناسب الذي اعتبره ترتيبا بين أجزاء الخطاب الواحد، وأيضا الحذف بصوره المختلفة وكذلك آلية التكرار التّي تندرج ضمن الاتساق المعجمي، وأيضا الوصل والعطف والترابط عبر الضمائر .

و ما استنطقناه من آليات الانسجام: الترتيب المنطقي الذي رجّحه في أكثر من آية بحيث يمنح المجال للأسئلة التي تراود المتلقي حول هذا الترتيب الذي جاء به القرآن، ويشرح شرحا مستفيضا ليبرز أنّ الترتيب الذي جاء به القرآن هو الأولى

[1] فخر الدّين الرّازي ، التفسير الكبير ، ج 23، ص:30

والأرجح، كما أنّه أعطى السياقَ مساحةً لتوجيه المتلقي، ووضعه في القالب المناسب الذي يجعله يفهم سبب التنزيل ومقامه وبالتّالي يحصل الفهم الصحيح للقصد كما أنّ غياب عناصر بعينها لا يعني بالضرورة غياب الانسجام بل الناظر في شروحات الرّازي تمكنه من استخراج آليات كثيرة كالتأويل وتحديد موضوع الخطاب والعلاقات التي تربط الخطاب ترابطا دلاليا مفهوميا.

الفصل الرابع : الإحالة النصية وأبعادها اللسانية في سورة مريم

1- المبحث الأول: الإحالة ماهيتها ومفاهيمها.

2-المبحث الثاني: طبيعة الإحالة عند فخر الدّين الرّازي.

3-المبحث الثالث (تطبيقي): أنواع الإحالات وأبعادها اللسانية في سورة مريم.

المبحث الأول:

1– الإحالة ماهيتها ومفاهيمها:

الإحالة من أهم وسائل السبك (الاتساق)(Cohesion) ، ومن المعايير المهمة التّي تسهم بشكل فعّال في الكفاءة النصية، بل اعتبرها "دي بوجراند" من البدائل المهمة في إيجاد الكفاءة النصية[1].

لم تتفق التعاريف على تحديد ماهية الإحالة وضبطها لتشابكها مع مجموعة من المصطلحات تدور في فلكها تارة وتتضمنها تارة أخرى نظرا للدور الذي تقوم به في عملية الدلالة والتداول الكلامي.

لغة: من مصدر الفعل "أحال" يقول ابن منظور:" أحال – والمحال من الكلام ما عدل به عن وجهه، وحوّله: جعله محالا ،وأحال: أتى بمحال: ورجل محوال :كثير محال الكلام".[2]

وفي تاج العروس:" أحال الشيء، تحوّل من حال إلى حال أو أحال الرّجل تحوّل من شيء إلى شيء "[3].

من خلال هذه الإضاءات اللغوية التّي تشترك في بيان الإحالة على معان التغيير والتحول والانتقال سيتلقى بما جاء في مفاهيم الإحالة اصطلاحا، خاصة عند تعرضهم للإحالة الداخلية التّي تفرض وجود علاقة قائمة بينهما أي بين اللفظ وما يحيل إليه، وتسمح لنا بتقريب المقارنة بذلك التغير من حالة إلى أخرى.

---

[1] – ينظر : أحمد عفيفي ، الإحالة في نحو النص ،كلية دار العلوم القاهرة.،ص:06

[2] – ابن المنظور ، لسان العرب ، مادة أحال ،ص :187–188.

[3] – محب الدين أبي فيض السيد مرتضى الحسني الزبيدي ، تاج العروس من الجواهر القاموس ،مج 14، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ،د.ط، 2005م، ص :160.

أما اصطلاحا: عرّفها "دي بوجراند" بأنّها:" العلاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي نشير إليه العبارات"[1]، في حين جاء تعريف "جون لاينز" John lines"التقليدي الدلالي يتجلى في إطار علاقة الدال والمدلول:" إنها العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات"[2]، فهي علاقة تقوم بين الخطاب، وما يحيل عليه الخطاب في الواقع أو المتخيل أو في خطاب سابق /لاحق.

إنّ تعريف "جون لاينز" John linesالتقليدي الدلالي[3] يتجلى في إطار علاقة الدال بالمدلول، لذلك ظهرت الدراسات النصانية التي أولت أهمية للمقام وسياق التلفظ والموقف في العالم الخارجي هذا ما نلمحه لدى "آن روبول" و"جاك موشلر"، "JACK MOCHLER"هي فعل لغوي يستعمل فيه المتكلم تعبيرا محيطا قصد الإشارة إلى شيء ما في العالم"[4]، وهنا مفهوم الإحالة يرتكز على محور العلاقة بين متكلم واستعماله اللغةَ حتى يوصل قصدا ما وهذا النوع من الإحالة يطلق عليه بالتداولية.

يذكر "جورج براون، و"جورج يول" الإحالة بتعقيبه على "لينز" ومفهومه الدلالي ويبيّن تصريحه بالحديث عن طبيعة الإحالة الذي يقول فيه:" إنّ المتكلم هو الذي يحيل باستعماله لتعبير مناسب"[5] ؛أي أنّه يحّمل التعبير وظيفة إحالية عند قيامه بعملية الإحالة ويتبنى "جورج" التعريف الحديث، ويرى أنه المعتمد في تحليل الخطاب.

---

[1] – روبرت دي بوجراند ، النص و الخطاب و الإجراء ، تر: تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1998،ص: 172.

[2] – ج بروان – ج يول ، تحليل الخطاب، تر : لطفي الزليطني ، ومنير التركي، جامعة الملك سعود ، الرياض ، 1997، ص :36.

[3] – ينظر أحمد عفيفي ، الإحالة في نحو النص ،ص :12.

[4] – Anne Reboul et Jacques Moschler , diction maire ency clopédique,p:362.

[5] – جورج براون بول ، تحليل الخطاب ، ترجمة لطفي الزليطي ومنير التريكي ،ص :235.

ويرى كلاهما أنّ الإحالة داخل النّص تربط العبارات في أجزاء مختلفة من النص، ومن ذلك الضمائر " فالأدوات التي تحيل داخل النص هي الأدوات التي تعتمد في فهمنا لها لا على معناها الخاص، بل على استنادها إلى شيء آخر وهذه الأدوات تجبر المستمع (القارئ) على البحث في مكان آخر عن معناها فمتى كان الشيء المحال عليه خارج النص في السياق أو المقام فإنّ العلاقة تسمى خارجية"[1] " حيث إنّها لا تلعب دورا في ترابط النص، ومتى كان الشيء المحال عليه داخل النص فتسمى علاقة داخلية، وهي تؤدي دورا في تماسك أجزاء النص" [2]، وهنا تفصيل بين الإحالة داخل النص التي تسهم في اتساق وترابط الخطاب/النص، وينفي عن الإحالة الخارجية دور الربط، وهو رأي منوط بهما.

يتفرد كل من "جورج براون" و" بول" إلى ذكر أنماط الإحالة داخل النص وهي:

ا – إحالة خارجية: انظر إلى ذلك الشيء.

ب – إحالة داخلية إلى الوراء: أنظر إلى الشمس: إنّها تغرب بسرعة، الضمير (ها) يعود إلى الوراء على الشمس، إلى الأمام: إنّها تغرب بسرعة الشمس (الضمير "ها") يعود إلى الأمام على الشمس[3].

وهذان المثالان هما رؤية عن علاقة الترابط النّصي بين مفردة كاملة "الشمس" وضمير "ها"[4]، فالإحالة تحث المتلقي على العودة داخل النص وتقفي عن معنى الأداة التي تدل على المعنى الخاص بها، وهكذا تتكون العلاقة النصية باستمرار الدلالة والبحث عنها، وإعادة تدوير الجملة وربطها بالتي تليها أو تسبقها، وهذه العلاقة التي تدعونا إلى فهم مقطع بالرجوع إلى مقطع آخر هي التي تعمل على

[1] – المرجع السابق ،ص:235 .

[2] – المرجع نفسه ،ص: 235.

[3] – جورج براون وجورج بول ، تحليل الخطاب ،ص: 235.

[4] – المرجع نفسه ،ص :236.

الربط النصي وتحقيق خاصية النصية وبفضلها يتّم تجاوز حدود الجملة الواحدة وتعيين الاستمرارية التي تحتاج إليها ميزة الاتساق.

خصّص "محمد خطابي" حيّزا في دراسته اللسانية التّي اعتمد فيها على كتاب "الاتساق في اللغة الإنجليزية" في معرض اهتمامه بالدراسات الغربية السابقة لتأسيس مصطلحات لسانيات النّص، وباعتبار" الإحالة عنصر يحقق الاتساق النّصي لذلك استعمل الباحثان مصطلح الإحالة استعمالا خاصا واعتبرا أنّ العناصر المحلية كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل"[1] فقد قسّما الإحالة إلى نوعين رئيسيين:

الشكل رقم:05

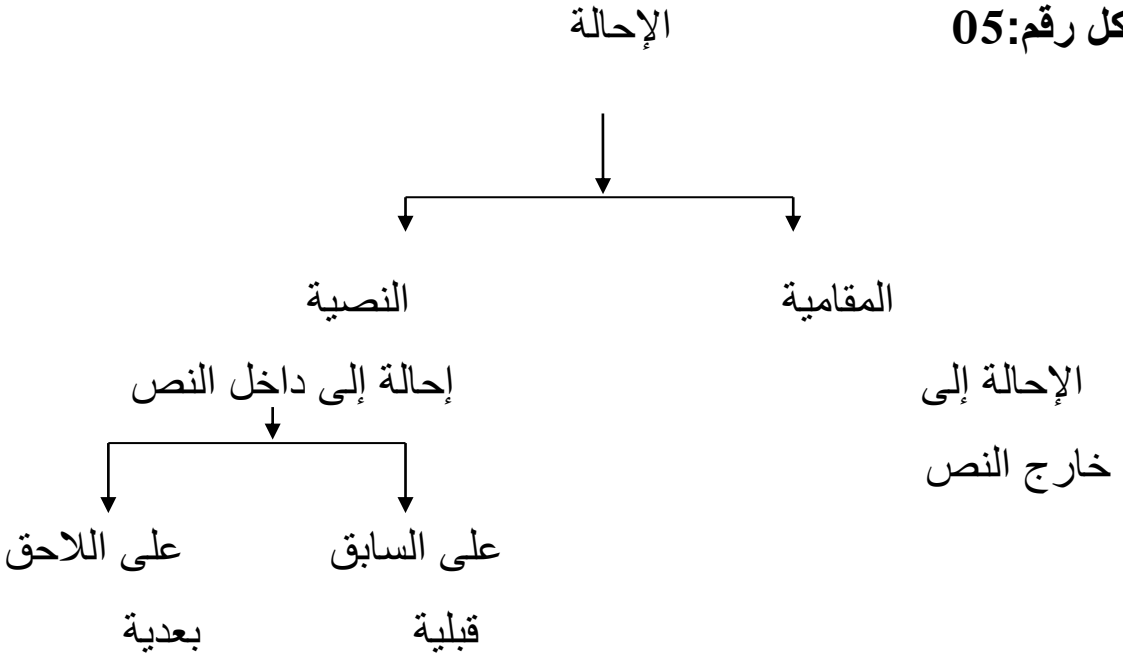

[1] – محمد خطابي، لسانيات النص ؛ مدخل إلى انسجام النّص ،المركز الثقافي العربي ،بيروت ،الدار البيضاء،ط1، 1991،ص:18

نضيف كقاعدة عامة يمكن أن تكون" عناصر الإحالة (مقامية) أو(نصية)، وإذا كانت نصية فإنّها يمكن أن تحيل إلى (السابق) أو إلى (اللاّحق)" [1]، أي كل العناصر تملك إمكانية الإحالة والاستعمال هو وحده الذي يحدد نوع إحالتها.

يرّكز "هاليدي ورقية حسن" على الإحالة النصية ولأنها تقوم بدور فعّال في اتساق النص على غرار الإحالة المقامية التي يأتي دورها في خلق النص وتربط اللغة بسياق المقام[2]، هذا التصنيف يجعل دور الإحالة المقامية غير مهم بالموازاة مع الإحالة النصية خاصة في مدى اتساق النص وتماسكه .

يستفيض الأزهر الزّناد في شرح أنواع الإحالات كما وردت عند علماء النص، وأضاف لها تفريعات لها ما يمثلها في الدرس اللغوي العربي وهي:

1 – إحالة داخل النص أو داخل اللغة(ENDOPHRA):

وهي إحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ، سابقة كانت أو لاحقة فهي إحالة نصية[3]، وهي تنقسم إلى قسمين:

ا – إحالة على السّابق أو(الإحالة بالعودة): وهي تعود إلى مفسر سبق التلفظ به، ويتم التعويض عن طريق لفظ المفسر الذي كان من المفروض أن يظهر حين يرد

[1] – شريفة بلخوت ، الإحالة دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول و الثاني قي كتاب cohésion English .أ.ك هاليداي ورقية حسن،مذكرة لنيل شهادة ماجستير ،إشراف:الحواس مسعودي،الجزائر ،2006 ،ص:50.

[2] – ينظر: مفتاح بن عروس ، الاتساق و الانسجام في القرآن ، نور الحوران للدراسات و النشر و الترجمة ط1، 2018،ص:163.

[3] – الأزهر الزّناد ،نسيج النص ، بحيث ما يكون به الملفوظ نصا ،المركز الثقافي العربي، بيروت،ط1، 1993، ص:132.

المضمر[1]، كما ضمّن في إطارها نوع آخر من الإحالة يتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد تسمى الإحالة التكرارية[2].

ب – إحالة على اللاّحق (**Catafora**)، وهي تعود إلى عنصر إشاري مذكور بعدها في النص، ولاحق عليها من ذلك ضمير الشأن في العربية.

2 – إحالة على ما هو خارج اللغة (Exphora):

تعتمد على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي كأن يحيل الضمير المتكلم المفرد على ذات صاحب المتكلم، و"هي لا تقتصر على ضمائر الحضور، فلهذا النوع من الإحالة "كفاءة "من حيث تجاوزها للخطوة البينية وتعتمد على سياق الموقف"[3].

علاوة على الوسائل الثلاث يضيف" دي بوجراند "الأسماء الموصولة، كما أشار إليها أيضا "الأزهر الزناد" بحثي تعد من الألفاظ الإحالية التّي لا تملك دلالة مستقلة بل تعود إلي عنصر أو عناصر أخرى سبق ذكرها في أجزاء أخرى من الخطاب، فهي ألفاظ كنائية لا تحمل دلالة خاصة وتشارك بقية الأدوات الاتساقية في عملية التعويض فهي تصنع ربطا مفهوميا بين ما قبل الذي وما بعده[4].

---

[1] – سعيد حسن بحيري ، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ، مكتبة الآداب ، القاهرة، ط1 ،2005 م،ص :106.

[2] – ياسين فوزي لأحمد بني ياسين ، الإحالة في النص القرآني ،إشراف الأستاذ الدكتور أبو العدوس ، رسالة ماجستير ،جامعة اليرموك، 2003م،ص :61.

[3] – ياسين فوزي ،الإحالة في النص القرآني ، مرجع سابق ،ص:61

[4] – ينظر: أحمد عفيفي ، الإحالة في النحو النص ،ص: 28.

عناصر الإحالة: يمكن تمثيلها بالرسم البياني التّالي:

الشكل رقم :06

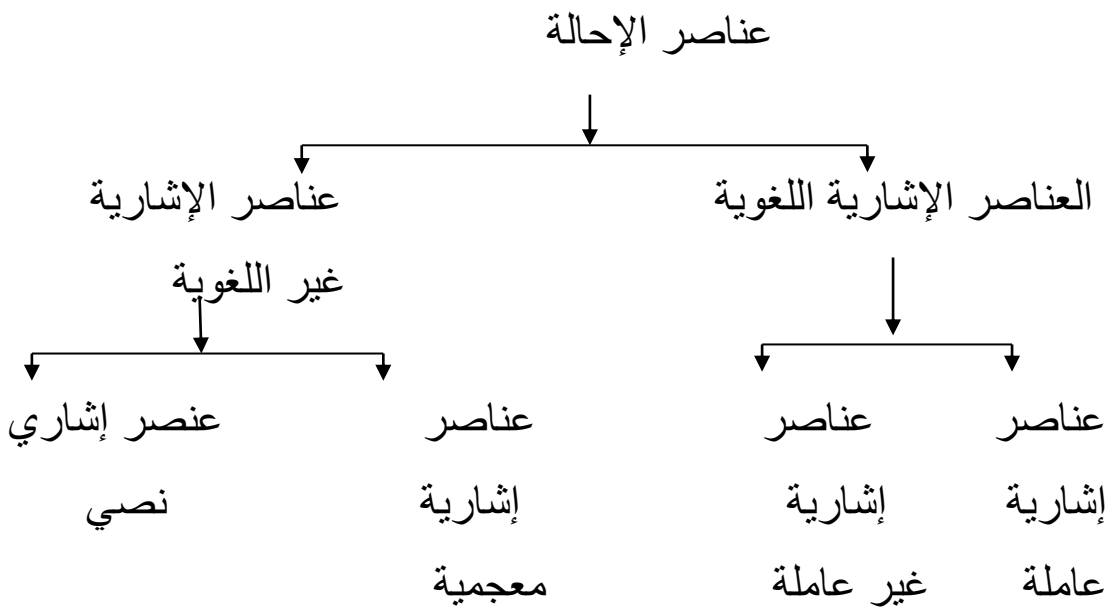

يمكن التعقيب على الرسم البياني الذي يحمل "عناصر الإحالة التّي تتشكل بفعل تضافر عناصر إشارية لغوية، وغير لغوية فالأولى تمثل عنصر إشاري يذكر مرة واحدة في النص ولا يحال عليه فهو غير عامل، وعنصر إشاري يذكر مرة أولى ثم يحال عليه بمضمر أو بلفظة مرة أو أكثر في غضون النص فهو عامل إذا حكم عدد ا من المكونات لأنّه يفسرها"[1].

ا- العناصر الإشارية غير اللغوية: تجمع على عنصر إشاري يتوفر ما يعود إليه الملفوظ، والمقام الحسي يلعب هنا دورا أساسيا في الربط بين المضمر الوارد في النص المفسر الذي يرتبط به والموجود خارج النص[2].

[1] – الأزهر الزناد ، نسيج النص ،ص :127–128.

[2] – المرجع نفسه ،ص :130.

ب- العنصر الإحالي: وهو ما لا يحتاج إلى مكون آخر يفسره ينقسم إلى عنصر إحالي معجمي يعود إلى مكون مفسر له يدلّ على ذات أو مفهوم مجرد وعنصر إحالي نصي يعود إلى مفسر له يمثل مقطعا من النص[1].

2- الإحالة المرجعية والإشارة:

1 – تجمع الإحالة من شقّها اللساني والفلسفي والتداولي ومرات كثيرة يحتدم عليه التفرقة بينها وبين كوكبة من المصطلحات التي أفرزتها علوم أخرى تتقاطع مع اللسانيات، وإذا رجعنا إلى الدرس العربي والتراث النحو والدلالي والأصولي فإنّه يتعثر علينا أن نميز بين المرجعية والإشارة والإحالة فإن كان الحضور" نظرية الإشارة منبثق أساسا من أصول فلسفية، منطقية وسيكولوجية علينا أن نعود أولا إلى ماهية هذه النظرية .

3– الإحالة والإشارة:

أ – الإشارة هي "علاقة بين اللفظ وما يشير إليه في المقام المستخدم فيه "[2] أمّا الإحالة هي علاقة اللفظ بالمفهوم العام الذي يحيل عليه في ذهن المخاطب بغض النّظر عن المقام أو السياق الخاص الذي ورد فيه[3]، والفرق هنا هو المقام والسياق التي تحتاج إليه الإشارة حتى يفهم معناها، بينما الإحالة تخص فقط ما تحيل إليه في ذهنية المخاطب وهي تخضع لقيود دلالية كما ورد في عرف علماء النص الذين نظّروا في هذا الحقل، وبالتّالي فإنّه كل إشارة إحالة وليست كل إحالة إشارة.

قبل ذلك يتعين علينا أن نؤصل لنظرية الإشارة كما وردت عند الفلاسفة والمناطقة.

---

[1] – ينظر : سعيد حسن بحيري ، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقات بين البنية والدلالة ، ص: 101.

[2] – محمد يونس علي ، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب ، دار الكتب الجديدة المتحدة ، لبنان ،ط1، ص :18.

[3] – المرجع نفسه،ص :18.

1 – مراتب الوجود

أي ما يراه الفلاسفة والمناطقة في أنّ وجود الأشياء يتجسد في أربعة أنواع:

1 – الوجود الذّهني: وهو وجود صورة للشيء المتحدث عنه في الذهن.

2 – الوجود الخارجي للشيء: وهو مثلا وجود أفراد البشر بكل أجناسهم وألوانهم وأشكالهم في الواقع الخارجي.

3 – الوجود اللّفظي: وهو وجود أصوات الكلمة التي تعد تمثل للصورة الذهنية

4 – الوجود الكتابي: حروف مكتوبة تدل على الكلمة المعينة[1].

ويأتي التّعريف في إطار تحديده وتعريفه لدلالة الإشارة "ما يؤخذ من إشارة اللفظ ونعني به ما يتبع اللفظ من غير تجريد قصد إليه، فكما أنّ المتكلم قد يفهم بإشارته وحركته أثناء كلامه ما لا يدل عليه نفس اللّفظ فيسمى إشارة فكذلك يتبّع اللّفظ ما لم يقصد"[2].

كانت هذه الإشارات التي قدّمها الغزالي إثر تقسيماته للألفاظ باعتبار نسبتها إلى المعاني، وباعتبار وجودها في الذهن لغاية الكتابة أي خروجها لحيّز الفعل وهذا يدّل على أنّ العرب لهم السبق في تحديد ماهية الإشارة ودلالتها.

يضرب "يونس علي" مثالا توضيحا للتفرقة بين الإشارة والإحالة:

قال الله تعالى :" بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا"[3]

[1] – أبو حامد الغزالي ، المعيار في فن المنطق ، دار الأندلس، بيروت ،ط1، 1984، ص: 46–47.

[2] – منقور عبد الجليل ، علم الدلالة أصوله ومباحث في التراث العربي ، من منشورات إتحاد العرب ،دمشق ،2001، نقلا عن المستصفى من علم الأصول ،ج2،ص:188.

[3] – سورة الأنبياء ، الآية :63.

هنا تقتصر الإحالة على مفاهيم عامة يعين في فهمها الوضع اللغوي ولا يتضح المقصود إلاّ بعد فك رموز إشارتها أي بتحديد مراجع تلك الإشارات، وبهذا كما يمكن أن نستشف أنّ الإحالات مرتبطة بالوضع اللغوي خاصة بالمعاني لا بالمقاصد التي تتكشف إلاّ بتوضيح تلك الإشارات أي أنّ دور الإشارات مهم في تجلي الإحالة[1].

3- الإحالة والمرجعية:

فصّل "ابن منظور" (ت711) في لفظ رجع:" رجع يرجع رجعا ورجوعا ورجعي ورجعانا ومرجعا ومرجعة انصرف، وفي التّنزيل: " إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ" أي الرجوع والمرجع مصدر على (فعلى)... ويقال جعلها الله سورة مرجعية والمرجعية: التي لها ثواب وعاقبة حسنة والمراجعة: المعاودة، والرجيع من الكلام: المردود إلى صاحب والرجع والرجيع: النّجو والروث وذو البطن لأنّه رجع عن حاله التّي كان عليها..."[2].

يعرّف "جون لينو نز": " مصطلح مرجعية على العلاقة الموجودة بين الكلمات والأشياء والأحداث والأفعال والنوعيات التي تمثلها الكلمات"[3]، فالمرجعية بهذا المعنى تمنح الأحقية لما ترجع له مدلولات الأشياء من أفعال وأحداث بغض النظر عن السياق وما يمكن أن تدل عليه، أمّا "جورج مونان فيعرفها: " إنّ اللغة بوصفها مجموعة أشكال منظمة تكتسب غاية وجودها من كونها تتعلق بخبرة المتكلمين في

[1] – محمد يونس علي ، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب،ص :19.

[2] – ابن منظور، لسان العرب ، بيروت لبنان ، مج6،ط6، ص :107-10.

[3] – John Lyons : Linguistique général, p326.

العالم وعلاقة موجهة من العلامة إلى الواقع"[1]، وهنا "مونان" فصل في حيّز المرجعية إلى غمار السياق والاستعمال الذي يمكن أن يختلف مدلوله.

وترى "آن ريبول" في إطار حديثها عن تأويل الخطاب أنّ :" المرجعية تتجاوز الإحالات اللّغوية في الخطاب إلى الأشياء في العالم"[2]، فحسب التعريف فإنّ المرجعية لها دور في عملية تأويل الخطاب بحيث يتم وضعها في إطارها الذي يتجاوز البعد اللغوي وهنا نفتح المجال للسياقات المختلفة حتى نستطيع فهم العلامات في وضعها "الزمني والمكاني والاجتماعي والثقافي ".

أمّا في لسانيات التلفظ فيمكن تعريف المرجعيات " بأنّها علامات تحيل إلى ملفوظيتها، فهي عبارة عن كلمات نشير من داخل الملفوظ " أنا – أنت – هنا" إلى تلك العناصر الأساسية المكونة الملفوظية وهذه العناصر هي: المتحدث والمخاطب ومكان وزمان الملفوظية"[3].

فالمرجعية(La référence) في اللسانيات التقليدية تعدّ من طبيعة غير اللغوية (Extra linguistique)، إذن لا يمكن الرجوع إلى الأشياء لتفسير العلامة اللغوية، " فالمرجعية العبارات التي تسمح للمتكلم بالإشارة إلى المخاطب أو إلى أشياء خاصة من عالم الخطاب أكان هذا العالم حقيقيا أو خياليا"[4].

فاستعمال اللّغة بوظيفتها المرجعية يعطي الخطابَ أو الحديثَ بعدَه الحقيقي في التأدية (الإنجاز)، ومن هنا تعتبر المرجعية القاعدة الأساس لكل اتصال وتواصل

---

[1] – George mounin, dictionnaire la linguistique , p284.

[2] – Anne Reboul et Jaques Moschler , pragmatique du discour Armand colin , paris , 1998, p125.

[3] – جان سيرفوننى ، الملفوظية ،تر : قاسم مقداد ، منشورات إتحاد العرب ،1998،ص :27.

[4] – حمو الحاج ذهبية ، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، تيزي وزو ،ط2، ص :104.

فهي الّتي تحدد العلاقة بين الملفوظ والموضوع الذي تحيل إليه و"تدل أيضا على سيرورة العلاقة بين الملفوظ والمرجع أي؛ مجموع الآليات الّتي تصل بعض الوحدات اللغوية ببعض الوحدات من الحقيقة غير اللغوية"[1]، فالمرجعية تعتبر وسيلة لتمكين التواصل بين استعمال اللغة من قبل المتكلم وتعيين تلك العلامات التي تعمل على وصل بين ما تعنيه في الحقيقة اللغوية وما يمكن أن تؤوّله خلال وضعها غير اللغوي.

الإحالة والمرجع مصطلحان يعبّر كل منهما عن الآخر،" المرجع يهتم بكل ما هو غير لساني، عكس الإحالة الّتي تعد خاصية لسانية فالإحالة وسيلة لتحقيق الاتساق والتماسك النّصي، وتأويل عناصره المبهمة من خلال المراجع اللغوية الكامنة في النص ذاته سواء كانت قبلية أو بعدية"[2]، فالمرجع يتداخل بوظيفته في تحقيق عمل الإحالة ،ولا يمكن الاستغناء عن أحدهما في مجال علم النّص.

تسهم المرجعية في تحقيق النصية فإنّ الإحالة الفعلية الخارجية زيادة على دورها تعمل على تأويل العناصر من خلال تعدد المحيلات إلى مرجع واحد وتعمل على تأويل العناصر المبهمة بالعودة إلى المراجع المتوفرة في المقام أو السياق[3].

فالمرجع هو كل مؤول لعنصر مبهم أو محيل سواء كان من داخل النص أو خارجه والإحالة تمثيل لوظيفة الشكل اللساني الّتي تدلنا على المرجع فهناك تداخل تكميلي وظيفي يربط بين الإحالة، والمرجع لا يتّم الواحد دون الآخر[4].

---

[1] –المرجع السابق، ص: 104.

[2] – سعد سرحت . لسانيات النص مداخل نظرية مع دراسة إجرائية في كتاب طوق الحمامة لبن حزم الأندلسي ،ص 107:.

[3] – الطالب رزيق بوزغاية ، قيام الساعة في القرآن الكريم مدلولية النص ومرجعيته، تحت إشراف الأستاذ الدكتور : صالح خديش ، جامعة منتوري قسنطينة ، السنة الجامعية ، 2012–2013،ص: 165.

[4] – ينظر: المرجع نفسه ، ص 165.

2-أنواع الإحالة الاتساقية:

يمكن تصنيف أنواع الإحالة الاتساقية إلى ثلاث :

1 – الإحالة في الضمائر.

2 – الإحالة الإشارية.

3 – الإحالة الدّالة على المقارنة.

1 – الإحالة بالضمائر:

صنّف المؤلفان"هاليداي ورقية حسن"، "الضمائر بحسب دورها في عملية التخاطب إلى ضمائر لها دور في عملية التخاطب، وهي جميع الضمائر الدّالة على المتكلم والمخاطب، وهي إحالة خارج النص (مقامية)"[1]، و"لتصبح إحالة داخل النص، أي اتساقية إلاّ في الكلام المستشهد به، أو في الخطابات المكتوبة من ضمنها الخطاب السردي، وذلك لأنّ سياق المقام في الخطاب السردي يتضمن سياقا للإحالة بحيث يجب أن تكون الإحالة داخلية (أي نصية)"[2].

لذلك" إحالة ضمائر التخاطب إحالة مقامية، ولا يمكن أن تكون مقالية وبالتّالي فإنّها لا تساهم في تحقيق تناسق النص أي أنّها لا تربط لاحقا بسابق"[3]، بينما "الضمائر التّي تؤدي دورا مهما في اتساق النص، فهي التي يسميها المؤلفان "أدوار أخرى(other rôles) وتندرج ضمنها ضمائر الغيبة إفرادا أو تثنية وجمعا (هو– هي– هم- هن– هما)، وهي تحيل قبليا بشكل نمطي إذا تساهم بربط أجزاء النص،

[1] – محمد شاوش ، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية،ص :126.

[2] – محمد خطابي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص ،ص 18.

[3] – محمد شاوش ، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية ،ص: 127.

وتصل بين أقسامه"[1]، وهذا التصنيف الذي يفرز دور ضمائر الخطاب في عملية الاتساق من عدمه هو المرّجح عند علماء النّص، بينما يختلف توظيفها في سياق الخطاب القرآني الذي لا يعترف بهذه القيود.

2 – الإحالة الإشارية:

عرّف "هاليداي ورقية حسن" "الإحالة الإشارية بكونها إشارة لفظية"[2]، وصنّفها إمّا حسب الظرفية: الزّمان (الآن - غدا) والمكان (هنا - هناك) أو حسب الحياد (the) أي ما يوافق أداة التعريف وصنف الإشارة الانتقائية حسب القرب (هذه – هذا) أو حسب البعد (ذلك- تلك)، ويشير إلى أنّ أسماء الإشارة تقوم بالربط القبلي والبعدي، وإذا كانت" أسماء الإشارة بشتى أصنافها محيلة إحالة قبلية بمعنى أنها تربط جزء لاحقا بجزء سابق ومن ثم تساهم في اتساق النص"[3].

3 – الإحالة بالمقارنة:

صنّف الباحثان "الإحالة بالمقارنة إلى صنفين: عامة (وتكون إشارية) وخاصة (تكون غير إشارية)" [4]، ويتفرع منها التطابق والتشابه والاختلاف، أمّا التشابه أو المماثلة فهي خاصية إحالية، فالشيء الواحد لا يمكن أن يكون مثل، فقط بل يجب أن يكون مثل شيء آخر.

---

[1] – محمد خطابي ، لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام النصي ،ص :18.

[2] – محمد شاوش ، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية ،ص :128.

[3] – محمد خطابي ، لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب،ص :19.

*إذا رجعنا إلى كتاب سيبويه فهو يضع بابا بعنوان "باب الاستقامة من الكلام والإحالة "حيث أدرجت "الإحالة "بالمعنى النحوي الذي يقسم فيه الكلام إلى خمسة أقسام ،هي :المستقيم الحسن ،المحال ،والمستقيم الكذب والمستقيم القبيح والمحال الكذب "وهنا لا يمت بصلة للمفهوم الحالي عند علماء النص بل هو وصف لوضعية كلام ،ينظر :أبو بشر عمرو بن عثمان ،الكتاب ،مصدر سابق ،ص:25.

4-الإحالة وإرهاصاتها في الموروث العربي:

إنّ التأسيس الفعلي لما يسمى بالإحالة هو نتاج علم غربي ظهر مع مباحث علم النص، والنصية غير أنّ المتأمل في الإنتاج العربي من نحو وبلاغة وتفسير ونقد لن يعجزنا عن غربلة ما تزخر به هذه المتن من إشارات هنا وهناك، وتتعلق بأهم روافد الإحالة ومقتضياتها، وما يمكن أن نعقد من خلاله درسا شاملا ونرصد ما جاء في دفوف العلوم عند القدماء، وقد استوفى بعض الباحثين المعاصرين بالمقارنة والموازنة وتعرضوا لبذور الإحالة سواء من الشّق النحوي وما يقابله في الشق الآخر، لذلك فإذا تتبعنا ورود هذا المصطلح بمعناه الحالي لدى علماء النص فإنّنا لا نجد له مسوغا فعليا أمّا كمفهوم فله ما يسوّغه كعلاقة لغوية و بلاغية.

1 – في كتب النحو والبلاغة:

وردت قضايا الإحالة تحت "باب المبهمات"، ويعرّف المبهم:" أنّه ما لا يتعين المراد منه إلاّ بتعيين معنى سابق أو لاحق، ويقال إنّ المبهم...ما صلح للدلالة على معنى عام يوضحه ويعين المراد منه معنى سابق عليه أو لاحق به"[1] ويلتحق كلّ من أسماء الإشارة والموصولات والمضمر، تحت قسم المبهمات.

1 – الضمير المضمر: فالضمير هو عبارة عما دل على متكلم نحو: أنا– نحن، أو المخاطب: أنت– أنتما أو الغائب هو– هما "[2] وفي كتاب أخرى يطلقون عليه الكناية والمكني وهو نفس المعنى[3].

---

[1] – رؤوف جمال الدين ، المعجب في علم النحو ، منشورات دار الهجرة ،إيران، (د.ت.–د.ط) ،ص 25.

[2] – ابن هشام وعبد الله بن يوسف ، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ،تح : عبد الغني الدقر ، الشركة المتحدة للتوزيع ، سوريا ،ج1، (د.ت. د.ط،)ص 175:.

[3] – ينظر : فاضل صالح السامرائي ، معاني النحو، دار الفكر ، عمان ، الأردن، ط3، 1429هـ–2008م،ص: 41.

أ- الضمائر:

وقد أخذت حيّزا كبيرا من تفصيلات في أنواع الضمير أو المضمر فهي تنقسم إلى قسمين[1]:

ا- بارز: وهو ماله صورة في اللّفظ نحو: التاء في (قمت)

ب- مستتر: وهو بخلافه، نحو: المقدر في (قم)

والبارز بدوره ينقسم إلى قسمين :

ج- متصل: وهو مالا ينفتح به النّطق، ولا يقع إلاّ بعد (إلاّ) كياء (ابني) وكاف (أكرمك) وهاء (سلنيه) ويائه.

د- منفصل: وهو ما يبدأ به ويقع بعد إلاّ نحو أنا : تقول: أنا مؤمن" و" ما قام إلاّ أنا".

شجرة الضمير

مضمرات (الكنائيات)

ضمير متكلم	ضمير مخاطب	ضمير الغائب
أنا ونحن	أنت وفروعها	هو وفروعها.

ب – أسماء الإشارة: والمشار إليه إمّا واحد أو اثنان أو جماعة وكل واحد منها إمّا مذكر أو مؤنث، فللمفرد المذكر وللمفرد المؤنث عشرة وهي:" ذي" و"تي" و"ته" و"ذه" و"ته" و"ذات" و"تا "وللمثنى "ذان" و"تان" رفعا و"ذين "و"تين"جرّا ونصبا[2].

[1] – جمال الدين أبو احمد عبد الله ابن هاشم الأنصاري ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك تح: محمد محي الدين عبد الحميد ، منشورات المكتبة العصرية (صيدا ، بيروت)د.ط.د.ت.،ج1،ص 84-86.

[2] – المصدر نفسه ، ص: 137.

وهناك تقسيم آخر، قسم للبعيد وقسم للمتوسط وقسم للقريب وهو[1]:

للقريب: ذا– هذا- ذان- هذان- أولاء- وهؤلاء- ذي– تي– تا- هذي– هاتي- هاتا- ذه- تان- هاتان.

للمتوسط: ذاك- ذانك - أولاك- أولّاك.

للبعيد: ذلك- ذانك- ذانيك- تلك- تلك- تلك- تانّك- تانيك"

ج- **الموصولات:** "هي من الأسماء المبهمة الظاهرة وسميّت بذلك لافتقارها إلى الجملة الصلة والعائد ولهذا الافتقار سميت مبهمة"[2].

ويصنفها ابن هشام تحت ضربان : حرفي واسمي.

فالحرفي: كل حرف أوّل مع صلته بمصدر وهو ستة: أنّ– أن– ما– كي- لو- الذي- نحو :"وأن تصوموا خير لكم".

والاسمي: ضربان: نّص ومشترك.

فالنّص ثمانية منها: للمفرد المذكر "الذي" وللمفرد المؤنث "التّي" وللعاقلة وغيرها والمثنى: "اللّذان" "اللّتان" رفعا و"اللّذين" و"اللّتين"جرا ونصبا "اللّذيان" "اللّتيان" قياسا وجمع المذكر " الذين" لجمع المؤنث "اللاّتي " واللاّئي" .

والمشترك يقع في ستة: من – ما – أيّ – أل - ذو - ذا[3].

د- احتياج الضّمير إلى مفسر يبيّن المراد

---

[1] – ابن عصفور الاشبيلي ، شرح جمل الزجاجي ، قدم له ،ووضع هوامشه وفهارسه : فواز الشعار ، إشراف :إميل يعقوب بديع، دار الكتب العلمية (بيروت لبنان،ج1، ط1، 1419هـ-1998م، ص : 149-150-151.

[2] – رؤوف جمال الدين ، المعجب في علم النحو ، ص :25.

[3] – جمال الدين ابن هاشم الأنصاري ، أوضح المسالك إلي ألفية بن ،ص :138-151.

ورد في كتاب "شرح شذور الذهب" تفصيل لمرجعية الضّمير أو المفسّر وقد جعل للمتكلم والمخاطب مفسر حضور من هو له، والغائب أفرد له نوعان: ولفظ وغيره[1].

نحو :" إِنَّا أَنزَلْنَاهُ "[2] سورة يوسف (الآية 2) أي القرآن

فمفسر الغائب غالبا ما يكون متقدما ويتضمن ثلاثة أنواع:

أ- تقدم في اللّفظ وتقدير والإشارة إليه مطلقا، وذلك نحو :" وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ " (سورة يس الآية 39)،[3] والمعنى قدّرنا له منازل.

ب- تقدم في اللّفظ دون التقدير نحو:" وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ " (سورة البقرة الآية 124)[4].

ج- تقدم في التقدير يردون اللّفظ نحو:" فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ"[5] (سورة طه الآية 67).

لأنّ إبراهيم مفعول، فهو في نية التأخير وموسى فاعل في نية التقديم.

وإذا ما وزناه مع ما جاء به "هاليدي ورقية حسن" من تقسيمات الضمائر وإحالاتها، والدور الذي تؤديه في الإحالة داخل النص وخارجه، وخاصة مرجعية ضمير الغائب الذي يكون متقدما وهو ما يمثل الإحالة القبلية ودورها في الربط النّصي وعملية استرجاع المعلومة في مكان ما متقدم أو متأخر.

أمّا النوع الثاني: أن يكون مؤخرا في اللّفظ والرتبة:

---

[1] – جمال الدين أبي محمد عبد الله ابن هاشم، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ص: 76.

[2] –المصدر نفسه ،شرح شذور الذهب، ص:76

[3] – المصدر نفسه ، ص: 76

[4] – المصدر نفسه ،ص :76

[5] – المصدر نفسه ، ص:77

ج– باب ضمير الشّأن:

نحو "هو أو هي" زيد قائم " أي الشأن والحديث أو القصة، فإنّه مفسر بالجملة بعده، فإنّها نفس الحديث والقصة " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ "[1] " فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ " [2]، والثاني:

2 – أن يكون مخبرا عنه بمفسره، نحو ما هي إلاّ حياتنا الدنيا، أي ما الحياة إلاّ حياتنا الدنيا.

3 – الضمير في باب "نعم" نحو: نعم رجلا زيدا أي مفسر بالتمييز قطعا.

4 – مجرور "رب" نحو "ربّه رجلا" فإنّه مفسّر بالتمييز قطعا.

5 – الضمير في باب التنازع إذا أعملت الثاني واحتاج الأول إلى مرفوع نحو:" قاما وقعد أخواك" فإنّ الألف راجعة إلى الأخوين[3].

6 – الضمير المبدل منه وما بعده كقولك في ابتداء الكلام "ضربته زيدا وقول بعضهم " اللّهم صل عليه الرؤوف الرّحيم".

7 – الضمير المتصل بالفاعل المتقدم العائد على المفعول المؤخر مثل: جزى ربّه عنّي عدّي بن حاتم جزاء الكلاب العاويات، وقد فعل فأعيد الضمير من"ربّه" إلى عدّي وهو متأخر لفظا ورتبة [4].

---

[1] –المصدر السابق ، ص:77.

[2] –المصدر نفسه ،ص:77.

[3] – المصدر نفسه ،ص:78.

[4] – المصدر نفسه ،ص :78.

وهذه التخريجات النحوية تلتقي مع مفاصل الإحالة النصية في التقسيمات التّي أعتد بها المعاصرون من إحالة على السابق أو اللاّحق، بحيث تعود إلى مفسر سبق التلفظ به وهو يعوّض لفظ المفسر الذي كان من المفروض أن يظهر حيث يرد المضمر وقد نوّه الأزهر الزناد على ضمير الشأن وكيف يحيل إلى لاحق[1].

ك- الضمير الذي يغني عن التكرير:

يعدّ "عبد القاهر الجرجاني" من الأوائل الذين تنبّهوا للإحالة واهتموا بنحو النّص، وأقام نظرة شاملة تتجاوز - نحو الجملة - التّي تشكل النّص الكلّي وفي سبيل الحصر نذكر مثالا أورده ضمن الضمير الذي يغني عن التكرير يقول: "جاءني زيد وهو مسرع" فهي من حيث الدلالة ،واللّفظ نظير قولهم:" جاءني زيد وزيد مسرع "، وهذا الضمير كان بديلا من إعادة الاسم الصريح كأنّك تقول:" جاءني زيد وزيد مسرع"[2]، وهو نفسه ما يحدث في عمل الإحالة بالضمائر فهي لم ترَ كمصطلح بعينه، ولكنّنا نلمح إرهاصات متناثرة في مباحث علم البيان والمعاني تتضمن أسرار التعبير باسم الإشارة واسم الموصول وأنواع الالتفات فيما يخصّ عدول الضمير واستعمالاته وكيف يحدث الترابط النصي والتماسك بين أجزاء الجملة بل يتعداه إلى النّص.

تناول القدماء ظاهرة التكرار تحت باب البديع[3]،" إذ اعتبروه من أهم عمليات إنتاج المعنى الذي يتجلى على مستوى السطح الصيّاغي وعلى مستوى العمق

---

[1] – ينظر : الأزهر الزناد ، نسيج النص ، ص :133.

[2] – عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز ، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د.ط.د.ت.،ص: 166.

[3] – ينظر :د جميل عبد المجيد ، البديع بين اللسانيات والبلاغة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط1، 1998،ص: 84.

الدلالي، فهو ممثل البنية العميقة، فتردّد هذا اللّون وعدّ من أهم مميزات تلاحم الدلالة واتصالاتها بين الأبيات"[1].

أما الالتفات فقد أخذ مسلكا ضمن مباحث البلاغة " وهو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وإلى المخاطبة وما يشبه ذلك، ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر وهو يأخذ طابع[2] المخالفة بين الضمائر"، وفي كتاب المثل السائر قسّم "ضياء الدين بن الأثير" (ت637هـ) "الالتفات إلى ثلاث أقسام الأول والثاني يدور حول "مجال الضمائر"، وهما الرّجوع عن الغيبة إلى الخطاب، وعن الخطاب إلى الغيبة، أمّا الثالث فهو المخالفة في مجال الصيّغ"[3]، وهو يلتقي مع مقتضى الإحالة في قضية المطابقة بين الضمائر، وما يميّز الخطاب القرآني عن بقية الخطابات المرتبطة بالمقام والسياق إيقاظا للسّامع عن الغفلة وترطيبا له بنقله من خطاب لآخر، فإنّ السّامع ربّما ملّ من أسلوب فينقله إلى أسلوب آخر"[4].

يدرج "ابن الأثير" في هذا المقام مثالا عن الالتفات في مجال الضمائر عن قوله عز وجل: "صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ"[5] مشيرا إلى أنّه في الآية الكريمة انتقالا من الخطاب في " أَنْعَمْتَ " إلى الغيبة في "غَيْرِ الْمَغْضُوبِ" وهذا الانتقال مناطه الإسناد لأنّ مخاطبة الرّب تبارك وتعالى بإسناد

---

[1] – محمد عبد المطلب ، البلاغة والأسلوبية ، مكتبة لبنان ، ناشرون بيروت لبنان،ط 1، 1994،ص :307.

[2] – حسن طبل ، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، دار الفكر العربي القاهرة ، ط1، 1418هـ-1998،ص :17.

[3] – ضياء الدين بن الأثير ، المثل السائر ، الطبعة البهية ،ط1 ،1312هـ- ، ص :165-169.

[4] – العلوي يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم ، كتاب الطراز المتضمنة لأسرار البلاغة وعلوم وحقائق الإعجاز، ضبطه :محمد عبد السلام شاهين، دار كتب العلمية ، ج1، د.ط.د.ت.،ص: 266.

[5] – سورة الفاتحة، الآية :7.

النّعمة إليه تعظيما لخطابه وكذلك ترك مخاطبته بإسناد الغصب إليه تعظيما لخطابه[1].

إذا كانت "رقية حسن" قد تطرقت إلى تعريف الإحالة وربطت بين مفهومها ومفهوم التعريف بحيث يكون التعريف هو ما يميّز الإحالة، وذلك في قولها: "يعبّر عن هذا أحيانا بعبارة أنّ كل وحدات الإحالة تشتمل على أداة تعريف نظرا لأنّ أداة التعريف هي العنصر الذي يحمل معنى الهوية الخاصة أو التعيين في شكله المحض"[2]، فالإحالة لها خاصية التعريف أو التخصيص الدلالية، وهو ما يتوافق مع الدرس العربي إذا ما قارناه مع التعريف "بال" والدور الذي تؤديه في ربط الكلام " فهو يربط بين الجمل ربطا يشبه ربط الإحالة بالضمير من حيث أنّها تذكر السّامع أو القارئ بشيء سبق ذكره أو شيء معروف في الذّهن جرى الكلام عليه أو الإشارة له في السياق"[3]، نستنتج أنّ خاصية "ال" والدور الذي تقوم به، مكمنه في تذكير السامع بشيء سبق وهو ما يجعلها أداة من أدوات الإحالة وتتطلب منه العودة إليه وهذه العودة هي نفسها عملية الربط، فالتعيين الذهني يرتبط أيضا بالمقام ونعني بمقام الخطاب توفر كل ظروفه من الزمان والمكان وهي معرفة تتغير أيضا بتغير مقامه لذلك سميت عهدا[4].

[1] – ينظر : حسن طبل ، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ،ص :29.

[2] – تامر عبد الحميد محي الدين أنيس ، الإحالة في القرآن الكريم دارسة نحوية نصية ، مكتبة الغمام البخاري ،مصر ، القاهرة ، ط1، 1429هـ-2008،ص :105.

[3] – إبراهيم الخليل ، في نظرية الأدب وعلم النص ، ص :236.

[4]- تامر عبد الحميد محي الدين أنيس ، الإحالة في القرآن الكريم ، ص : 155 .

فاستعمال "ال" يحيل المخاطب أنّه صار معرفة لأنّه يدّل إلى طريق ما على شيء يعنيه دون سائر الأشياء وهذه الطريق ترجع بالمخاطب إلى المعرفة السابقة بالمدلول تارة وتارة أخرى إلى ربط الدال بالمدلول، و هو أنواع منها [1]:

ا-"ال" الجنسية: وهي لبيان الحقيقة نحو: (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) حقيقة فهي لشمول أفراد الجنس إن خلقتها "كل" وإن لم تخلقها فهي لبيان الحقيقة.

ب-"ال" العهدية: والعهد: إمّا ذكري نحو: " فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ" أو علمي نحو "بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ" "إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ " أو حضوري نحو: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ"[2].

ج- أما "ال "الزائدة أي التي تلحق بالأنواع الآتية:

المضمرات – الأعلام – الأسماء الإشارة – الموصولات و ما عرّف باللّام وما أضيف إلى واحد من هذه الخمسة والنكرة والمعرفة بقصد النداء [3] نحو:" وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ "[4].

الأداة فيه للتعريف العهد الذهني أي "ال"العهدية، "وهنا تستوجب المعرفة السابقة لدى المخاطب المعينة لبعض أفراد الجنس في الخارج أو الذهن، ويكون المخاطب متوقعا وجود بعض أفراد الجنس في الزمان والمكان معينين وأحوال الخاصة ويدركاها في مقام الخطاب وهذا التوقع ناشئ عن معرفته بتلك الظروف وهي معرفة خاصة تتغير بتغيير مقام الخطاب"[5]، فإنّ تعريف الذئب يتكئ على معرفة المتخاطبين بأنّ في الصحراء ذئابا، وهي معرفة خاصة بظروف الخطاب

---

[1] – عبد الله بن هاشم الأنصاري ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ،ص: 180.

[2] – المصدر نفسه ،ص: 180.

[3] – ينظر : جلال الدين السيوطي ، الأشباه والنظائر : تحقيق: عبد العال سالم مكرم ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ، ط1، 1985م،ص :74.

[4] – سورة يوسف ، الآية :13.

[5] – تامر عبد الحميد محي الدين أنيس ، الإحالة في القرآن الكريم دارسة نحوية نصية ،ص: 156

غير المعرفة اللغوية لمعنى الذّئب فليس المراد بالذّئب الذي تعرفون صفته من الافتراس بل الذي تتوقعون وجوده بسبب خبرتكم بالمكان[1].

المبحث الثاني:

طبيعة الإحالة عند فخر الدّين الرّازي:

لئن كانت الإحالة في مفهومها اللّساني النّصي لا تخرج عن ذلك الإطار القائم على الفعل الإحالي للعناصر اللغوية المعتمدة الدلالي على جهة ما تقتضيه طبيعة حركية الاستعمال، فإنّ الذي يزيد من شأن الإحالة زيادة على ما سبق هو تأهل من يتعامل معها أن يحقّق في أرجائها نوعا من التأويل الذي يعطي الإحالةَ بعدين اثنين من حيث الاستعمال والوظيفة أحدهما ما يتعلق بالمقام وثانيهما ما يتعلق بالنصية حيث تتنوع الثانية إلى إحالة قبلية وإحالة بعدية[2].

غير أنّ الذي لاحظناه في هذا النوع من التقييد للإحالة من منظور لسانيات النص أنّهم عندما أرادوا أن يجسّدوا معالم مفهوم الإحالة ميدانيا قيّدوها بمفاهيم الغالب فيها أنّها تتوسط بين السياق النحوي، والبلاغي مثل الاستبدال والحذف والوصل والضمائر[3]، وهلّم جرا.. الأمر الذي جعلنا نستشف أنّ الإحالة المصاحبة لعالم النصوص لاسيّما النص القرآني أخذت حيزا شاملا من حيت ما احتوته من أبعاد معرفية، اختلفت باختلاف دلائل الإحالة التّي لم تكتف فقط بالمحيل إليه ظاهريا أي التركيب بل تجاوزت لتصل إلى ما وراء التركيب، وهذا ما حاولنا أن نجد أثره المتعدد في ثنايا كتاب التفسير الكبير"للفخر الرازي" لكن السؤال المتبادر إلى الذهن في هذا المقام بالذات هو هل الإحالة المشار إليها من لدن" الفخر الرازي"

---

[1] – المرجع السابق ،ص :158

[2] – ينظر : بالتفصيل محمد خطاب : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، المركز الثقافي العربي ، دار البيضاء ، المغرب،ط1 ، 2006 ،ص: 16-17.

[3] – ينظر: المرجع نفسه ،ص :21-22.

هي إحالة نحوية مقامية بلاغية أم أنّها إحالة تفسّر على حسب طبيعة ما تقتضيه السياقات المقامية؟ الذي حاول الرّازي أن يجسّده في رحاب الإحالة أبعادا لغوية وفلسفية وتأويلية ودينية عقائدية بحكم أنّ طبيعة الوحي القرآني متعدد الوجوه من حيث التفسير والتأويل؟.

لنلوي عنان القلم لنجعله يتّجه نحو السياق الميداني لمفهوم الإحالة عند "الرازي" حتى لا نتركه يغوص فيما لا يخدم طبيعة إشكالية البحث، فنقول:" إنّ المتتبع لأحوال الإحالة في طيات التفسير الكبير"للرازي"[1] يجد مسارها متعددا من حيث الاستعمال المفاهيمي، الوظيفي تبعا لطبيعة المشاهد التي كان يتناولها الرازي في كثير من المقامات، وعليه سنفرد وقفات متعددة الجهات من حيث المفاهيم التي تحقق نوعا من الاتساق مع مفهوم الإحالة لنقوم بعدها بشيء من التقاطع مع ما تبنته لسانيات النص في شأن مفهوم الإحالة التي تعدّ الركن الأساسي والجوهري لمفهوم الاتساق نظرية المعنى[2]، والإحالة حقيقتان متلازمتان داخل الذات وليس خارجها.

يرى النّظار اللّسانيون أنّ أهم المحاور التي ترتكز عليها "نظرية المعنى، وتتمثل في إطارين اثنين:" ا- إقامة رصد دقيق ومنظور للخصائص والعلاقات الدلالية الخاصة بلغة من لغات. ب- الكشف عن جوهر (المعنى) الذي ترتكز عليه التجليات الخاصة في اللغات "[3]، وذلك بالتركيز على المبادئ العامة، فعلى النظرية أن ترتبط أكبر عدد من الظواهر الدلالية بقوانين خاصة تكون مجموعة متسقة تحكمها مبادئ عامة تنسحب على كل اللغات الشيء الذي أدّى بالرّازي أن يقوم " بربط مجموعة

[1] – يدع أيضا بمفاتيح الغيب الذي جاء في اثنين وثلاثين جزءا، وهو من أطول التفاسير القديمة التي وصلتنا وأكثرها تفصيلا وعرضا للآراء ومناقشته المعتقدات والمذاهب المختلفة وعلم الكلام ،ينظر: الذهبي ، التفسير والمفسرون ،ص 1:29.

[2] – ينظر : بتفصيل أكثر حول نظرية المعنى ، جون لينز ، اللغة والمعنى والسياق، تر : عباس صادق الوهاب ، دار الشروق الثقافية العامة، العراق ، بغداد، ط1، 1976 ،ص: 23.

[3] – عبد المجيد جحفة ، مدخل إلى الدلالة الحديثة ،دار توبقال للنشر ، المغرب،2000 ، ص: 17.

من الظواهر الدلالية لتقنين مسألة المعنى وإذا يقوم بذلك فلأنّ المعنى اسم للاعتقادات والدّلالات الإيمانية ونواة في فهم وتأسيس أصول الدين"[1].

المعنى والإحالة:

وجه التقارب بين المعنى والإحالة في جهة المسكوت عنه أنّ "الرازي" يبيّن أنّ فهم المعنى القائم في أصول الدّين، إنّما يرّكز على تلكم المستلزمات الإيمانية الاعتقادية التي جاءت في كثير من الأسقية القرآنية إذ تمثل المعنى الحقيقي الذي ينبغي أن يتحلى به الموحد في علاقته بالخالق سبحانه وتعالى[2]، الأمر الذي أدّى بالمعنى أن يتحقق في ذات المتعبد بالرجوع إحاليا إلى ما يستلزمه المعنى من بعد عقائدي، إيماني وغيرها وهو ما بيّنه كثيرا من الآيات القائمة في الوجود وفي عالم النفس الإنسانية [3] وهلمّ جرا.

انطلاقا من هذا التلازم بين المعنى والإحالة من منظور تصور"الرازي"غدا يحدّد الإطار المفاهمي للمعنى على أنّه:" اسم الصورة الذهنية للموجودات الخارجية لأنّ المعنى عبارة عن الشيء الذي عناه العاني وقصده القصائد وذلك بالذّات هو الأمور الذهنية وبالعرض الأشياء الخارجية، فإذا قيل:" إنّ القائل أراد بهذا اللّفظ هذا المعنى" فالمراد أنّه قصد بذكر اللفظ تعريف ذلك الأمر المقصود"[4]، بمعنى أنّ المعنى في الأصل يمثل ذلك الفاصل الإحالي الشمولي بين ما هو قائم في الصورة الذهنية والشيء الخارجي الذي يشكل غرضه ومقصوده ولعلنا بهذا الطرح الذي

---

[1] – عمارة ناصر ، اللغة والتأويل لدى فخر الدين الرازي ، قراءة هيرمنيوطيقا في تفسيره مفاتيح الغيب ، مخطوطة رسالة ماجستير ، تحت إشراف د/ الزاوي الحسين ، جامعة وهران، 2003، ص: 112 وما بعدها.

[2] – ينظر المرجع نفسه ،ص :133.

[3] – ينظر : تفسير لسورة الفاتحة ، محمد الرازي الفخر الدين تفسير الفخر الرازي المشهور بالتفسير ومفاتيح الغيب،ج1، ص من :13 –17.

[4] – فخر الدين الرازي ، تفسير الفخر الرازي التفسير الكبير ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،ج1، ط1، 40001هـ – 1981م،ج1، ص:325.

تبنّاه الرّازي في التقاطع المفاهمي بين المعنى والإحالة نجد ما يبرّره في التصور اللساني الحديث عند سوسير[1]، حيث رأى أنّ العلاقة بين الدال والمدلول (الصورة السمعية والمفهوم لهذه الصورة) إنّما مرجعه الداخلي نفسي وليس ما هو قائم في الموجودات الخارجية.

ثم إنّ الرازي كعادته التخريجية متعددة الجهات وفق ما يقتضيه التصور العقلي الذي ظلّ لازمة في جلّ أبحاثه لا يقف عند هذا الحدّ من التلازم بين المعنى والإحالة، بل يحاول أن يعطي شرعية هذا التلازم من جهة أجرى حيث نجده يسوّغ لشمولية الإحالة حينما يعقد علاقة تصورية بينهما وبين المفهوم الدلالة في ظل واقع المعنى الذي يتوزع عبر العلاقة بين اللغة والمعنى إذ يرى أنّ العلاقة بين اللفظ والمعنى لا تدل على ما هو قائم وكائن في عالم الأعيان، بل ما استقر في عالم الأذهان[2]، وهنا نجد الإحالة تأخذ بعدا شموليا داخليا بين التصور الذهني، وما يجري في عالم اللغة الأمر الذي يجعل الإحالة تنحو نحو منظور مقامي يعطي العلاقةَ بين اللفظ والمعنى بعدا داخليا يمكن أن نطلق عليه بالمقام اللغوي الداخلي ولكن ظل الرازي يسير على هذه الشاكلة مع كل الأسبقية التي تمثل إحالة في ربطها بالمعنى والدلالة أم انتقل تصوره في سياقات قرآنية أخرى إلى تبيان العلاقة الداخلية والخارجية التي تؤديها الإحالة داخل التركيب اللغوي؟.

يقول" فخر الدين الرازي" في هذا الصدد ما بيانه: فالألفاظ دلالات على ما في الأذهان لا على ما في الأعيان لهذا السبب يقال:" الألفاظ تدل على المعاني" لأنّ المعاني هي التي عناها العاني وهي أمور ذهنية والدليل على ما ذكرناه من وجهين:

---

[1] – يرى سوسير بأن العلامة لا تربط بين شيء واسم ، وإنّما بين مفهوم وصورة سمعية دال والمدلول ينظر مختار لزعر : اللسان اللغة و الكلام من التفريط السياقي إلى الإفراط النسقي ،القاهرة ، دار الكتاب الحديث ط1 ،2011، ص :61.

[2] – ينظر : محمد الرازي فخر الدين ، التفسير للفخر الرازي المشهور بالتفسير الكبير ،ص: 32.

الأول: إذا رأينا جسما من البعد وظنّناه صخرة قلنا:" إنّه صخرة" فإذا قربنا منه وشاهدنا حركته وظنّناه طيرا قلنا:" إنّه طير".

الثاني: فإذا ازداد القرب علمنا أنّه إنسان، فقلنا:" إنّه إنسان" فاختلاف الأسماء عند اختلاف التصورات الذهنية يدل على أنّ مدلول الألفاظ هو الصور الذهنية لا الأعيان الخارجية[1].

إذن نجد "الرّازي" في هذا النص يقيم نوعا من التعالق غير المحدود بين المعنى والدلالة والمرجع أو الإحالة[2]، فهو من ثمة يجرد المعنى من النظام الدلالة إذ هي ترتيب لصيغ ورود المعنى من المفاهيم القصدية والنحوية والدلالة والتركيبية وهنا تنخرط الدلالة في المرجع الذاتي لأمكنة المعنى إذ هي العودة الذهنية إلى ما في الأذهان، تركب جسد اللّفظ كطريق للعودة لأنّ فعل خروج الدلالة فعل مخصوص بزمنية وفيه انسلاخ عن وجود المعنى في الذهن، وهي المادة التي تنحل مباشرة بعد إرداف التعبير بصيغة الدلالية تكون دلالة اللفظ غير دلالة ما قبل اللفظ، أي أنّها بالتعبير اللّساني المعاصر أثر محصور بين فعل اللّفظ وفعل الفهم[3].

ينتقل الرازي بعدها إلى تخريجة تأويلية في شأن العلاقة بين المعنى والإحالة (المرجع) جاعلا حدّا فاصلا بينهما، مبيّنا ذلك وفق تصور منطقي قد لمّح إليه في النص سالف الذكر أثناء حديثه عن دلالات الألفاظ فهو يرى" أنّ اللّفظ لو دلّ على الموجود الخارجي لكان إذا قال إنسان:" العالم قديم"، وقال آخر:" حادث لزم كون العالم قديما حادثا معا هو محال"، أمّا إذا قلنا:" إنّها دالة على المعاني الذهنية" كان هذان القولان دالين على حصول هذين الحكمين من هذين الإنسانين وذلك لا

[1] –ينظر : المصدر السابق ،ج1،ص :31.

[2] – ينظر :مختار لزعر ، لسان واللغة والكلام من التفريط السياقي إلى الإفراط النسقي،ص :31.

[3] – عمارة ناصر ، المرجع السابق،ص :113.

يتناقض"[1]، وعليه فما كل لفظ يدل على تعيين خارجي هو مرجع، وهي فكرة مدعومة ببنية منطقية إذ لا تناقض بين حكمين يتعلقان بلفظين مرتبطين بمرجع واحد"[2].

المرجع والإحالة:

وفي المقابل يعيد الاعتبار للمرجع (الإحالة ولكن وفق سيرورة غير متناهية من العلاقة القائمة بين اللفظ والمعنى أو بين الماهية وعالم الألفاظ التّي هي تلازم معها فهو يري أنّه:" لا يمكن أن تكون جميع الماهيات مسميات بالألفاظ لأن الماهيات غير متناهية، ومالا نهاية له يكون مشعورا به على التفصيل، وما لا يكون مشعورا به امتنع وضع اسم بإزائه"[3]، ومن ثم فالعلم، والوعي بالمرجع (الإحالة) من منظور الرّازي هو في الأصل بسبب رئيسي وجوهري في وضع الاسم ودفع إحالة اللّفظ على سبيل دلالته المزدوجة ودفع أيضا اللّفظ لتعادل الإطار الدلالي فيما يخص عبارة النّص المحلية إلى مرجع واحد[4].

ولئن ظل الرازي يتعامل مع (الإحالة) المرجع وفق سياقها الوجودي ذي الطابع الفلسفي العقلي، فإنّنا نجده لا يبرح أن ينقل إلى تجسيد معالم الإحالة عن طريق بعض المفاهيم النحوية وغيرها محاولا أن يعطي إيّاها بعدا تأويليا يتماشى مع طبيعة مضمون سياق الآية، الأمر الذي يجعلنا نستشف بعضها من الحقائق التي يلتقي فيها تصور الرازي مع بعض أنصار لسانيات النص، ولمّا كانت هذه المفاهيم النحوية، وغير النحوية التي تعكس معنى الإحالة كثيرة ومتنوعة، فقمنا بتخصيص سورة

[1] – فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ،ج1،ص : 31.

[2] – عمارة ناصر ، المرجع السابق،ص: 113.

[3] – فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ،ج1،ص : 31–32.

[4] – ينظر : بالتفصيل عمارة ناصر ، المرجع السابق،ص: 113.

مريم كإطار تطبيقي لتصور الإحالة وبعض أوجهها عند "فخر الرازي" في كتابه (التفسير الكبير).

3 – الضمائر من جهة الإحالة بين بعدها النحوي وواقعها الوظيفي:

في الوقت الذي يرى المشتغلون في مجال لسانيات النص" أن الإحالة بالضمائر لا تخرج عن بعدين اثنين أولهما داخلي (الإحالة النصية) وثانيهما خارجي (الإحالة السياقية) "[1]، فإنّنا نجد الإحالة بالضمائر من منظور "الفخر" مثلما تحافظ على نسقها النحوي المعياري فإنّها تطلّ على ما وراء البينة النحوية التركيبية بما يلازم مفهوم الإحالة وفق بعدها الوظيفي السّاري مع طبيعة السياق الذي يتحدث فيه الرازي من مثل العقيدة والتوحيد والفلسفة والمنطق.

ففي تعامل"الرّازي" مع ما يسمى عند النجاة بأعرف (الأقسام أو المعارف[2]) وهي الضمائر الثلاث المعروفة : أنا – أنت – هو، وهذه الضمائر يخرجها تخريجا تأويليا ينطلق من البعد الدلالي الذي تؤديها من خلال شمولية الإحالة.

على حسب مقتضيات السياق يقول الرازي:" اعلم أنّ الأسماء المضمرة ثلاثة: (أنا، أنت، هو) وأعرف الأقسام الثلاثة قولنا:" (أنا) لأنّ الضمير يشير به كل أحد إلى نفسه"[3].

---

[1] – محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص :18 وما بعدها.

[2] – جاء في همع الهوا مع في شرح جمع الجوامع في شأن المعرفة و صورها عند النجاة ما يلي :" النكرة والمعرفة قال ابن مالك حد النكرة عشرة فهي لماعدا المعرفة لما كان كثير من الأحكام الآتية : تبنى على التعري والتنكير وكانا كثيرا الدور في أبواب العربية صدر النجاة كتب النحو بذكرهما بعد الإعراب والبناء وقد أكثر الناس حدودها وليس منها حد سالم قال ابن مالك من تعرض لحدهما عجز عن الوصول إليه دون استدراك عليه لأن من الأسماء ما هو معرفة معنى نكرة لفظا نحو كذلك عاما أول بأول من أمس فمدلولهما معين لاتسعا فيه بوجه ولم يستعملا إلاّ نكرتين وما هو نكرة معنى معرفة لفظا كأسامة هو في اللفظ كحمزة في منع الصرف و الإضافة ودخول "ال" ووصفه بالمعرفة دون النكرة ومجيئه مبتدأ.

[3] – محمد فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ،ج1،ص: 152..

وهنا نجد شمولية للضمير (أنا) بما يعكسه من إحالة وجودية كينونية تعود إلى تلكم الصدارة التي ينفرد بها الضمير:"أنا"، هذه الصدارة يعطي إيّاها تلازما من جهة الإحالة بما يعود إلى خطابات الرّب- تعالى- في كثير من مقامات السياقات القرآنية، حين يستخدم الرّب سبحانه هذا الضمير في غير موطن نحو:" إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ"[1] وغيرها من السياقات التي يحتلها هذا الضمير القائم في نفسية الذات القدسية، وهي تحيل إلى بعد إيماني رباني اعتقادي يجعل المتلقي يربط حبله بربّه سبحانه، وهو ما فعله الرّازي في الكثير من المواطن.

بعدها ينتقل"الرّازي" بإحالة الضمير (أنت) إلى مقام آخر يختلف عن سابقيه حيث بيّن إحالة الضمير (أنت) إلى ما يعكسه من بعد وسطي يعطي لفعل الحضور[2] قيمة خاصة من حيث ما يتضّمنه الخطاب الموجه إلى المتلقي، وهذا ما شاهدناه على لسان حال "الرازي" في شأن المقامات التّي أسردها في حق خطاب الرّب جلّ وعلا لبعض أنبيائه مثل موسى ونبيّنا محمد- عليه الصلاة والسلام-.

إنّ الرّازي يرى أنّ أوسط هذه الأقسام قولنا:" أنت" ،وعلة ذلك أنّ هذا خطاب للغير يشرط كونه حاضرا ، فالحضور في الأصل إذا ما روعي من جهة الإحالة، فإنّه يمثل حقيقتين اثنتين إحداهما نحوية والثانية سياقية مقامية تعلّي من شأن المخاطب بما هو يليق بمقام التخاطب، وبينه وبين الله- تعالى- وهنا نعتقد أنّ الضمير (أنت) حقّق ما يسمى في لسانيات النص إحالة داخلية [3]، أعطت النّصَ نصيبَه الكاملَ من حيث ما يتماشى مع مضمون إحالة الضمير (أنت)، استطاع أن يعطي للمخاطب منزلة خاصة من حيث مضمون الخطاب ومستلزماته، فهي إذن

[1] – سورة طه ، الآية 14.

[2] – ينظر : عمارة ناصر ، اللغة و التأويل ، مقاربات في الهيرمونطيقيا الغربية والتأويل العربي الإسلامي ، ص :175.

[3] – ينظر : محمد خطابي، اللسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص :20

إحالة سياقية خارجية بيّنت منزلة الضمير (أنت) بما هو أهل لشرعية الخطاب وقضاياه.

تأتي المرحلة الأخيرة "للضمير (هو) الذي يخرجه "الرّازي" تخريجا يختلف عن الضميرين (أنا وأنت) فهو يري أنّه لأجل كونه خطابا للغير يكون دون قولنا أنا ولأجل أنّ الشرط فيه كون ذلك المخاطب حاضرا يكون أعلى من قوله (هو): فثبت أنّ أعلى الأقسام هو قولنا:" (أنا) وأوسطها (أنت) وأدناه (هو) وكلمة التوحيد وردت بكل واحدة من هذه الألفاظ"[1]، وإنّها منزلة الضمير (هو) فالمحال من لدن "الرّازي" في حق الضمير الذي وصفه بالأدنى من حيث الرتبة، ليس استقصاء في حق هذا الضمير بدليل الإحالة (البعدية) النّصية التّي جاءت لتبيّن منزلة هذه الضمائر الثلاثة من حيث ما ترمي إليه من بعد قائم في التوحيد، فالرّازي ختم حكم هذه الضمائر الثلاث بقوله:" كلمة التوحيد وردت بكل واحدة من هذه الألفاظ، وهو ختم ينّص على أن هذه الضمائر لها من حيث التوزيع بعدان: بعد نحوي تركيبي، وهو المتفق عليه حين يقسمون الضمائر إلى ثلاث رتب: أعلاها وأوسطها وأدناها، وبعد سياقي مقامي/ يلازم ما لازم إحالة الضمائر بما هو قائم في سرّ التوحيد، وهنا نجد الضمائر مثلما تحقق على لسان حال السياق اللّساني نصي شرط النّصية الإحالة النصية والمقامية، فإنّها أيضا تعطي المقام بعده الشمولي الإطلاق الذي يتجاوز حدود الإحالة وفق ضابطها اللّساني وهو ما بينّه "الرّازي" في أكثر من موطن من واقع الوحي القرآني.

3-المبحث التطبيقي: أنواع الإحالات في سورة مريم:

[1] – محمد الرازي الفخر الدين ،تفسير الفخر الرازي المشهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب،ج1، ص:152.

قال تعالى: { كٓهيعٓصٓ (1) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا }[1].

1- تعدد المحال إليه:

يفصّل فخر الدين الرّازي تفسيره للآية كالتّالي:

يحتمل أن يكون المراد من قوله:" {كٓهيعٓصٓ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا " رَحْمَتِ رَبِّكَ " أعنى عبده زكرياء، ثم في كونه رحمة وجهان أحدهما أن يكون رحمة على أمته لأنّه هداهم إلى الإيمان والطاعات والآخر يكون رحمة على نبينا محمد- صلى الله عليه وسلم وعلى أمّة محمد- لأنّ الله تعالى لما شرح لمحمد- صلى الله عليه وسلم- طريقه في الخلاص والابتهال في جميع الأمور إلى الله تعالى صار ذلك لفظا داعيا له ولأمته إلى تلك الطريقة فكان زكرياء رحمة ،ويحتمل المراد أن هذه السورة فيها ذكر الرحمة الّتي رحم بها عبده زكرياء[2].

أين نجد هذه الآيات ترتبط بواسطة محيلات مختلفة:

1-تعود إحالة الضمير (ك) كاف الخطاب المتصل إلى مقام التخاطب ،وهنا يتعدد المحال إليه حسب تفسير الرّازي[3].

رحمة ربّك ← يقصد بها عبده زكريا.

← رحمة على أمته.

← رحمة على نبينا محمد (ص) وعلى أمته.

---

[1]– سورة مريم ،الآية:(1-3)

[2]– محمد الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي المشهور بالتفسير الكبير،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،ط1، 1401هـ-1981،ص :180.

[3]–المصدر نفسه ، ص: 180.

فمرجع ضمير الخطاب هو إحالة ضميرية، مقامية لأنّها تحيل إلى مخاطب موجود خارج النصّ تارة ،وداخل النّص تارة أخرى ،والضمير في "عبده" يعود إلى الربّ، وهي إحالة قبلية .

2- الإحالة القبلية:

قوله تعالى :" إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا " [1].

يذكر الباحثون" أنّ ضمائر الغياب هي الأكثر انصياعا لعملية (الاتساق النصي) وغالبا ما يعولون عليها لأنّها تميل إلى شيء داخل النّص ونكون إحالة نصية، فهي تجبر المتلقي على البحث في النص، عمّا يعود إليه"[2].

وهنا ضمير الغائب المتصل "هـ" في لفظة (ربّه)، هو ضمير غائب يعود إلى مرجع سابق، وهو "زكرياء" فأصل في اللّغة أن يعود ضمير الغائب إلى أقرب مذكورٍ إذا تعدد المرجع ليزول إبهامه، ولذلك يلجأ المفسرون إلى هذه القاعدة إذا تعددت المراجع ".

3- الإحالة الإشارية:

" قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا(4) وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (5) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (6)[3].

---

[1]– سورة مريم،الآية :3.

[2]– أحمد عفيفي، الإحالة في النّص، كلية دار العلوم القاهرة، ط1، ص :24.

[3]– سورة مريم ،الآية : 6.

ورود عدّة (عناصر إشارية) في الآية (إنيّ وهن)، (وإنّي خفت) فهي تحيل مباشرة على المقام من حيث وجود الذات المتكلمة [1].

هي كلمات ترتبط بذات المتكلم وزمان تكلمه ومكانه وتسمى كلمات إشارية، وهي تتجاور مع مدلولها الخارجي أي أنّها تقارنه في زمن الكلام ومكانه[2].

وهنا نجد تطابق بين الزمان والمكان الذي هو زمن التكلم فهي إحالة إشارية ارتبطت بذاتية المتكلم وبزمن كلامه " قال ربِّ إنيِّ وَهَنَ" فالعنصر الإشاري كالدال على المتكلم (إنّي) الذي يرجع إلى ذات زكرياء رافقته صيغة الماضي (وإنّي خفت الموالى) تعود إلى زكرياء.

وفي هذه المسألة يفصّل الرازي "وإنِّي خِفْتُ " فهو وإنّ خرج على لفظ الماضي لكنّه يفيد أنّه في المستقبل أيضا، أي أنا خائف لا يريد أنّه قد زال الخوف عنه"[3].

3- الإحالة البعدية:

واجعل(ه) ربِّ رضيًا" فالعنصر الإحالي المتصل في ضمير الغيبة يعود إلى مفسر لاحق، وهو "يحي"، والآية التي تليها تحمل بشائر الاستجابة والسؤال الذي وجهه زكريا لرّبه الذي خاطبه ودعاه بالإجابة.

4-إحالة الذات الإلهية:

في قوله تعالى :{يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا}[4].

---

[1]–الأزهر الزناد، نسيج النّص؛ البحث في ما يكون به الملفوظ نصّا ص: 128.

[2]– تامر عبد الحميد محي الدين أنيس،الإحالة في القرآن الكريم دراسة نحوية نصّية ، ص:137..

[3]– محمد الرازي فخر الدين ، تفسير الفخر الرازي، ص: 184.

[4]– سورة مريم الآية ، رقم: 7.

الضميران في اسم(هـ)، ول(هـ) يعودان إلى (الغلام)[1]، وهي إحالة ضميرية نصية، قبلية إذ سبقها مفسر يدّل عليها ورد في تفسير "الفخر" حول مسألة في المنادى بقوله:" يا زكريا" فالأكثرون دلوا على أنّه هو الله تعالى بدليل أنّ ما قبل هذه الآية يدل على زكريا- عليه السلام- إنّما كان يخاطب "الله تعالى"، ويسأله في قوله:" فهبْ لي)، ومنهم من قال هذا نداء الملك[2]، فالعنصر الإشاري" إنّا" يعود إلى الله، وهو ضمير المتكلم الجمع الدّال على الذات الإلهية، وهنا الإحالة على ما هو خارج اللغة، موجود في المقام الخارجي، وهو " ذات الله" التّي تدل عليها "كاف الخطاب" نبشرك التّي تعود إلى زكريا.

5-إحالة ضمير الشأن:

في قوله تعالى:" قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا (8) قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا (9).

"الضمير المنفصل "هو" يعود إلى مفهوم من كلام، وهو الإيجاد "[3].

يبدو أنّ دور الضمائر كظاهرة لغوية ذات ارتباط مباشرة بالعملية التبليغية والخطاب، والرجوع إلى المرجعية التّي تؤطرها في المقام التداولي[4].

---

[1]- ينظر: محمد حسين صبره، مرجع الضمير في القرآن الكريم مواضعه وأحكامه وأثره في المعنى والأسلوب،ص: 411.

[2]- محمد الرّازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي المشهور بالتفسير الكبير ،ص :186.

[3]- محمد حسين صبره، مرجع الضمير في القرآن الكريم مواضعه و أثره في المعنى والأسلوب،ص: 411.

[4]- ينظر: عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية الجزائر،ط1، منشورات الاختلاف، 2003-، ص: 68.

يمكن أن نقف على تصور"بور يكور" حول الضمير (هو) الذي يصفه في ميزتين:

ا- الغياب عن الدائرة الخطابية.

ب- القدرة على إسناد أشياء معينة، ويجعل من هاتين الميزتين موضوعا على قدر كبير من الأهمية في دراسة تماسك النصوص[1]، وهذا الوصف لا يمثل حقيقة الضمير المنفصل (هو) في الخطاب القرآني، فكل الضمائر التّي تحيل إلى الله سبحانه وتعالى تكون إحالتها خارجية مقاميه غير نصية.

يفسّر"فخر الدّين الرازي" الآية أعلاه عبر مسائل خمسة { قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ } بأوجه القرآن في ضمير الخطاب " الكاف " بين الرفع والنّصب وهو يراه إشارة إلى مبهم تفسيره "هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ "

"إطلاق لفظ (الهين) في حق الله- تعالى- مجازا لأنّ ذلك إنّما يجوز في حق من يجوز أن يصعب عليه شيء، ولكن المراد أنه إذا أراد شيئا كان "فالقرائن النحوية التي ساقها الرازي وضحت المفسر له وهو الله " .

7-الإحالة المقامية:

{ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً ۚ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا } [2].

تعرض الرّازي إلى مرجعية (سويّا)

سويّا ← صفة لليالي الثلاث.

سويّا ← هو صفة لزكريا[3].

---

[1]– صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، نقلا عن جبريل فالا نسي: النقد النصي،ص :247–248.

[2]– سورة مريم الآية 10.

[3]– محمد الرازي فخر الدين، تفسير الرازي المشهور بالتفسير الكبير، ص 191.

ضمير الخطاب في قوله:"قال آيتك" تعود مرجعيته إلى إحالة مقاميه لأنّها تحيل إلى خطاب موجود خارج النّص، بينما هنا نعود إلى لفظة تفسّر المرجعية المقصودة ألا، وهو "زكريا" وتدل عليه لفظة "سويا".

8- الإحالة الضميرية:

في قوله:" فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا "[1]، قومه إحالة ضميرية، ضمير الهاء المتصل مرجعه يعود إلى زكريا، وهو سابق متقدم سبق ذكره ،"إليهم" "هم" تعود إلى قومه، وهي إحالة إلى سابق متقدم.

9- الإحالة القبلية:

{ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا(12) وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا(13) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا(14) وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (15) [2].

يذكر" فخر الدّين" أنّ الله بلغ" بيحي" المبلغ الذي يجوز أن يخاطبه بذلك فحذف ذكره لدلالة الكلام عليه، وهنا توالي الصّفات المذكورة في الآية الكريمة [3] آتينا(هـ)، بوالدي(هـ)،علي(هـ).

إحالة ضميرية تعود إلى سابق متقدم حيث تعود إلى مفسّر سبق التلفظ به ومنها يجري تعويض لفظ المفسر الذي كان من المفروض أن يظهر فمرجعية الضمير الغائب تعود إلى "يحي".

---

[1] – سورة مريم ،الآية:0 1.

[2]– سورة مريم ،الآية :15.

[3]– ينظر: محمد الرازي فخر الدين ،تفسير الرازي المشهور بالتفسير الكبير، ص: 192

10-الإحالة القبلية "الداخلية " والإحالة "خارج اللغة "المقامية:

{ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (16) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا } (17)

أ-إحالة داخلية قبلية:

إحالة ضميريه بمرجعية متقدمة، الضمائر كالتّالي أهل(ها) إلى(ها) ل(ها) تعود إلى مريم، أي على سابق متقدم سبق ذكره، وهي تربط السابق باللاّحق أي إحالة داخل النص .

ب-إحالة خارج اللغة (المقامية):

أرسل(نا) من ضمائر الحضور لجمع متكلم تعود مرجعيته إلى الله وهو مركز المقام الإشاري، إذن تعد إحالة إلى خارج اللغة، وهي "إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي كأنّ يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم ويستعان في تفسيره بالمقام أو السياق"[1].

روح(نا): ضمير المتكلم الجمع الدّال على الذات الإلهية ".

11-الإحالة تكرارية:

[1]– سورة مريم ،الآية :19.

{ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا[18] قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا- الآية [19] 1.

{ قَالَت أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰم وَلَم يَمسَسنِي بَشَر وَلَم أَكُ بَغِيّا [20] قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّن وَلِنَجعَلَهُ أية لِّلنَّاسِ وَرَحمَة مِّنَّا وَكَانَ أَمرا مَّقضِيّا[21] فَحَمَلَتهُ فَٱنتَبَذَت به مَكَانا قَصِيّا [22] فَأَجَاءَهَا ٱلمَخَاضُ إِلَىٰ جِذعِ ٱلنَّخلَةِ قَالَت يَٰلَيتَنِي مِتُّ قَبلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسيا مَّنسِيّا [23] 2.

1- **إحالة تكرارية** في قوله:

* " قال إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ ".

*" قَالَت أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰم ".

*" قَالَت يَٰلَيتَنِي مِتُّ قَبلَ هَٰذَا ".

*"قال إنّما أنا بشر".

*" قال كذلك رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ.

التكرار اللّفظي في الفعل (قال) أسهم في تعزيز الترابط والاستمرارية في الحوار، التوكيد اللّفظي على مستوى البنية الصغرى بوارد إلى المستمع تحقيق التماسك النصي بين عناصر النص المتباعدة.

[1]– سعيد حسن البحري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة،:ص: 107 ،وينظر: أيضا نسيج النّص.

[2]– سورة مريم ،الآية: 23.

12-**الإحالة الإشارية:** " قَالَت يَالَيتَنِي مِتُّ قَبلَ (هَٰذَا)"

"قال (كذلك) قال ربك " هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ "[1].

هذا: اسم إشارة يفيد القرب"[2]، وهي تقوم بالربط القبلي والبعدي وتعد وسيلة من وسائل الاتساق النصي، يعود اسم الإشارة " هذا" إلى حدث سابق مذكور في الآية.

وهنا إشارة إلى الحمل (قالت أَنَّىٰ يكون لِي غُلَٰام وَلَم يَمسَسنِي بَشَر وَلَم أَكُ بَغِيّا"مريم 20)، والمشار إليه هو الحمل أرادت أن لا يتطرق عرضها بطعن، ولا تجرّ على أهلها معرّة، وهو قول الكثير من الصالحين عند اشتداد الأمر عليهم مع أنّها راضية بما بشرت به.

في قوله تعالى:" هُوَ عَلَيَّ هَيِّن "

إحالة المضمر "هو" يعتبر الرّازي أنّ "للضمائر فلسفة تنفتح على الغيب، وهي تشكّل تشاخصية بين الخالق والعبد"[3]. تعمل هذه الإحالات على فهم المقصدية وانفتاح الدلالة، فالإحالة باسم الإشارة تحمل دلالات وأبعاد تداولية مختلفة، بحيث يتلقفها المتلقي ويعمل على تفكيك دلالاتها الباطنية وما تشير إليه، وهي تمثل العناصر الجوهرية في الخطاب وتؤدي إلى تماسكه واتساقه.

---

[1]– سورة مريم ،الآية :23.

[2]– محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 16، الدار التونسية للنشر ،تونس، 1984،ص:85.

[3]– ينظر: ناصر، اللغة والتأويل ،مقاربات في الهيرمينوطيقيا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، دار الفارابي منشورات الاختلاف ،ط 1، 2007 م، ص: 175.

وهنا يعتبره الرّازي كناية[1]، "هُوَ عَلَيَّ هَيِّن" المحال إليه راجع إلى الخلق أي أنّ خلقه "عَلَيَّ هَيِّنٌ" والثاني ترجع إلى الغلام، وذلك لأنّها تعجبت من كيفية وقوع هذا الأمر على خلاف العادة، تعدد المرجعيات دليل على تعدد الرؤية الانفتاحية للنص وهو بذلك يحترز قيمة المتلقي ويجعل له الاختيار لفهم هذه المرجعية حسب المناسبة و الزمان والمكان.

أمّا الضمائر المتصلة بالغائب نجعل(هـ)، حملت(هـ) به مرجعيتها تعود إلى الغلام أي تعود إلى مفسر سبق التلفظ به وهي إحالة داخل النص .

13- الإحالة الضميرية:

"فَنَادَىٰهَا مِن تَحتِهَآ أَلَّا تَحزَنِي قَد جَعَلَ رَبُّكِ تَحتَكِ سَرِيّا (24) وَهُزِّيٓ إِلَيكِ بِجِذعِ ٱلنَّخلَةِ تُسَٰقِط عَلَيكِ رُطَبا جَنِيّا (25) فَكُلِي وَٱشرَبِي وَقَرِّي عَينا فَإِمَّا تَرَينَّ مِنَ ٱلبَشَرِ أَحَدا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرتُ لِلرَّحمَٰنِ صَوما فَلَن أُكَلِّمَ ٱليَومَ إِنسِيّا (26)[2].

فنادا(ها) ،تحت(ها) ضمائر متصلة، وتحيل إلى عنصر لغوي متقدم يعود إلى مريم، وهي إحالة داخلية نصية ربطت الآية بالتّي قبلها، فالموقف هنا يستدعي التأمل فيه ولفعل المناداة الذي جاء تطييبا لقلبها وإزالة الوحشة عنها .

يتفرع "فخر الدّين الرازي" في توضيح عودة "اسم الموصول " فَنَادَىٰهَا مِن تَحتِهَآ" وهنا المنادى له ثلاثة أوجه:

---

[1]– يعرف المضمر بالكناية في كتب النحويين،أي ؛هو مبهم ما لم يعرف الاسم الذي يعود عليه الضمير غالبا، والمضمر والكناية: خلاف للتصريح، لذا قالوا : لابّد للضمير من اسم سابق عليه يعود الضمير وبه يحصل المعنى المراد منه واجمعوا على عدم رجوع الضمير على متأخر في اللفظ والرتبة إلا للضرورة ، ينظر: رؤوف جمال الدين، المعجم في علم النحو، دار الهجرة، إيران، ط1، ص: 25.

[2]– سورة مريم ،الآية :26.

1- عيسى- عليه السلام-.

2- جبريل- عليه السلام-.

3- فيه اختلافان وتقوم القراءة القرآنية دورا في تحديده [1].

مرجعية اسم الموصول فالقراءة بالكسر (مِنْ) تعود إلى الملك جبريل، أمّا بالفتح فتعود إلى "عيسى- عليه السلام-، و"فخر الدّين" يفتح لنا باب التأويل، لكنّه يرجّح أن يكون "عيسى- عليه السلام- لقوله تعالى: فحملت(ه) فانتدبت به" والضمير هنا يعود إلى" المسيح- عليه السلام-"[2].

"فعمل اسم الموصول أنّه أحالنا إلى مذكور سابق، وهي تشارك في عملية التعويض أي تعويض عمّا تحيل إليه "[3].

14- إحالة "ال" و إحالة الضمائر:

{ فأَتَت بِهِۦ قَومَهَا تَحمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَريَمُ لَقَد جِئتِ شيئا فَرِيّا (27) يَٰأُختَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امرأ سَوء وَمَا كَانَت أُمُّكِ بَغِيّا (28) فَأَشَارَت إِلَيهِ قَالُواْ كَيفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلمَهدِ صَبِيّا (29) 4.

[1]– ينظر: فخر الدين الرازي، تفسير الرازي المشهور بالتفسير الكبير، ص :205.

[2]– المصدر نفسه ،ص :205.

[3]– أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النص، ص: 27.

[4]– سورة مريم،الآية :29.

{ قالَ إِنِّي عَبدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَينَ مَا كُنتُ وَأَوصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمتُ حَيّٗا (31) وَبَرَّا بِوَٰلِدَتِي وَلَم يَجعَلنِي جَبَّارا شَقِيّٗا (32) وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَومَ وُلِدتُّ وَيَومَ أَمُوتُ وَيَومَ أُبعَثُ حَيّٗا (33)[1].

سنتتبع تسلسل الضمائر الذي يربط الآيات، خاصة ضمائر الغائب التي توحي إلى شيء داخل النصّ، وتدعونا إلى البحث عمّا يعود إليه الضمير.

فأتت ب(ه) "تحمل(ه)، هي ضمائر متصلة غائبة تعود إلى مرجع سبق ذكره في النص القرآني، وإحالة ضمير الغائب هنا تعود إلى الغلام وهي إحالة إلى سابق سبق ذكره " فأشارت إلى(ه)": الهاء هنا تعود إلى (عيسى عليه السلام)، وهي إحالة بعدية سيأتي ذكر المحال إليه في النص القرآني لاحقا.

التعريف ب"ال" وقد أشار إليها النحاة، وإلى دورها في ربط الكلام بعضه ببعض، فهي تذكر القارئ بشيء سبق ذكره أو شيء معروف في الذهن جرى الكلام عليه[2].
- في هذا يفصّل فخر الدين الرازي في قوله:" والسَّلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أُبْعثُ حيًّا "والسَّلام هنا معرفة باللام الدّالة على الجنس مبالغة في تعليق السّلام به حتى كان جنس السّلام بأجمعه عليه، وهذا مؤذن بتفصيله على "يحي" إذ قيل في شأنه" وسلام عليه يوم ولد[3]، وهو ما تطرق إليه الزمخشري: "لام التعريف "السلام "منصرف إلى ما تقدم في قصتي "يحي"- عليه السلام- من قوله وسلام عليه، أي

[1]– سورة مريم ، الآية :33.

[2]– "أل" التي هي حرف تعريف لها ،ثلاثة أقسام: عهديه ،جنسية ولتعريف الحقيقة، وفي الفروقات يذكر أنّ "ل" لتعريف الحقيقة يفيد حضورها في الذهن، هذا الحضور هو نوع من التشخيص : ينظر الحسين بن قاسم المرادي ،الجنى الدّاني في حروف المعاني، تح :محمد ندم فاصل، د فخر الدين قباوه ،دار الكتب العملية بيروت،لبنان، ط1، 1413 هـ – 1992، ص :195.

[3]–محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص :100.

السلام موجّه إليه"[1]، ومعرفة المخاطب بظروف وأحوال السياق التي- وإنّ غابت في ذهن المخاطب- كان استعمال المعرفة " المعرف من قبل المتكلم تنبيها له كي سيحضرها ومبدأ في فهم الكلام وفقا لذلك وهنا يمكن أن تكون إحالة إلى خارج النص، وهنا الإحالة مقامية.

15-إحالة الإشارة:

في قوله تعالى :{ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبنُ مَريَمَ قَولَ ٱلحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمتَرُون (34) مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَد سُبحَٰنَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمرا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُون (35)[2] .

اهتم "فخر الدين الرازي" هنا بمسألة الإشارة وأهميتها في ربط الصلة بين المشير والمشار إليه، والدور الذي يلعبه " اسم الإشارة"[3].

باستحضار الصفات، فالمراد بقوله "ذلك عيسى بن مريم إشارة إلى ما تقدم وهو قوله:" إنّي عبدُ الله آتاني الكتابَ "أي الموصوف بهذه الصفات وهو عيسى بن مريم وتفصيل إلى أنه ولد هذه المرأة وابنها لابن الله، وبذلك يمكن استحضار صفات "عيسى"- عليه السلام- عن طريق المشار إليه (وهي مجموعة صفات)، فتصبح حاضرة، ولا تنقطع الصلة بحيث تحيلك مباشرة، ويرتبط النص السابق بالحق، وهي إحالة نصية قبلية.

والضمير (فيه) يعود إلى عيسى- عليه السلام- [4]، وهي إحالة قبلية إلى سابق تعود إلى مفسر سبق التلفظ به وهي إحالة داخلية نصية الذي فيه يمترون، صفة

---

[1]– أبي القاسم جار الله محمود عمر الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيوب الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة بيروت لبنان ،ط3، 1430هـ – 2009، ص: 555

[2]– سورة مريم،الآية : 34.

[3]– فخر الدين الرّازي، تفسير الفخر الرّازي المشهور بالتفسير الكبير، ج21 ، ص :218.

[4]– محمد حسين صبره، مرجع الضمير في القرآن الكريم، ص: 413.

ثانية إحالة ثانية لعيسى "بن مريم"، واسم الموصول من الألفاظ الخاصة أو المختلطة فاسم الموصول "الذي" هو من الأدوات الّتي تشّد من أزر التلاحم النحوي بين ما تقدم ذكره، والعلم به وما يرادُ المتكلم أن يعلم به أو يضّمه إلى ما سبق العلم به".

16-الإحالة على السابق:

{ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُم فَٱعبُدُوه هَٰذَا صِرَٰط مُّستَقِيم (36) فَٱختَلَفَ ٱلأَحزَابُ مِن بَينِهِم فَوَيل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشهَدِ يَومٍ عَظِيمٍ (37) أَسمِع بِهِم وَأَبصِر يَومَ يَأتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱليَومَ فِي ضَلَٰل مُّبِين (38) وَأَنذِرهُم يَومَ ٱلحَسرَةِ إِذ قُضِيَ ٱلأَمرُ وَهُم فِي غَفلَة وَهُم لَا يُؤمِنُونَ (39) إِنَّا نَحنُ نَرِثُ ٱلأَرضَ وَمَن عَلَيهَا وَإِلَينَا يُرجَعُونَ} (40)[1]

في الآية أعلاه، نلفي إحالة ضميرية، متمثلة في الضمير المتصل الهاء(فاعبدوه)، وهي تعود إلى متقدم سابق هو (الله)، وهي بذلك حققّت الإحالة الداخلية النّصية.

17- إحالة الإشارة: في قوله: " هَٰذَا صِرَٰط مُّستَقِيم "، إنّ الأصل في الإشارة أن تتحقق العلاقة الإحالية بين الوحدة اللغوية، وما يشير إليه في الوجود العيني[2]. يعلّق الرّازي على المعنى الذي تدّله الآية بأنّه "انتقاء الولد والصحابة والقول بالتوحيد"[3]، مما أشرك الخطابية الّتي ربطت في مقام التخاطب (الله- عباده)، والذي نستنشقه من السياق، وهنا حمل"اسم الإشارة عند استعماله على المجاز وشبّه الصراط

[1]–سورة مريم، الآية :40.

[2]– ينظر: مفتاح بن عروس، الاتساق والانسجام في القرآن ، ص: 229.

[3]– محمد الرازي فخر الدين، التفسير الكبير، ج 21، ص: 221.

المستقيم على التشبيه البليغ بالاعتقاد الحق، كونه موصولا إلى الهدى بالصّراط المستقيم في إيصاله إلى المكان المقصود باطمئنان البال"[1]، وهي إحالة مقامية خارجية.

18- إحالة ضمير الذات الإلهية:

" إِنَّا نَحنُ نَرِثُ ٱلأَرضَ وَمَن عَلَيهَا وَإِلَينَا يُرجَعُونَ ".

يمثل (ضمير المتكلم الجمع) إنّا الذات الإلهية، وله دلالات الملك والتوكيد متمثلة في البنية التّالية:

"إنّا- نحن- إلينا"، وهي إحالة مقامية خارج اللغة بحيث لدينا عناصر لغوية أحالت على عنصر إشاري غير لغوي وتحقق ذلك عبر التأويل والسياق.

يشير ابن عاشور إلى مرجعية الضمير "يرجعون" الذي يعود إلى" من عليها" وإلى" ما" عاد إليه ضمير الغيبة في" أنذرهم"[2]، واسم الموصول "من" تحيل إلى سابق، وهو الأرض والعباد لأنّ "من" تقع على من يعقل، وعلى مالا يعقل[3].

19- إحالة التكرار وإحالة الضمير:

{ وَٱذكُر فِي ٱلكِتَٰبِ إِبرَٰهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقا نَّبِيًّا (41) إِذ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰأَبَتِ لِمَ تَعبُدُ مَا لَا يَسمَعُ وَلَا يُبصِرُ وَلَا يُغنِي عَنكَ شَيئا (42) يَٰأَبَتِ إِنِّي قَد جَاءَنِي مِنَ ٱلعِلمِ مَا لَم يَأتِكَ فَٱتَّبِعنِي أَهدِكَ صِرَٰطا سَوِيّا (43) يَٰأَبَتِ لَا تَعبُدِ ٱلشَّيطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيطَٰنَ كَانَ لِلرَّحمَٰنِ عَصِيّا (44) يَٰأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَاب مِّنَ ٱلرَّحمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيطَٰنِ وَلِيّا (45)[4].

---

[1]– محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج16، ص :105.

[2]– المصدر السابق، ص: 110

[3]– ابن عصفور الاشبيلي، شرح جمل الزجاجي، ص: 117.

[4]– سورة مريم، الآية : 45.

وفي هذه الآية الكريمة نلفي مجموعة من الإحالات عبر العناصر الإحالية الضميرية المختلفة.

إنّ(هـ) لأَبِي(هـ)، وهي ضمائر متصلة تعود إلى مفسر سبق التلفظ به وهو "إبراهيم"، وهي إحالة نصية داخلية.

أ- **الإحالة التكرارية**: المتمثلة في النداء بقوله: "يا أبتِ"

تكررت أربع مرات متتالية، وقد نوّه الزّناد إلى أهمية هذه الإحالة وقيمتها التّي تتشّكل عبر تكرار لفظ أو مجموعة من الملفوظات قصد التوكيد، وهذا التوكيد يؤدي غرضا آخر كأن يسمح للمتلقي بالانتباه[1]، ويحيلك إلى جزء سابق يتضمنه النّص، و"إعادة النّداء بوصف هو تأكيد لإحضار الذهن ولإمحاص النّصح الذي اقتضاه مقام الإطناب واستنزاله إلى قبول الموعظة "[2]، كما توافرت أركان الإحالة التداولية من محيل (إبراهيم) والمحال وهو "الأب" والمحال عليه، وهو تكرار الألفاظ التوكيدية "يا أبت" والمحال عليه، "وهو الغرض الذي يسوق إليه قبول النصيحة لأمر خارجي يتحدد بأمر غيبي يعلمه إبراهيم" يا آبتِ إنّي قد جآءني من العلم ما لم يأتك"، "يا أبت إنّي أخاف أن يمسّك عذاب من الرحمن" مستندا إلى قول الفرّاء معنى أخاف، وهو أعلم"[3].

20-إحالة الموصول:

[1]– ينظر:الأزهر الزناد، نسيج النص بحث ما يكون به الملفوظ نصّا،ص: 119.

[2]– محمد الطاهر عاشور، تفسير التحرير والتنوير،ج16 ، ص: 115.

[3]– ينظر: فخر الدين الرازي التفسير الكبير، ج21 ، ص: 227.

{ وَٱهجُرنِي مَلِيّا (46) قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيكَ سَأَستَغفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّا (47) وَأَعتَزِلُكُم وَمَا تَدعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدعُواْ رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيا(48)}[1].

من خلال الآية هناك ربط موصولي مفتوح إلى عناصر إشارية غير لغوية، ونستشفها عبر السياق والمقام، تمثلت عبر "ما"، وهو يقوم بوظيفة تعويض عنصر مبهم لدى المتلقي لا تفسره البنية النصية بل يحصل عبر مقام خارجي، وهنا يحدد السياق الثقافي بأنّ قوم إبراهيم كانوا يعبدون الأصنام من دون الله وهنا "ما" تعبر عن الأصنام[2].

21-إحالة الضمائر:

{ فَلَمَّا ٱعتَزَلَهُم وَمَا يَعبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبنَا لَهُ إِسحَٰقَ وَيَعقُوبَ وَكُلّا جَعَلنَا نَبِيّا (49) وَوَهَبنَا لَهُم مِّن رَّحمَتِنَا وَجَعَلنَا لَهُم لِسَانَ صِدقٍ عَلِيّا (50)}[3].

نلفي في الآية أعلاه مجموعة من الضمائر تنوعت بين ضمائر الغيب الجمعي وضمير الذات الإلهي، وضمير المتصل الغائب، وهو عدول يفضي بتحقيق الترابط وجعل المتلقي يبحث عن الجزيئات الغائية فالضمير الوجودي "هم" اعتزال(هم).

يعود إلى مفهوم من الكلام، وهم المخاطبون في قوله: (واعتزلهم) .

22-الإحالة إلى سابق (القبلية):

الضمير في ل(هـ) وهو يحيل إلى ملفوظ سبق التلفظ به وهو يعوض لفظ المفسر الذي كان من المفروض أن يظهر حيث يرد المضمر، ويعود إلى إبراهيم وهي

[1]– سورة مريم ، الآية :48.

[2]– ينظر: تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج16، ص: 122.

[3]– سورة مريم ،الآية :50.

بذلك إحالة لغوية داخلية[1] "ووهبنا (لهم)" يعود الضمير (هم) إلى عنصر لغوي سبق ذكره في النصّ على إسحاق وإبراهيم ويعقوب[2]، وهي إحالة نصية.
أما نواة الخطاب فهي ضمائر الذات الإلهية: وهب(نا)- جعل(نا)- وَهب(نا)- رحمت(نا)- جعل(نا)، وهي إحالة خارجية .

23-إحالة الضمائر وإحالة التكرار:

{ وَٱذكُر فِي ٱلكِتَٰبِ مُوسَىٰ إِنَّهُۥ كَانَ مُخلَصا وَكَانَ رَسُولا نَّبِيّا (51) وَنَٰدَينَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلأَيمَنِ وَقَرَّبنَٰهُ نَجِيّا (52) وَوَهَبنَا لَهُۥ مِن رَّحمَتِنَا أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّا (53) وَٱذكُر فِي ٱلكِتَٰبِ إِسمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلوَعدِ وَكَانَ رَسُولا نَّبِيّا (54) وَكَانَ يَأمُرُ أَهلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرضِيّا (55)}[3].

ضمائر الغيبية في الآية السّابقة: إنّ(ه)، نادين(ه) قربن(ه)،ل(ه) (أخا(ه) تملك خاصية الإحالة إلى المحال إليه الموجود داخل النّص، وهي تشرك المتلقي للبحث عنها، وممّا اتضح لنّا أن هذه الضمائر أو العناصر الإحالية تعود إلى "موسى" وهي إحالة نصية.

تحتل الأفعال المستندة إلى ضمير الإحالة (ضمير المتكلم الجمع الدّال على الذات الإلهية) تتمثل في دلالات ينسبها الخالق لنفسه.

[1]– الأزهر الزناد، نسيج النّص، ص: 118.
[2]– محمد حسين صبره، مرجع الضمير في القرآن، ص :415.
[3]– سورة مريم ،الآية: 55.

"إنّ النّص القرآني يحفل بحضور كثيف للذات الإلهية من خلال التعقيبات المتتالية للآيات بصفات الله وأسمائه، ولعلّه تذكير للفهم بجهة المخاطب وذاته"[1].

أ-الإحالة التكرارية:

يتكرر فعل الكينونة "كان" في ستة مواضع متتالية تحمل على تأكيد الصفات والخصال المذكورة في"موسى" و"إسماعيل"- عليهما السلام- فتكرار "الفعل" بإعادة لفظه يحمل المتلقي إلى إمكانية المقارنة بين صفات "موسى" و"إسماعيل"، وهنا حملت الإحالة التكرارية إلى الإحالة بالمقارنة ومنه نستنتج أنّها من الإحالات النصية القبلية كما أشار إليها "الأزهر الزّناد"[2] لمّا تحدث عن دورها، أي تلاقي عناصر لغوية تجبر المتلقي على الرجوع إلى السابق، وتتبع الفعل الإحالي يستدعي استعاده مذكور سابق.

ب-الإحالة الضميرية:

الضمائر التّالية: إن(ه) ، أهل(ه)، ربّ(ه) هي ضمائر متصلة أدّت وظيفة عدم تكرار "إسماعيل" وقامت بتعويضه، وهي أحالت إلى متقدم، سبق لفظه، وبالتّالي هي إحالة لغوية داخلية قبلية.

24-الإحالة الإشارية وتعدد المشار إليه:

{ وَٱذكُر فِي ٱلكِتَٰبِ إِدرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقا نَّبِيّا (56) وَرَفَعنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا (57) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّن حَمَلنَا مَعَ نُوح وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبرَٰهِيمَ وَإِسرَٰٓئِيلَ وَمِمَّن هَدَينَا وَٱجتَبَينَا إِذَا تُتلَىٰ عَلَيهِم ءَايَٰتُ ٱلرَّحمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدا وَبُكِيّا (58)}[3]

---

[1]– عمارة ناصر، اللغة والتأويل، مقاربات في (الهيرمينوطيقيا) الغربية والتأويل العربي الإسلامي، ص:121.

[2]– ينظر: الأزهر الزّناد، نسيج النص، ص :119.

[3]–سورة مريم الآية: 58.

تطرّق "فخر الدّين الرّازي" إلى ما يسمى بتعدد المشار إليه، فاسم الإشارة أولئك يدل على مسمى وإشارته إلى ذلك المسمى، فهي إشارة إلى ما تقدم وصفه إلى المذكورين في السّورة من لدن "زكريا" إلى "إدريس"، ثم جمعهم في كونهم من ذرية "آدم"، ثم خصّ بعضهم بأنّه من ذرية من حمل مع "نوح" والذي يخص بأنّه من ذرية "آدم" دون حمل مع "نوح" هو "إدريس"- عليه سلام- فقد كان سابقا على "نوح" على ما ثبت في الأخبار، والذين هم من ذرية من حمل مع "نوح" هو "إبراهيم"- عليه السلام- لأنّه من ولد "سام" بن "نوح" و"إسماعيل" و"إسحق" و"يعقوب" من ذرية "إبراهيم" ثم خصّ بهم بأنّهم من ولد "إسرائيل" أي "يعقوب" وهم "موسى" و"هارون" و"زكرياء" و"يحي" و"عيسى" من قبل الأم"[1].

وهي بذلك جعلت الخطاب متماسكا من خلال استحضار عناصر متقدمة في النّص وإعادة ذكر تسلسل الأنبياء والرسل، وهنا إشارة إلى ارتباط آيات وخطاب سابق وبذلك فإنّ إحالة الإشارة أسهمت في اتساق الخطاب .

أ-الإحالة القبلية (إلى سابق):

عودة ضمير الغائب المتصل "إنّه"، رفعنا(ه)، تعود إلى سابق متقدم ورد ذكره وهو" إدريس"[2].

إحالة ضمائر المتكلم الدالة على الجمع: حمل(نا) هي(نا) ٱجتَبَي(نَا) وهي تحيل إلى ذات خارج النصّ " الذات الإلهية" أي عنصر لغوي إحالي "نا" إلى عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي، وهي بذلك إحالة مقامية[3].

25-إحالة الضمائر وإحالة الموصول:

[1]– فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، ج 21 ،ص: 235.

1– محمد حسن صبره، مرجع الضمير في القرآن ،ص: 415.

[3]– محمد خطابي، لسانيات النّص،مدخل إلى انسجام النص ، ص:19.

{ فَخَلَفَ مِن بَعدِهِم خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَاتِ فَسَوفَ يَلقَونَ غَيّٗا(59) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحا فَأُوْلَٰئِكَ يَدخُلُونَ ٱلجَنَّةَ وَلَا يُظلَمُونَ شَيا (60) جَنَّٰتِ عَدنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحمَٰنُ عِبَادَهُ بِٱلغَيبِ إِنَّهُ كَانَ وَعدُهُ مَأتِيّا (61) لَّا يَسمَعُونَ فِيهَا لَغوًا إِلَّا سَلَٰما وَلَهُم رِزقُهُم فِيهَا بُكرَة وَعَشِيّا (62) تِلكَ ٱلجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِن عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّا (63)} [1].

"من بعد(هم) خلْف "، تطرق "الفخر" في تفسيره لمرجعية ضمير جمع الغائب بأن حمل بظاهر الكلام أنّ المراد من بعد هؤلاء الأنبياء خلف من أولادهم"[2] عن طريق السياق اللغوي فضمائر الغيب تؤدي دورًا مهما في اتساق النصّ.

أ-الإحالة الموصولية: (جنات عدن "التّي"..) وهو اسم موصول يربط مذكور سابق بلاحق "التي نورّث" فالتعريف بالصلة [3]، (التّي) تفيد أنّ هذه الجنات هي وعد الله لعباده قصدَ التعظيم، و"جنّات" بدل من الجنّة جيء بصيغة جمع جنات مع أنّ المبدل منه مفرد لأنّه يشتمل على جنات كثيرة.

ب-الإحالة القبلية:

تتمثل في عودة الضمائر: عباد(ه)، وعد(ه) إلى متقدم سبق ذكره، وهو "الرحمن"[4]، وهي توجه المتلقي إلى العودة إلى سابق الخطاب حتى يكشف اللّبس، وهي إحالة ذات المدى القريب[1].

---

[1]– سورة مريم ،الآية :63 .

[2]– محمد الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي المشهور، بالتفسير الكبير،ج21 ، ص :263.

[3]– الأسماء الموصولة، تفتقر إلى صلات تبيّنها وتوضّحها لأنها لم تفهم معانيها بأنفسها ينظر: ابن الأنباري أبو البركات عبد الرحمن بن محمد، أسرار العربية ،تحقيق ، محمد حسين شمس الدّين، دار الكتب العلمية (بيروت لبنان)ط1، 1418هـ، 1977م،ص: 190.

[4]– محمد حسين صبره، مرجع الضمير في القرآن،ص: 416.

والضمير (إنّه) هو ضمير شأن، يشكل بنية إحالية ذات وظيفة خاصة وتفسيره معلوم في السياق (الرحمن)، وما بعده في الضمير وعد(ه).

ج-إحالة الإشارة:

تتمثل في الآية:" تِلكَ ٱلجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِن عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّا".

يحيل الإشاري "تلك" إلى ما سبق من وعد الرّحمن لعباده وهي "إشارة للبعيد" لتعظيم شأن الجنّة وتعيين أهلها ويفصّل "فخر الدين الرّازي" في تفسيره "تلك الجنّة" هذه الإشارة إنّما صحت لأنّ الجنة غائبة[2].

ب- الإحالة القبلية:

تمثلت في ضمائر الجمع الغيبية المتصلة "لهم" و"رزقهم" وهي تعود إلى مفسر سبق التلفظ به ويجعل المتلقي يعود إلى النص لاكتشافه وتعود إلى (عباده)، وتسهم في ربط الأجزاء السابق بالأحقية.

{ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَينَ أَيدِينَا وَمَا خَلفَنَا وَمَا بَينَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّا (64) رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرضِ وَمَا بَينَهُمَا فَٱعبُدهُ وَٱصطَبِر لِعِبَٰدَتِهِۦ هَل تَعلَمُ لَهُ سَمِيّا (65) }[3].

ا- تعيين المحال إليه: من خلال تفسير "الرازي" أسند القول حكاية قول الملائكة" عبر قرينة السياق التي اعتمد فيها على سبب نزول الآية[4]، وهو كالتالي:" وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمرِ رَبِّكَ " خطاب جماعة لواحد، وذلك لا يليق إلاّ بالملائكة"[5] والقرينة الذكرية المتمثلة في العلاقات النحوية والدلالية التي سيقت في شرح فخر الدّين الرّازي .

---

[1]– ينظر : أحمد عفيفي،الإحالة في نحو النص، ص :52.

[2]– محمد الرّازي، فخر الدين، التفسير الكبير، ج21 ،ص 237.

[3]– سورة مريم، الآية :65.

[4]– ينظر: التفسير الكبير، ج21 ،ص 239.

[5]– المصدر نفسه ،ص :239.

وتحدد مقام التخاطب في" كاف الخطاب" إلاّ بأمر ربّ(ك)"، وهي خطاب كل قائل لمخاطبه" [1].

ومن الإحالات الداخلية اللغوية التي أسهمت في تجسيد النّصية نذكر مجموع الضّمائر التالية: ل(هـ)- فاعبد(هـ)- لعبدت(هـ)، وهي قامت بتعويض لفظ المفسر الذي من المفروض أن يظهر يَردُّ المضمر أو هي تعود إلى مرجع سبق ذكره وهو "الرب".

26-الإحالة التكرارية:

يعدّ التكرار من أهم الرّوابط النصية فهو يحيلك إلى العناصر الإشارية السابقة[2] وهو يحقق التماسك النصي بواسطة تعالق عنصر ما من بداية النّص حتى آخره[3]، كما سنوضح في العنصر الإشاري ربّك (ربّك" الربُّ).

هذا التكرار اللّفظي ورد في الآية أعلاه، وفي سياقات أخرى من الآيات السابقة "إذ نادى (ربّه) نداء خفيا"... "قَالَ (رَبِّ) إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ (رَبِّ) شَقِيًّا"، "قَالَ (رَبِّ) أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ"..."قال كذلك قال (ربّك)"... "قَالَ (رَبِّ) اجْعَل لِّي آيَةً "، "(فَوَرَبِّكَ) لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ"، وقوله:" قال كذلك قال (ربّك)"، هذا التكرار الذي يتواصل من بداية السورة إلى غاية نهايتها يفيد جعل القارئ يربط بين هذا التنبيه والمقام الذي أوجدت فيه سورة مريم.

فهو يتكرر في سياقات مختلفة تأخذ مظاهر الربوبية وتؤكد معجزات الله في خلقه، لتنسجم مع مقصدية سورة مريم التي تقرّ بوحدانية الله وربوبيته وأنّه واحد أحد.

---

[1]–المصدر نفسه ،ص:239

[2]– ينظر: زتسبسلاف واورزنياك، مدخل إلى علم النّص مشكلات بناء النص ،تر: سعيد البحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع مصر، ط1، 1424 هـ–2003م، ص: 124

[3] – ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكتبة ج2، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)، ط1، 2000، 1431هـ، ص 19.

{ يَقُولُ ٱلإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوفَ أُخرَجُ حَيًّا (66) أَوَ لَا يَذكُرُ ٱلإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقنَٰهُ مِن قَبلُ وَلَم يَكُ شَيئا (67) فَوَرَبِّكَ لَنَحشُرَنَّهُم وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحضِرَنَّهُم حَولَ جَهَنَّمَ جِثِيّا (68) ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُم أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحمَٰنِ عِتِيّا (69) ثُمَّ لَنَحنُ أَعلَمُ بِٱلَّذِينَ هُم أَولَىٰ بِهَا صِلِيّا (70) وَإِن مِّنكُم إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتما مَّقضِيّا (71) ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّا (72) وَإِذَا تُتلَىٰ عَلَيهِم ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰت قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلفَرِيقَينِ خَير مَّقَاما وَأَحسَنُ نَدِيّا (73) وَكَم أَهلَكنَا قَبلَهُم مِّن قَرنٍ هُم أَحسَنُ أَثَٰثا وَرِءيا (74) [1].

نلفي في هذه الآيات القرآنية مجموعة من الإحالات اتخذت أشكالا مختلفة بقرائن نحوية وبلاغية ودلالية.

27-إحالة التعريف:

" يَقُولُ ٱلإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوفَ أُخرَجُ حَيًّا "، ذكر فخر الدين الرّازي أنّ "الإنسانُ" معرف بواسطة "ال الجنسية "، والمراد منها الإشارة إلى فرد معين، وهو "أبو جهل" وقيل "أبيَّ بن خلف" والمراد منها حبس الكفَّار القائلين بعدم البعث"، ف(ال الجنسية) الدَّالة على استغراق جميع النَّاس وإن لم يكونوا كلهم قائلين لذلك[2] إذّ لما كانت هذه المقالة موجودة في من هو من جنسهم صّح إسناده

[1]– سورة مريم ،الآية:74.

[2]محمد الرازي فخر الدين، التفسير الكبير، ج21، ص242.

إلى جميعهم، والقرينة قوله بعده " فوربّك لَنحشُرنّهُم" فيراد بها معظم المخاطبين بالقرآن في أوّل نزوله[1].

فهي تقوم بالرّبط بين الجمل وتعمل على تذكير السّامع أو القارئ بشيء سبق ذكره أو شيء معروف في الذهن جرى الكلام عليه أو الإشارة له في السياق[2].

28- الإحالة القبلية: يحيل الضمير في خلقنا(ه) إلى مرجع سابق، سبق الإشارة إليه، وهو الإنسان، وهي إحالة داخلية أسهمت في اتساق النّص.

29-إحالة الضمير(هم)

- يُحيل ضمير الجمع الغائب في "لَنحشُرنّهُم" يعود إلى مفسر سابق هو الإنسان المنكر للبعث، هنا عدم التطابق كما يذكره فخر الدّين الرّازي، سببُه "ال" للجنس عادت على الضمير مجموعاً[3].
- كما تحيل الضمائر (بها) و(واردها)، و(فيها) إلى عنصر إشاري موجود في النّص مذكور سابقا ،وهو جهنّم.

{ قُل مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُد لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّا حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا (75) وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗى وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡر مَّرَدّٗا (76) أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ

[1]– محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج16 ،ص :144.

[2]– ينظر: إبراهيم في نظرية الأب وعلم النّص، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة (عمان الأردن) ط1427،1 هـ ، 2007م ص :96.

[3]– محمد الرّازي،التفسير الكبير، ج21، ص :243.

بِاٰيٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالا وَوَلَدًا (77) أَطَّلَعَ ٱلغَيبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحمَٰنِ عَهدا (78) كَلَّا سَنَكتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ ٱلعَذَابِ مَدّا (79) وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأتِينَا فَردا (80) } [1].

ارتبطت الآية أعلاه بمجموعة من الضمائر ساهمت عبر مرجعياتها في تماسك النّص، واتساقه من أهم الإحالات الضميرية:

أ- إحالة ضمير الغائب:

" فليمدد ل(ه)" هذا ضمير يحيل إلى عنصر لغوي سابق موجود داخل النّص يعود إلى "من"، وهي مرتبطة بجواب لقولهم: " أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا" وهي إعمال واستدراج لكفرهم وضلالتهم[2].

ب- **إحالة المقارنة:** تتميّز ألفاظ المقارنة بأنّها " تعبيرات إحالية لا تستقيل بنفسها وهو ما يؤهلها لأنّها وسيلة من وسائل التماسك، ولذا فأينما وردت هذه الألفاظ اقتضى ذلك من المخاطب أن ينظر إلى غيرها بحثا عما يحيل عليه المتكلم"[3].

في قوله :" وأضعف جندا" في مقابلة بجزء سابق ورد في الآية السّابقة" وَأَحْسَنُ نَدِيًّا " وهي مقارنة بين المقامات والأحوال التي ستتغير.

ج -إحالة العهد الذهني:

تعيين المحال إليه عبر خاصية العهد الذهني عن طريق قرينة تشمل السياق المقامي أو المقالي في قوله:" الذي كفر بآيتنا" فالتعريف بالصلة "الذي كفر" هو تعيين

---

[1]– سورة مريم الآية :80.

[2]– محمد الرّازي فخر الدّين، التفسير الكبير، ج21، ص :248.

[3]– شريفة بلخوت،الإحالة دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب الاتساق لهاليداي ورقية حسن، مذكرة أعدت لنيل شهادة الماجستير،(مرجع سابق) ص :200.

منصوص عليه في أسباب النزول التّي ساقها "فخر الدين الرازي" ضمن السياق المقامي بحيث أنّها نزلت في "العاص بن وائل"[1]، وبذلك يرتبط المحال إليه بضمائر لاحقة تفسرها.

"كلاّ سنكتب ما يقول" و"وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا"، و"وَنَرِثُهُ" هي إحالات، تتضمن ضمائر الغياب، فالضمير المستتير هو الذي نستشّفه من خلال الآية" "كلاّ سنكتب ما يقول" والضمائر ل(ه) نرث(ه)، تعود كلّها إلى ما سبق التلفظ به من عنصر إشاري داخل النص "الذي كفر بآيتنا" ليرتبط في ما بعد بإحالة خارجية مرتبطة بسياق المقام.

30-إحالة الضمائر وتعدد مرجعياتها:

{ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ آلِهَة لِّيَكُونُواْ لَهُم عِزّا (81) كَلَّا سَيَكفُرُونَ بِعِبَادَتِهِم وَيَكُونُونَ عَلَيهِم ضِدًّا (82) أَلَم تَرَ أَنَّا أَرسَلنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُم أَزّا (83) فَلَا تَعجَل عَلَيهِم إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُم عَدّا (84) يَومَ نَحشُرُ ٱلمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحمَٰنِ وَفدا (85) وَنَسُوقُ ٱلمُجرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِردا (86) لَّا يَملِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحمَٰنِ عَهدا (87)

أسهمت الضمائر ومرجعيتها في الرّبط بين الكلمات وبين الجمل، فتحيلنا إلى أجزاء في النص يمكن العودة إليها فضمائر جمع الغائب المتصلة في الآية:" "بعبادتهم"، "عليهم" تعود إلى عنصر إشاري مفسر سبق التلفظ به في النص

[1]–عن الحسن نزلت الآية في الوليد بن المغيرة والمشهورة أنّها في العاص بن وائل، قال خباب بن الأرث: كان لي عليه دين فاقتضيته فقال لا والله حتى تكفر بمحمد فقلت لا والله لا أكفر بمحمد (ص) لاحيّا ولا ميتا ولا حين تبعث فقال: فإنّي إذا مت بعثت؟ قلت نعم... ينظر التفسير الكبير،ج21، ص: 250.

وهو "الآلهة"[1]، ويردف "فخر الدين الرّازي" أنّها "الأوثان"، وهي معنى" اتخذوا من دون الله آلهة".

- كما أنّه يذكر اختلاف مرجعية الضمير في قوله "سيكفرون" ويفصّلها كالتالي[2]:

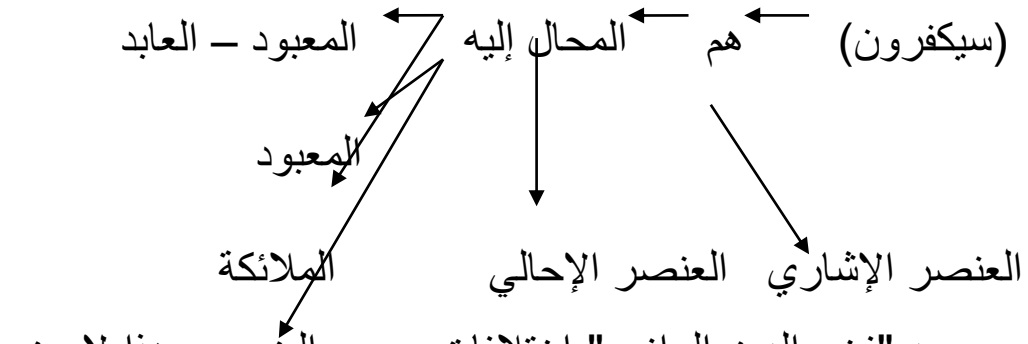

يورد "فخر الدين الرازي" اختلافات مرجع الضّمير، هذا لا يضعف من قيمة أو وظيفة العملية الإحالية بل هي تمنح دلالات مختلفة، وتعمل على اتساق النص القرآني:

تعود الضمائر التّالية (تؤزّهم)،(عليهم)، (لهم) ضمائر الجمع الغائب المتصلة، وهي عناصر لغوية تعود إلى عنصر إشاري سابق مذكور في النّص هو "على الكافرين" وهو ما ذكره" فخر الدين الرّازي" في توضيحه بدليل من النص نفسه، ثم يتأكد هذا بقوله (تؤزهم أزا) فإنّ معناه "إنّا أرسلنا الشياطين على الكافرين لتؤزّهم أزًا"، وهي إحالة نصية داخلية ثم لا يفتأ أن يحمل معنى آخر ويورده في قول " تؤزهم أزًا" وهنا يذكر سبب النزول المقامي، والضمير "هم" يعود إلى المستهزئين بالقرآن حسب السياق[3]، وهي بذلك تحيل إلى عنصر إشاري غير لغوي موجود يحدده السياق، وسبب النزول.

31-إحالة التكرار، الالتفات:

[1]–محمد حسين صبره، مرجع الضمير في القرآن الكريم ،ص :417.

[2]– محمد الرّازي، فخر الدين،التفسير الكبير، ج21، ص :251.

[3]– قال ابن عباس (تؤزهم أزًا أي تزعجهم في المعاصي إزعاجا نزلت في المستهزئين بالقرآن وهم خمسة رهط ، ينظر محمد الرّازي ، فخر الدين التفسير الكبير، ج21، ص :253.

{ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحمَٰنُ وَلَدا (88) لَّقَد جِئتُم شيئا إِدّا (89) تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرنَ مِنهُ وَتَنشَقُّ ٱلأَرضُ وَتَخِرُّ ٱلجِبَالُ هَدًّا (90) أَن دَعَواْ لِلرَّحمَٰنِ وَلَدا (91) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (92) إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرضِ إِلَّا آتِي ٱلرَّحمَٰنِ عَبدا (93) لَّقَد أَحصَىٰهُم وَعَدَّهُم عَدّا (94) وَكُلُّهُم آتِيهِ يَومَ ٱلقِيَٰمَةِ فَردًا(95) إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحمَٰنُ وُدّا (96) فَإِنَّمَا بشَرنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوما لُّدّا (97) وَكَم أَهلَكنَا قَبلَهُم مِّن قَرنٍ هَل تُحِسُّ مِنهُم مِّن أَحَدٍ أَو تَسمَعُ لَهُم رِكزَا (98) }[1].

استعمال ضمير الغيبة لما سبق خطابه ،" وقالوا... لَّقَد جِئتُم شَيئا إِدّا "، وهو ردّ على من أثبت له ولدًا، وانتقال من ضمائر الغائب إلى الخطاب ما يسمى بالالتفات وضمائر الغائب تحمل على مدلول ضمائر الغياب السابقة " اتخذوا من دون الله آلهة" فرّد على عبده الأوثان إلى الرّد من أثبت له ولدًا[2].

نلفى في الآية أعلاه تكرارا لفظيا لكلمة "الرحمن" وقد أشار"فخر الدين" لتكرار لفظ الرحمن على أنّه- سبحانه وتعالى- هو الرّحمن وحده من قبل أن أصول النعم وفروعها ليست إلاّ منه [3]، والإحالة هنا تتمثل في تكرير العنصر الإحالي (الرحمن) على بقية العناصر الإشارية (الرحمن)، وهي إحالة داخلية نصّية، ثم إنّه ينسحب تكراره في السّورة كلّها، وهنا فإنّ التكرار علاوة أنّه يحيلك إلى داخل النص هو يجعل النص مترابطا.

32-إحالة الضمائر:

[1]– سورة مريم، الآية :98.

[2]– محمد الرّازي فخر الدين،التفسير الكبير ، ج21،ص 254.

[3]– المصدر السابق ، ج21 ، ص :255.

نلفي مجموعة من الضمائر الغيبية وهي: لقد(أحصاهم) (وعدّهم) و(كلّهم)"، وهي عناصر لغوية تحيل إلى مفسر سبق التلفظ به يعود إلى "منْ في السّموات والأرض" موجود داخل النّص يعود إلى المعبودات في السماء والأرض من الملائكة، والنّاس في بيان قدرة الله وقهره وتدبيره لأنّه يعلم مجمل أمورهم تأكيدا على ربوبيته وإحاطته بكل شيء[1]، وهي إحالة مقامية لأنها استدعت عناصر غير لغوية.

في قوله تعالى:" فإنّما يسّرناه بلسانك لتبشّر به المتقين وتنذر به قوما لدّا "

- إيذانا بانتهاء السورة لما احتوت على عبر وقصص وبشارات ونذر جاءت الآية للتنويه بالقرآن وبيان بعض ما في تنزيله من الحكم، فكانت الضمائر التالية يسرنا(ه)، لتبشر ب(ه)، وتنذر ب(ه).

فضمائر الغيبة تعود إلى القرآن ليدل عليه مقام التخاطب "يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ"ودلالة السياق لأنّ التيسير تسهيل قراءة القرآن، كقوله تعالى:" وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ"[2].

نستنتج ممّا تقدّم تفصيله حول صور الإحالة اللّسانية في تفسير "فخر الدين الرازي" أنّ واقع القرآن ولغته ونظامه التركيبي وأسلوبه يختلف جملة و تفصيلا عن واقع التصور اللغوي العربي قديما وحديثا. فالإحالة عند "فخر الدين" أخذت طابعا لغويا دلاليا وبلاغيا، إذ نجد في محطات تعامله مع الضّمائر وأسماء الإشارة، التكرار، والمقارنة، وبعض ما جاء في التعريف وتفريعاته يحقق الانسجام مع ما أقرته لسانيات النّص خاصة ما ورد في طبيعة الإحالة لأنّ تعامل "الرازي" مع الخطاب كان من الجزء وصولا للمعاني الكلية حيث تستمر تلك العلاقة التركيبية النحوية التّي تحيل إلى جزء سابق من الخطاب تعيده إلى أذهان القارئ المتلقي.

---

[1]– المصدر نفسه ، ج21،ص: 256

[2]– محمد الطاهر بن عاشور ،تفسير التحرير والتنوير ، ج21، ص: 176.

الحضور المكثّف للإحالات الضميرية في سورة مريم خاصة تلك المتعلقة بضمير الغياب التي تحدد مرجعيات المحيل إليه داخل النص.

استعان "فخر الدين الرازي" بسياق المقام كاستحضار سبب النزول لمعرفة مرجعية (المحال إليه).

وقوع التكرار بصورة تحيل استدعاء جزء سابق بلاحق ويشمل المعنى كافة السورة ليشكل المعنى الموّحد الذي يخدم المقصدية من السورة تأكيدا يجعل المتلقي يستنتج أهمية التكرار بمكان وتنبيهه إلى أنّ الرّب واحد ينتفي معه ابن أو شريك، وهذا ما يشرك القارئ المتلقي في عملية التأويل والفهم الكلّي.

تشكلّ صور الالتفات أو الانتقال من ضمير الغيبة إلى خطاب أو العكس انتقالا يروم ما يعرف بمسألة الحضور والغيبة وارتباطها بالمقام.

تعرّض "فخر الدين الرّازي" لاختلافات "ال" في تحديد مرجعية "الكتاب" وعلى من تحيل، ف"ال" التعريف إذ تتجاوز تصورات النحاة في اقتصارها على تحويل النكرة إلى المعرفة لأنّها تذكر السّامع بشيء سبق ذكره أو شيء معروف جرى عليه الكلام أو الإشارة له، وهنا يستفيض الرّازي في توجيه القارئ إلى الاختلاف في "ال" وبالتّالي اختلاف القرينة يؤدي إلى اختلاف المحال إليه كمثال عن ذلك يقول:" اختلفوا في ذلك الكتاب قال بعضهم هو التوراة لأنّ الألف واللاّم تتصرف للمعهود والكتاب المعهود هو التوراة"[1]، "ويرجعها إلى (ال) للجنس، وهنا تحيل إلى الإنجيل ثم الألف واللام تفيد الاستغراق وهنا تحيل إلى التوراة و الإنجيل[2]، وهذا الطرح المتشعب المختلف ينّم على دراية "فخر الدين" الواسعة في نفس الوقت تشكل لك التباسا في تحديد المرجعية، وهذا مثال يسري في كثير من تعاملاته مع الصور الضمائر والإشارات.

[1]- ينظر: فخر الدين الرّازي ،التفسير الكبير ،ج21، ص:215

[2]- المصدر نفسه ، ص:115

الإحالات في سورة مريم في صورها، وأبعادها أشارت إلى ذلك البعد التوحيدي سواء أتعلق بالخالق أو البعد اللّساني (الإعجازي) الذي جاءت فيه الإحالة تخرق الصور المعتادة، وما ألفناه في لسانيات النّص، وهذا ما يؤكد خصوصية التعامل مع الخطاب القرآني، ومع السياقات القرآنية التركيبية التّي لها طابع قواعدي غير محدود فتلك العلائق التلازمية الإحالية جاءت لتعطي العقلَ حقّه والقلب حقه، والنفس حقها لتخدم القصد من سورة مريم، وهذا هو الاختلاف بين تفسير الرّازي عن غيره من التفاسير.

الخاتمة

بعد هذا الطواف المعرفي الذي امتد من الفصول والمباحث التي عالجنا فيها موضوع الإحالة النصية في الخطاب القرآني محاولين الإجابة عن الفرضيات المطروحة واستخلاص النتائج التي نذكرها كالتّالي:

1- ظلت الجملة رهينة الدّرس اللّغوي فقد عرفت محطات كثيرة سواء عند العرب أو العجم فهي بنية قارة في الكلام وتعتبر في مدونة العرب مفهوما يقترب منه إلى المصطلح في الكتاب مع "سيبويه" وهو البذرة الأولى الممهدة لتحول اللفظ إلى حقل الاصطلاح النحوي الذي ظهر في ما بعد عند الفراء والمبرد، ومع ذلك لم تستبعد كليا بعد التحول الذي طال الدراسات النصّية فكثير من اللّسانيين اعتبروها الوحدة اللّسانية الكبرى، بينما اتجه فريق آخر إلى الانتقال من الجملة إلى النص والخطاب.

2- إنّ القصور الذي طال الجملة وعدم قدرتها على استيعاب التواصل والارتباط بين التركيب والدلالة لغاية الوظيفة التداولية التي تهتم باستعمال الكلام وعلاقة المتكلم بالمخاطب، فقيدت وعزلت عن السياق مما أدى إلى البحث عن بديل آخر.

3- تولد رد فعل اتجاه هذا الضمور، فظهرت لسانيات النّص بدءًا بنحو النّص الذي يشكل القاعدة الأساس لهذا العلم فنحو النّص يتخذ من النّص الوحدة الكبرى، وهو بنية كلية وموضوع لتحليل الخطاب والوقوف على تماسك النصّ وانسجامه، ووصف كيفية ارتباط النّص والخطاب من أوّله إلى آخره، ووصف العلاقات الموجودة بين المتتاليات الجميلة، وتحقيق الاتصال القائم بين النصّ والمتلقي لتحقيق التكامل المعرفي، والهدف من نحو النّص.

4- لسانيات النص مرت بمراحل تاريخية وتطورت داخل المجال اللّساني فمن الدراسات (الفيلولوجية) إلى الوظيفية، واللّسانيات الوصفية لغاية مرحلة، "زليغ

هاريس" اتخذ من الخطاب وحدة للتحليل، وبعدها تتابعت الأصوات التي تدعو إلى الاهتمام بهذا العلم الفرعي والبحث فيه.

5- يهدف علم لسانيات النّص إلى معرفة آليات تماسك النّص ومدى نصيته، كيف تبنى النصوص؟ كيف يتشكّل النص المترابط بمعياري الاتساق والانسجام؟

6- يبدو واضحا أنّ الدراسات النّصية تحقق الغاية التواصلية لتبيان العلاقة بين القارئ والنص، وتحقيق عملية الفهم الناجمة عن فهمنا للبنية الكلية والوحدة الموضوعية وبالتالي القدرة على التّحليل والتّأويل والفهم.

7- يتحدد النّص عبر معايير نصيّة وهو متتالية من الجمل تربط بينها علاقات متى انعدمت هذه العلاقات لا يمكن أن نطلق عليه نصّا، تتجلى هذه العلاقات في منحى أفقي وعمودي أي التماسك الشكلي الذي يظهر في سطح النص وهي تسهم في ارتباطه الداخلي والتماسك الدلالي يمثله معيار الانسجام ويمكن المتلقي أن يكون محورا مهما في هذا الحكم.

8- عرف العرب الممارسة النصيّة الناضجة التامة مع القرآن الكريم على الرغم من وجود نصوص شعرية قديمة، تضمنت أبحاث العلماء وهم في غمرة التأسيس لهذا العلم النصي بحيث نلفي الكثير من المقارنات والاستدلالات في كتبهم حول ترابط الأبيات الشعرية وتماسكها، لكن جاء ذلك ضمن دراستهم الإعجازَ القرآني.

9- اتخذت لسانيات الخطاب من الملفوظات نظاما باعتبار الملفوظ وحدة أعلى من الجملة إذ هو فعل النّطق والهدف منه الفهم والإفهام سواء عبر اللغة أو غير اللغة.

10- يتساوى الملفوظ والخطاب من وجهة لسانيات النص والخطاب.

11- البدايات الأولى للسانيات الخطاب بدأت مع دروس "دي سوسير" والتفرقة بين اللغة والكلام باعتبار أنّ الخطاب وحدة تبليغية تواصلية تكون عبر استعمال الكلام لتحقيق التواصل والفهم.

12- تعد لسانيات التلفظ الرّافد اللّساني ضمن ما يسمى لسانيات الخطاب، ويتصل بالتداولية فأولت الأهمية للكلام الذي كان مهملا ومستبعدا وأعادت له قيمته الفعلية.

13- يظهر الفرق بين ثنائية نص/ خطاب من خلال التعامل مع اللغة فالنصوص هي وسيط للخطاب حيث يتعامل النّص مع أدوات غير لغوية لغرض التواصل لتتفرع إلى الوظيفة التداولية، فالتداولية تتبنى من الخطاب (التّصوّر اللّسانيّ) إذ هو استعمال الكلام الفرديّ عبر مخزون ثقافي يشترك فيه المتكلمون.

14- التداولية هي امتداد لتمظهرات الخطاب وإعادة سياق الكلام والمقام فالأفعال الكلامية وأفعال التلفظ و الإشاريات والاستلزام الحواري تشتغل في صلب التخاطب، والتفاعل الاجتماعي التواصلي الثقافي.

15- تقترب الشمولية في الطرح في المدونة التراثية لدى العرب من خلال الابتعاد عن النظرة الجزئية، وانتهجوا من خلال دفاعهم عن إعجاز القرآن الوحدة الكلية، وآليات الاتساق، والانسجام التّي تقترب مع ما توصل إليه علماء النّص والمقاربات اللّسانية الحديثة، وهذا ما يؤكد أنّ الممارسة النّصية بدأت مع النّص القرآني لأنّه محكوم بالمعايير النّصية، متعال بالقصدية، والحقيقة المطلقة فكل ما ورد عند" الباقلاني، والجرجاني، والزّركشي، والسيّوطي والشاطبي " هي مادة خصبة إذا ما قارناها بما جاء في جوهر نظريات الخطاب ولسانيات النّص سنميّز ذلك التعالق

والتعانق في الطرح والمنهج إذ أنّ هذه الشمولية هي مدار الاتساق والانسجام فيمكن حصرها في هذين المعيارين.

16- تتمثل وحدة النص القرآني في كتب المفسرين والبلاغيين بنظرة تنّم على طبيعة القرآن، وارتباطه وتماسكه عن طريق معاني النّظم والمناسبة، فاهتمامهم بعلم التناسب في مواضيع انعدام الرّبط بين الآيات لبيان كيفية اتصال الآيات بعضها ببعض عبر العلاقات المختلفة.

17- الوحدة الموضوعية تتجلى عن طريق ربط الآيات ذات الموضوع الواحد في عدة سور من القرآن، وهي خاصية من خصائص الانسجام التّي أفردها علماء النصية.

18- المناسبة هي شكل من أشكال الوحدة النصية القرآنية تؤكد أنّ القرآن بناء متماسك الأجزاء لا خلل فيه ولا تناقض مرتبط بعضه ببعض يحقق الاتساق والانسجام.

19- إنّ مدونة التفسير "لفخر الدّين الرّازي" تشمل معايير النصية تتوافر عليها عبر الخطاب الشامل الذي اعتمده "الرّازي" وهو بصدد التفسير القرآني، فلا نحتاج إلى إبراز هذه الشمولية والكلية والترابط، فهو يستعمل هندسة بنائية للتدليل على وجود الاتصال والتماسك والانسجام، وإن احتجنا في ذلك إلى مقاربتها بأدوات حديثة مع ذلك لم نر انفلاتا لأنّ "الرّازي" وهو يشرح مدونته التفسيرية قدّم لنا مفاتيح نصية عالجها وفق ما اقتضت له طبيعة الخطاب القرآني المتسق المنسجم.

20- من أهم آليات الاتساق التي وظّفها "الرّازي": هي الإحالة الضميرية التي نجدها في مواضع كثيرة يعقب على مرجعيتها وإلى من تعود، كما أننا نلفي التناسب

الذي اعتبره ترتيبا بين أجزاء الخطاب الواحد، وأيضا الحذف بصوره المختلفة وكذلك آلية التكرار التي تندرج ضمن الاتساق المعجمي، وأيضا الوصل والعطف والترابط عبر الضمائر.

21- إنّ ما استنطقناه من آليات الانسجام، الترتيب المنطقي الذي رجّحه في أكثر من آية بحيث يمنح المجال للأسئلة التي تراود المتلقي حول هذا الترتيب الذي جاء به القرآن، ويشرح شرحا مستفيضا ليبرز أنّ الترتيب الذي جاء به القرآن هو الأولى والأرجح، كما أنّه أعطى السياقَ مساحةً لتوجيه المتلقي ووضعه في القالب المناسب الذي يجعله يفهم سبب التنزيل ومقامه، وبالتّالي يحصل الفهم الصحيح للقصد، كما أنّ غياب عناصر بعينها لا يعني بالضرورة غياب الانسجام، بل الناظر في شروحات الرّازي تمكنه من استخراج آليات كثيرة كالتأويل وتحديد موضوع الخطاب والعلاقات التي تربط الخطاب ترابطا دلاليا مفهوميا.

22- تعد الإحالة بالنظر لأهميتها في الدرس النصّي بؤرة تجاذب باعتبارها تقف وسيطا بين كل العلوم اللّسانية من لسانيات النّص والتداولية والوظيفية فهي تؤدي دورا في تشكل النّص وتعد أحد الآليات الضرورية في ارتباط النص وخلق سمة النّصية.

23- عرفت العرب إرهاصات الإحالة بحيث تناثرت تناثرا مكثفا في انتاجاتهم نحوا وبلاغة ومن خلال التفاسير عبر الضمائر والروابط في الكلام العربي وأدوات الإشارة، والأسماء الموصولة والتكرار والالتفات و"ال" العهدية.

24- قدّم "فخر الدّين الرّازي" قيمة مضافة للتفسير القرآني الكريم بابتعاده عن النظرة الجزئية إلى الشمولية والكلية في الطرح هذا ما ييسر لنا البحث عن الإحالة وصورها اللّسانية في مدونته " مفاتيح الغيب".

25- صاغ "فخر الدّين الرّازي" مقاربة الإحالة في بيان تعرضه للمعنى أي ظهر تصوره للإحالة هو نفسه تلك المعاني أي الأمور الذهنية التي يقصدها العاني، وترتبط بالعرض والأشياء الخارجية، فتأخذ الإحالة بعدا شموليا داخليا بين التصور الذهني وما يجري في عالم اللغة الأمر الذي يجعل الإحالة تنحو نحو منظور مقامي يمنح العلاقة بين اللّفظ والمعنى بعدا داخليا وهو المقام اللغوي الداخلي.

26- إن أشكال الإحالة في سورة مريم تختلف باختلاف الآيات وطبيعة الأسلوب داخل نظامها اللغوي التركيبي وتحقيق التأويل الذي يمنح الإحالة بعدين اثنين من حيث الاستعمال والوظيفة.

27- الإحالة في الخطاب القرآني عامة، وفي سورة مريم خاصة تتصل ظاهريا بالتركيب لتتجاوز ما وراء التركيب، وهذا ما استنتجناه من خلال تعامل "فخر الدين الرّازي" مع أدوات الإحالة ولعلّ ما يميّز الإحالة ضمن رحابها هي تكلم الأبعاد اللغوية والفلسفية والتأويلية الدينية العقائدية كلها تجتمع وفق خدمة المقصدية، والهدف والغاية من سورة مريم.

28- تكررت الإحالة النصية في ضمائر الغياب، وهي الأكثر حضورا في سورة مريم تعمل على الربط داخل النص وتمتد لتشمل الخطاب السابق باللاحق.

29- حققت ضمائر الحضور، والغياب الوظيفة المنوطة بها داخل النص القرآني ولأنّ طبيعة الخطاب القرآني وواقعه ولغته ونظامه التركيبي وأسلوبه يختلف جملة وتفصيلا عمّا استقر في واقع التصور اللغوي العربي فإنّ الإحالة تتشكل حسب هذا الطابع، ومميزاته السياقية والمقامية التّي تأخذ طابعا خاصا فإنّنا نجده يحقق التناسق

مع ما أقرّته لسانيات النّص، وفي سياقات كثيرة تنحرف صورة الإحالة عمّا أشار إليه مختصوا هذا الحقل اللساني النّصي.

30- تجلت أبعاد الإحالة في سورة مريم وفقا للبعد الإيماني التوحيدي سواء ما تعلق بالخالق - سبحانه - أو بالبعد البياني الإعجازي الذي تجاوز حدود ما ألفناه في لسانيات النّص لذلك لا يمكن التعامل مع السياقات القرآنية التركيبية وفق طابع قواعدي محدود وضيق بل ترتبط هذه العلائق التلازمية للإحالة بثلاثية العقل والقلب، والنفس تعطي كلا حقه وفق القصد المنوط به.

-التوصيات

وفي الختام ،إنّ هذه الرسالة العلمية التّي عالجت أحد فروع الاتساق النّصي ،والذي يمس إجراءً هاما في تشكيل النّص و بنائه ،يحتاج مزيدا من البحث العلمي الدقيق في مدونة "تفسير فخر الدّين الرّازي " خاصة أنّنا اكتفينا بنموذج سورة مريم .

وبما أنّ المعرفة العلمية تجدد وتغيّر وتصور ،يفضي بنا إلى الرهان على امتداد هذا الموضوع لمواكبة الإجراءات اللسانية المعاصرة و تجديد الخطاب القرآني عامة و الخطاب التفسيري خاصة و عليه أوصي بما يلي :

استمرارية البحث في مدونة فخر الدّين الرّازي التفسيرية ، خاصة أنّها تضم 32 جزءًا، بحيث تعذّر علينا الخوض في جميع هذه الأجزاء والتّي تحتوي على خزّانة معرفية علمية يمكن التنقيب من خلالها على ما يلتقي ،ومفهوم الإحالة بجميع أضربها الوظيفية الاستعمالية و النّصية و اللغوية النحوية والبلاغية ،خاصة في رحاب تفسير فخر الدّين الرّازي ،التّي أخذت ضمنه أبعادً معرفية تجاوزت التركيب لتصل إلى ما وراء التركيب .

هذا الموضوع لايزال بحاجة إلى المزيد من الأبحاث العلمية لتكملة هذا البحث المتواضع ،وخاصة أنّه يتعامل مع القرآن الكريم الذي يتوخى الحذر في التعامل مع أسلوبه و لغته التّي تختلف كليا عن بقية النصوص و الخطابات العادية .

الملاحق

السيرة الذاتية لفخر الدّين الرّازي:

1- نسبه:

هو العلاّمة الكبير ذو الفنون فخر الدّين الرّازي محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الطبرستناني الأصولي المفسّر كبير الأذكياء والحكماء والمصنفين، ولد سنة أربع وأربعين وخمس مئة(544)[1]، وتوفي يوم الاثنين سنة ست وست مئة(606ه)وكان يعرف بابن الخطيب أو ابن خطيب الرّي لأنّ والده "ضياء الدّين عمر" كان خطيب مسجد الرّي.

اتفق جلّ المؤرخين أنّ الفخر ينسب إلى مدينة الرّي لذلك أطلق عليه الرّازي ،وهي مدينة مشهورة قديمة من أمهات المدن تقع في الجنوب الغربي من طهران العاصمة إيران حاليا، وهي مشهورة ذائعة الصيت وينسب لها الكثير من العلماء والمؤرخين[2]، لذلك فالإمام الرّازي يتحد مع الكثيرين في التسمية واللّقب والنسبة فالتفرقة ضرورية أمام هذا الكم من العلماء.

2- فكره ومصنفاته:

تتلمذ فخر الدّين على يد والده "ضياء الدّين عمر" وأيضا على يد "كمال السمناتي " و"المجد الجيلي"، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل، له التصانيف المفيدة في فنون عديدة وكتب نذكر منها[3]:

1-شمس الدّين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ،سير أعلام النبلاء ،تحقيق :محي الدّين السرحان ، مؤسسة الرسالة ،بيروت ، ط1 ،1985 ،ج22،ص:501

2-طه جابر العلواني ،فخر الدّين الرّازي وحياته،دار السلام ،القاهرة ،ط1 ،2010،ص:35

3-شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ،وفيات الأعيان ،تحقيق:إحسان عباس ،دار صادر،بيروت،ط1988،1، مج 5 ، ص :249

المطالب العالية، نهاية العقول، كتاب الأربعين، المحصل، كتاب البيان والبرهان في الرّد على أهل الزيغ والطغيان، كتاب المباحث العمادية في المطالب العادية، كتاب تهذيب الدلائل وعيون المسائل، كتاب إرشاد النظائر إلى لطائف الأسرار، كتاب أجوبة المسائل التجارية، كتاب تحصيل الحق، كتاب الزبدة، كتاب المعالم، كتاب المحصول، كتاب شرح عيون الحكمة، كتاب السّر المكتوم، شرح أسماء الله الحسنى، مختصر الإعجاز، شرح المفصّل، شرح الوجيز في الفقه للغزالي، شرح الزند للمعرّي، شرح الكليات للقانون، علم الفراسة، مناقب الشافعي.

-الآيات البيّنات في المنطق ،الأخلاق ، أقسام اللذات ، تعجيز الفلاسفة ، شرح الإشارت لابن سيناء ، لباب الإشارات ، مباحث الحدود ، المباحث الشرقية ، الملخص في الحكمة ، رسالة في النفس .

-مباحث في الجدل ،شفاء العين والخلاف ، الطريقة العلائية في الخلاف .

-شرح نهج البلاغة ، المحرر في النحو ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز.ذ

-التشريح من الرأس إلى الحلق ، الطب الكبير ، مسائل في الطب ، النبض .

-الملل والنحل ، جامع العلوم ، حدائق الأنوار في حقائق الأسرار ،الرعاية ، رسالة في السؤال ، الرسالة الصاحبية ،الرسالة المحدية ، جواب الغيلاني .

-أسرار التنزيل و أنوار التأويل ، تفسير سورة الفاتحة ، تفسير سورة البقرة ، تفسير يس ، إبطال القياس ، إحكام الإحكام ، المحصول في أصول الفقه ، المعالم في أصول الفقه .

-تحصيل الحق ، القضاء و القدر ، رسالة الجوهر ، حدوث العالم ، الخلق والبعث ، زبدة المعالم في الكلام ، لوامع البينات في شرح أسماء الله الحسنى و الصفات ، عصمة الأنبياء ، الرسائل الكمالية في الحقائق الإلهية .

يذكر في تفسيره الكبير في المجلد الأوّل الذي خصصه لتفسير الفاتحة أنّه اشتغل في علم الأصول على يد والده، أمّا الفقه على يد أبي محمد الحسين ابن مسعود الفرّاء

البغوي[1]، ولأنّ عصره الذي عاش فيه في النّصف الثاني من القرن السادس الهجري فترة حرجة كانت فيها الحروب الصليبية في الشام وغزوات التتار في المشرق أضرمت فيها على جنب الخلافات المذهبية والعقائدية الشافعية والأحناف والشيعة، كما لعبت الفرق الكلام المشهورة على الجدال والكلام وهذا ما يفسّر كثرة التصانيف لديه في كل العلوم العقلية والفلسفية والطبية والباطنية [2].

3- كتاب التفسير الكبير:

يعد كتاب التفسير الكبير ذا أهمية بين مجمل التفاسير القرآنية، يحتوي على خصائص لم يسبقه لها معاصروه نذكرها كالتالي[3]:

1- الاستطراد: فإنّه يذكر المسألة ويفتح باب تقسيمها ويقسم تلك الفروع أيضا، ويستدل بأدلة السّبر والتقسيم وخاصية الاستطراد نجدها في كتاب الجاحظ "البيان والتبين "الانتقال من لون إلى لون آخر حتى يرفع الملل على القارئ ويتذوق العلوم المختلفة في المتن الواحد.

2-أي متصفح لكتاب التفسير فإنّه يلفي أقوال الحكماء والعلماء والفلاسفة.

3- تعرّضه للقراءات المختلفة وفي كل قراءة نستشف معاني مختلفة عن سابقاتها.

4- الاستدلال بالأحاديث النبوية وهي قليلة.

5- يستدل بأبيات شعرية وهذا في معرض حديثه عن اللّغة أو مناسبة أدبية.

6-الملاحظ أنّه يذكر أسباب النزول كالسياق الحالي الذي يجعل الفهم صحيحا والتأويل صائبا وهذا مرّده النظرة الكلية التي احتواها التفسير الكبير.

1-ينظر :فخر الدين الرّازي ، التفسير الكبير ، ج1، ص5

2--ينظر : المصدر نفسه ، ص:5

3-ينظر :المصدر نفسه ، ص:9

4-مرجعية الرّازي التفسيرية

إنّ الحديث عن مرجعية التفسير لدى الرّازي ، يستدعي التطرق للسياق العلمي ، والنشأة المعرفية التّي رعته منذ طفولته فهو تقلّد مذاهب شتى "أشعري العقيدة ، شافعي المذهب على هذا اتّفق معظم من ترجموا له أو كتبوا عنه،إن لم نقل كلّهم " [1]،وهذا ما عثرنا عليه في مقدّمة كتابه " التفسير الكبير " ،فهو ينتسب لطبقة المتكلمين ،والفلاسفة ،والفقهاء ، والمتصوفين،"كان الفخر الرّازي سنيا أشعريا ، وشهرته بعلم الكلام أوضح من شهرته بعلمي الأصول و الفقه ..وكان له السبق في هذا الفن مشايخ ،حيث قرأ على المجد الجيلي ،الكلام والحكمة ،كما استظهر كتاب الشامل لإمام الحرمين وله مؤلفات في هذا الفن "[2] وهذا راجع للفترة التّي عاش فيها الرّازي (في النصف الثاني من القرن السادس الهجري)، حيث انعكست هذه الفترة على حياته ،و نشأته وتكوينه العلمي [3].

ويشهد كتابه التفسير آراء أئمة المفسرين :كابن عبّاس ،وابن كلبي ، ومجاهد ، وقتادة ، وسعيد بن جبير ،ونقل عن كبار شيوخ المعتزلة مثل:القاضي عبد الجبّار،والزمخشري صاحب التفسير المشهور بالكشّاف ،و ذلك لما في تفسيره من معلومات دقيقة في التأويل ،و التفسير ،و ما حواه من دقائق اللغة ،و البلاغة أفاد منها كثير من المفسرين بعده ،ومن المفسرين الذين اقتبس عنهم :أبو إسحاق الثعلبي و أبو حسن علي بن أحمد الواحدي ،محمد بن جرير الطبري و أبو بكر الباقلاني ، و القفال الشاشي الكبير و ابن عرفه [4].

وتضمّن تفسيره ،آراء المذاهب الفقهية ،يورد الاختلافات المستنبطة و يوّزعها في فروع ،و آراء مختلفة ، ثمّ يلفي ذلك بحجج يدّعم بها تلك الآراء .

---

[1]طه جابر العلواني ،فخر الدّين الرّازي و مصنفاته ،ص:49

[2] -فخر الدّين الرّازي ،التفسير الكبير،ج1 ،ص:06

[3] -ينظر: المصدر نفسه ، ص: 4

[4]-ينظر : المصدر نفسه ،ص:09

انعكست العلوم ، والمعارف في مرجعية التفسير لدى الرّازي فقد تمكّن في تفسيره شتى الفنون فهو يقول :"إنّ القرآن أصل العلوم كلّها ،فعلم القرآن كلّه في القرآن ، و علم الفقه كلّه مأخوذ من القرآن ، وكذا علم أصول الفقه ، وعلم النحو ، واللغة ، وعلم الزهد في الدنيا ، وأخبار الآخرة ، واستعمال مكارم الأخلاق "[1].

5-منهجه التفسيري ومواقف الدارسين والعلماء من تفسيره

إنّ النّاظر لتفسير " فخر الدّين الرازي " في كتابه " التفسير الكبير ، يلحظ أنّ الكتاب من أوله لآخره يجري على وتيرة واحدة ، وقد صُنّف كتابه أهم مؤلف في التفسير بالرأي أي؛ الاجتهاد الذي يمثّل فيه الاجتهاد العقلي [2].

وهذا ما جعل بعض العلماء ممن تناولوا كتابه بالدّراسة، و التحليل إلى الإعلاء من شأنه و أنّ له السّبق في تبني المنهج العلمي الحديث في التفسير "إنّ طريقة فخر الدّين الرّازي التّي تعتمد على مصرف المعلومات أو خزّانة المعلومات ، تعتبر من الطرق الحديثة في التأليف[3].

اهتّم فخر الدّين الرّازي ببيان المناسبات بين آيات القرآن ،وسوره ،حيث تضمنت شروحاته ذكر مناسبة السور مع بعضها البعض كما أنّه يعرض في تفسيره العلوم الرياضية ، والفلكية ،والعلوم الحادثة، ويصوغ أدلته للرّد على أقوال الفلاسفة في مباحث الإلهيات على نمط استدلالاتهم العقلية ، لذلك قال صاحب كشاف الظنون ":إنّ فخر الدّين الرّازي ملأ تفسيره بأقوال الحكماء ،والفلاسفة وخرج من شيء لشيء حتى يقضي النّاظر العجب "[4]

و اعتمد الرّازي على الأحاديث النبوية و أقوال الصحابة لتثبيت فكرته ،وتدعيم رأيه مثال عن ذلك حينما أعقب تفسيره للآية:"

[1] -طه جابر العلواني ، فخر الدّين الرّازي و مصنفاته ، ص:88

[2] -محمد حسين الذهبي ،التفسير والمفسرون ، مكتبة وهبة ،القاهرة ،ج 1 ،ص:208

[3] -ينظر : نزار الأسود ،فخر الدّين الرّازي ،المكتبة الشاملة ،سوريا ،ط 1 ، ص:26

[4] -حاجي خليفة ،كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ،دار إحياء التراث،1999 ،ج 1 ،ص:231

قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ (27)[1]، حيث أرد فيه مبحثان الأول: قال ابن عبّاس :يريد الملائكة [2].

6-موقف العلماء من تفسيره

إنّ أي عالم أو مفكر بقيمة الرّازي، ومكانته العلمية يستدعي الاهتمام الكبير ،والواسع نظرا لشهرته التّي فاقت الحدود وكثرة تأليفاته في شتى الأصناف العلمية ،والفكرية و العقائدية ، هذا ما أحال إلى اختلاف الآراء حوله ،و تجاذب الأقوال حول عقله و طريقة تفكيره التّي سبقت عصره آنذاك.

يقول : ابن خلكان :" فريد عصره ،ونسيج وحده ،فاق أهل زمانه في علم الكلام ، المعقولات و علم الأوائل "[3].وهذا الاعتراف ليس وليد محض صدفة ،ومديح عشوائي ،بل هو حقيقة نلمسها في ما أنتجه و خلّفه العلاّمة الكبير ،حيث قال الداودي في طبقات المفسرين :"الإمام العلامة سلطان المتكلمين في زمانه ...المفسر المتكلم إمام وقته في العلوم العقلية ،و أحد الأئمة في العلوم الشرعية ...و أحد المبعوثين على رأس المائة السادسة لتجديد الدّين "[4]

أما عن كتابه مفاتيح الغيب فقد قال عنه أبي حيان في البحر المحيط :جمع الإمام الرّازي في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير ، حتى قال عنه بعض العلماء :" فيه كلّ شيء إلاّ التفسير "[5]

1-سورة النحل،الآية : 21

[2] -ينظر :فخر الدّين الرّازي ، التفسير الكبير ، ج 20 ،ص:21

[3] - طه جابر العلواني ، فخر الدّين الرّازي و مصنفاته ، ص:43

[4] -فخر الدين الرّازي ، التفسير الكبير ،ج 1 ،ص: 08

[5]-المصدر نفسه،ص:09

جهود فخر الدّين اللغوية من خلال التفسير

أ-القراءات القرآنية

أورد فخر الدّين الرّازي لعلم القراءات مكانة كبيرة ،ممّا أهله لأن يجذب الباحثين العاكفين لدراسة منهج فخر الدّين الرّازي ،وتفسيره حول أهمية هذه القراءات ،والذي يعني بكيفية نطق الكلمات القرآنية ،و طريقة آدائها بالاختلافات المتعارف عليها ،وقد بيّن الرازي موقفه من القراءات الصحيحة والشّاذة ، ومن الأمثلة التّي نوردها حينما تعرّض للآية في "وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ" ،في المسألة الثانية من التفسير لهذه الآية الكريمة خصّصها لقراءة ابن عامر ،وحفص عن عاصم ،ثم أردف رأيه بموافقته لهذين القراءتين المتواترتين تجنبا للتكرير الخالي من الفائدة بحيث يكون المعنى موائما.[1]

علم الصوت

لقد أولى فخر الدّين الرّازي لعلم الصوت ،و أفرد له تصورا علميا دقيقا في تعريفه للصوت وأقسامه وصفاته ومخارجه وخصائصه ففي الباب الثاني من المباحث المستنبطة من الصوت والحروف و أحكامها وضع لها 13مسألة [2]،تعنى بهذا العلم ،وهذا الاهتمام يسري في جميع الأجزاء التفسيرية حيث تعرض للظواهر اللغوية في سياقها الصوتي :كالإدغام ،الإبدال ،والقلب والهمز ،والإمالة و الفاصلة القرآنية .

ب-علم النحو والصرف و الأصول و الفقه

---

[1]-فخر الدّين الرّازي ،التفسير الكبير ،ج 20 ،ص:4

[2]-ينظر :فخر الدّين الرّازي ،التفسير الكبير ،ج ،ص:38

أحاط الرّازي إحاطةً وافية بعلوم اللغة ،واغترف عن كبار علماء النحو،واستشهد بآرائهم النحوية ،والصرفية في تفسيره " التفسير الكبير "و الشعر و كلام العرب ،وهذا مرّده التكوين اللغوي الواسع ،فقد كان يفرد لمسائل النحو وجوهًا متعددة ،كما أنّه يعرض آراء النحويين في كثير من مباحثه التّي يتناولها بالشّرح والتحليل ثمّ يفصل برأيه في الأخير ، ومن أهم مصادره :كتاب سيبويه ،كتاب المعاني للفرّاء إذ جعله مصدرا أساسيا من المصادر التّي اعتّدها في تفسيره ،كما أنّه اغترف من كتب أبي علي الفارسي ،وكذلك ابن جنّي وللوا حدي أيضا في كتابه البسيط .

كما أنّه أقتبس عن الزمخشري كثيرا في مسائل لغوية و بلاغية و نحوية ،ثمّ " إنّ الفخر لا يكاد يمّر بآية من آيات الإحكام إلاّ ويذكر مذاهب الفقهاء فيها مع ترويجه لمذهب الشافعي بالأدلة والبراهين ،وقد رأى الذهبي أنّه "كان يستطرد المسائل الأصولية ،والمسائل النحوية ،والبلاغية ،فالكتاب أشبه بموسوعة في علم الكلام و الكون و الطبيعة "[1]

[1] -محمد حسين الذهبي ، التفسير و المفسرون ،ج 1 ،ص:210

مسرد الآيات "النص المطبق عليه " .

الآيات	رقمها	نوع الإحالة	الصفحة
ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ (2) إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّا	**الآية رقم 02-03**	تعدد المحال إليه إحالة ضميرية مقامية إحالة قبلية	**246**
قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا (4) وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا (5) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا6	**الآية رقم 03 - 06**	- إحالة إشارية -إحالة بعدية	**247**
يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا	**الآية رقم 07**	إحالة الذات الإلهية إحالة ضميرية نصية قبلية	**248**
قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا (8) قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا (9	**الآية رقم 08-09**	-إحالة ضمير الشأن	**249**
قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا	**الآية رقم 10**	-إحالة مقامية	**250**
فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا (11	**الآية رقم 11**	-إحالة ضميرية نصية	**251**

يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا (12) وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا (13) وَبَرّٗا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا (14) وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا	**الآية رقم 12-15**	-إحالة داخلية نصية	**251**
وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا (16) فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا (17)	**الآية من 15-17**	-إحالة داخلية نصية -إحالة خارج اللغة مقامية	**252**
قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا (18) قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا (19) قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا (20) قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا (21) ۞فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا (22) فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا (**23**)	**الآية من 17-23**	-إحالة تكرارية -إحالة ضميرية نصية -إحالة إشارية	**253**
فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا (24) وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا (25) فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا (26)	**الآية رقم 24-26**	إحالة ضميرية -إحالة موصولية	**255**

فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا (27) يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (28) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا (29	**الآية رقم 26-29**	-إحالة ضميرية نصية	**256**
قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ (حَيًّا33	**الآية من 30-33**	إحالة تكرارية -إحالة " ال " الدّالة على استغراق الجنس	**257**
ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ (34) مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن **(**فَيَكُونُ 35	**الآية** من 33-35	إحالة إشارية -إحالة ضميرية قبلية	**258**
وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ (36) فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (37) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (38) وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (39) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ (عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (40	الآية من 35-40	إحالة نصية تعود على سابق -إحالة إشارية -إحالة ضمير الذات الإلهية	**259**

وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا (41) إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا (42) يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا (43) يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا (44) يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا	الآية من 40-45	إحالة تكرارية -إحالة ضميرية	**260**
قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا (46) قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا (47) وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا (48)	**الآية رقم 45-48**	-إحالة الموصول	**261**
وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا (51) وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا (52) وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا (53) وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا (54) وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا (55)	الآية رقم 50-55	إحالة ضميرية إحالة تكرارية	263

وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۖ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا (56) وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيّٗا (57) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا۩	الآية رقم 56-58	-إحالة إشارية وتعدد المشار إليه.	264
فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا (59) إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا (60) جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا (61) لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا (62) تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا (63	رقم 58-63	-إحالة ضميرية نصية -إحالة الموصول -إحالة الإشارة	265
وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا (64) رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ (هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا (65	الآية رقم 64-56	-إحالة نصية داخلية عن طريق ضمائر الغيبية -إحالة تكرارية	

وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا (66) أَوَ لَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا (67) فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا (68) ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا (69) ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا (70) وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا (71) ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا (72) وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا (73) وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا (74)	الآيات رقم65-74	إحالة التعريف -إحالة داخلية نصية -إحالة ضميرية نصية	269
قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا (75) وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدّٗا (76) أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا (77) أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا (78) كَلَّاۚ سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا (79) وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأۡتِينَا فَرۡدٗا (80)	الآية رقم 74-80	-إحالة ضمير الغائب -إحالة المقارنة إحالة العهد الذهني	270

وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا (81) كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدّٗا (82) أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا (83) فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدّٗا (84) يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا (85) وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا (86) لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا (87)	الآية رقم 81-87	إحالة الضمائر وتعدد مرجعياتها في شروحات فخر الدين الرّازي -إحالة ضميرية نصية	**272**
وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا (88) لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا (89) تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدّٗا (90) أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا (91) وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (92) إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا (93) لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا (94) وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا (95) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا (96) فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا (97) وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزًا (98)	الآية رقم 88-98	-الالتفات ،"انتقال من ضمير الغائب إلى الخطاب -إحالة التكرار الذي يحيلك إلى داخل النّص وهو يجعل النّص مرتبطا .	274

مسرد المصطلحات:

المصطلح	ما يقابله باللغة الإنجليزية
لسانيات النص	Text linguistique
اللسانيات النصية	Textual linguistique
نحو النص	Text grammar
الإحالة القبلية	Anafore anafora
الإحالة البعدية	Catafore catafora
إحالة خارج اللغة	Endaphore
الوصف النصي	Textual description
التحليل النصي	Textual analysis
الاتساق	Cohesion
الانسجام	Coherence
الخطاب كلام خارج لساني	Exlroling
التلفظ	Enonciation
ملفوظات	Enonces
إشاريات- مرجعيات	Deixis
اللغة	Langage
أدوار أخرى	Other roles
النسيج	Textus
العطف	coordination
شكل النص	Text from
اسم الإشارة	Demonstrative
الاستلزام الحواري	Conversation Implicature
القصد	Intentionality
المقبولية	Acceptability
الإعلام- الإخبارية	Informativity
التناص	Intertextuality
المرجعية	Referense
السياق	Context
التداولية	Pragmatics
متضمنات القول	Implications to say
مبدأ التعاون	Cooperation
رابط	coordinator

المصطلح	ما يقابله باللغة الإنجليزية
بنية عميقة	Deep structure
بنية سطحية	Surface structure
علم النحو	Syntax
كفاءة لسانية	Campetence
العبارة	Locution
آليات التجديد	Renewal mechanisms
الاتساق المعجمي	Lexical cohesion
التضام	Collacation
الإحالة الضميرية	Pronominal reference
الترابط النحوي	Sequential connectivity
الترابط المعنوي	Conceptual connectivity
أدوات الربط	Cohesive divises
البنية الكلية	Macro structure
نظرية النظم	System theory
سياق المقام	Context of situation
سياق الثقافة	Context of culture
التفاعل	Interaction
المستوى الأفقي	Syntagramatic
الألسنية البنيوية	Structural tongues
عملية اتصال	Connectivity
نظرية التفسير	Exgesis
قارئ	Reader
الاستعارة	Inetaphora
إجمال	Generier
تفصيل	Speafie
السبب	Reaon
النتيجة	Result
المعنى	Meaning
العلاقات المنطقية	Logical relation
تضاد	Intenses
الإحالة المقارنة	Comparative refernce

قائمة المراجع

المصادر

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم .

1- ابن الأنبا ري أبو البركات، أسرار العربية، تحقيق: محمد حسن شمس الدين،دار الكتب العلمية، لبنان،ط1، 1977.

2- ابن المنصور الإفريقي ، لسان العرب المادة قرأ ، دار المعارف ، القاهرة 1981 .

3-ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص ،تحقيق: محمد علي النجار ، المكتبة العلمية، دار الكتب، المصرية ،1952.

4- ابن عصفور الاشبيلي، شرح جمل الزجاجي، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1998.

5- ابن هشام ، مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الإتحاد العربي ، القاهرة ، ج2 ، (د.ط)، (د.ت).

6- ابن هشام عبد الله بن يوسف، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع ، سوريا، د ط. د ت.

7- ابن يعيش ، شرح المفصل ، عالم الكتب ، بيروت ، (د.ط) ، (د.ت)

8- أبو احمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (الأحكام في الأصول الأحكام ،تحقيق :محمد حامد عثمان، دار الحديث (القاهرة)،ط1، 1998م.

9- أبو إسحاق الشاطبي، الاعتصام، تحقيق: محمد رشيد رضا ،(دط، دت).

10- أبو إسحاق الشيرازي ، اللّمع في أصول الفقه ، تحقيق : محي الدين ديب ، يوسف علي بدوي ، دار ابن الكثير، بيروت ، ط1، 1995م

11- أبو الحسين علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف مصر،(د ت، د ط).

12- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب كتاب سيبويه ، تحقيق :عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي القاهرة ، ط3 ، 1988 .

13- أبو بكر البقاعي ، نظم الدور في التناسب الآيات والسور، تحقيق :عبد الرازق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1 ، 1415 .

14- أبو بكر محمد الباقلاني، إعجاز القرآن ، تحقيق : السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر،ط3.

15- أبو جعفر محمد جرير الطبري، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن تحقيق: عبد الله بن عبد الله المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، ط1، 2001م.

16- أبو حامد الغزالي ، المستصفى من علم الأصول ، تحقيق: أحمد زكي حماد ، دار الميمان للنشر والتوزيع ،(السعودية، الرياض) ، (دط دت)،

17- أبو حامد الغزالي، معيار العلم في فن المنطق، دار الأندلس بيروت، ط1، 1984.

18-أبي حامد الغزالي ،قانون التأويل ، تحقيق :محمد الكوثري ، مؤسسة بشر للثقافة الإسلامية ، ط1، 1993.

19- أحمد بن فارس، مقاييس اللّغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ،لبنان،، ج 4 (د.ط) ،(د.ت).

20- إسماعيل بن حماد الجوهري ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، مادة قرأ ، دار الحديث ، مصر 2009 ،

21- الأمدي ،الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، لبنان، (د ط،د ت).

22- الجاحظ، البيان و التبيين : تح: عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، ج3، ط3 ، (د-ت)

23-جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون ، لبنان،ط1، 2008م

24- جلال الدين السيوطي ، تناسق الدرر في تناسب السور ،تحقيق: عبد القادر احمد عطار ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ط1، 1406ه- 1986.

25-جلال الدين السيوطي ، معترك القرآن في إعجاز القرآن ، دار الكتب العلمية ، لبنان، ط1 ، 1988.

26- جلال الدّين السيوطي، الأشباه والنظائر،تحقيق: عبد العال سالم مكرم مؤسسة الرسالة، بيروت،ط1 ،1985.

27- جمال الدّين أبو محمد عبد الله ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد منشورات المكتبة العصرية، بيروت،(د ط. د ت).

28- الجويني، البرهان في أصول الفقه، تحقيق: عبد العظيم الدين ،دار الوفاء، مصر ،ط3، 1412ه.

29- الخليل أحمد الفراهيدي – كتاب العين : ج5 مادة قرء ، مؤسسة دار الهجرة ، ط2 ، إيران 1409 هـ.

30-الرّاغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن تحقيق: نزار المصطفى الباز،ج1.

رضي الدّين محمد بن الحسن الاستربادي ، شرح الرّاضي على كافيه ابن الحاجب ، دار الكتب العليمة ، بيروت ، ط1 ، 1992 .

31- رؤوف جمال الدين، المعجب في علم النحو، منشورات دار الهجرة إيران (د ط. د ت).

32- السيّد قطب ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، بيروت،ط2 ،2004 .

33- الشاطبي ، الموفقات ، ضبطه وقدّم له : أبو عبيدة بن حسن أل سلمان ، دار ابن عفان (د.ط.د.ت)

34- شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان، (د.ط) (د.ت)

35-عبد القاهرة الجرجاني،دلائل الإعجاز،علّق عليه :محمد محمود شاكر الخانجي ، القاهرة 36-، ط3، 1993.

37- العلوي يحي بن حمزة بن علي إبراهيم ،كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم وحقائق الإعجاز ،دار الكتب العلمية، (دط . دت) .

38- فخر الدين الرازي ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، دار صادر (بيروت)، ط1 ، 1424ه-2004م.

39- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب ،القاموس المحيط ،ضبط وتوثيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، إشراف مكتبة البحوث والدراسات ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،(بيروت) ،1995

40- الفيومي العباس بن محمد بن علي ، المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير تحقيق : عبد العظيم الشناوي دار المعارف القاهرة، ط2، 1408 هـ .

41- القز ويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن ،التلخيص في علوم البلاغة ، ضبطه وشرحه : عبد القادر البرقوقي ،دار الفكر العربي ، ط1 ،1904.

42- الكفوي ، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ،تحقيق : عدنان درويش، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1، 1992.

43- محب الدّين أبي الفيض السيد مرتضي الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د ط-2005.

44- محمد الرّازي فخر الدين ، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ،دار الفكر، ط1، 1981.

45- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير،الدار التونسية للنشر ، تونس،ط1، 1984.

46- محمد بدر الدين الزّركشي ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفصل إبراهيم ، دار التراث ،القاهرة ، ط3، 1984م

47-محمد بن إدريس الشافعي ، الرسالة تحقيق أحمد محمد شاكر، بدون بيانات.

48- محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علم القرآن تحقيق : أبو الفضل الدمياطي ، دار الحديث ، القاهرة،ط1 ، 2006.

49- محمد علي الشوكاني ، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق : أبو حفص سامي بن عربي الأسري، دار الفضيلة للنشر والتوزيع (الرياض)، ط1، 1421ه

50- نظام الدين أبو علي أحمد بن محمد إسحاق الشاشي ، أصول الشاشي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ،لبنان)، ط1، 2002.

المراجع :

1- إبراهيم خليل، في نظرية الأدب وعلم النص ،دار المسيرة ،الأردن، ط1، 2007.

2- إبراهيم محمود خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة ، عمان ط1، 2007.

3- أحمد الرسيوني ، نظرية المقاصد عند الغمام الشاطبي المعهد العالمي الإسلامي (دار البيضاء المغرب)، ط1 ،1997 م.

4- أحمد المتوكل ،الخطاب وخصائص اللغة العربية (دراسة الوظيفة والبنية والنمط ، دار

5-العربية للعلوم ناشرون ،(الرباط ، المغرب)،ط1، 2010.

6- أحمد عبد السيد الضاوي، مفهوم الاستعارة، منشأ العارف، الإسكندرية، ط2000،1.

7- أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم ، دار الأفاق العربية (القاهرة) ط1، 2014.

8- أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النص، كلية دار العلوم جامعة، القاهرة، ط1، 2001.

9- أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة، ط1 ، 2001 .

10- أحمد كشك، اللغة والكلام أبحاث في التداخل والتقريب، مكتبة النهضة، المصرية، (القاهرة) ،(د ط ، د ت).

11- أحمد محمد عبد الراضي ،نحو النص بين الأصالة والحداثة ، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة)، ط1 ، -2008.

12- أحمد يوسف القراءة النسقية (السلطة البنية ووهم المحايثة ، دار العربية للعلوم ناشرون ،الجزائر ،ط1 ،2007.

13- الأخضر الصبيحي ،مدخل إلى علم النص مجالات تطبيقية، الدار العربية للعلوم ناشرون (بيروت ،لبنان) ،ط1،2001.

14- إدواردي العياشي ، الاستلزام الحواري في التداول اللّساني ، دار الأمان (الرباط) ط1 2011.

15- الأزهر الزّناد، نسيج النص البحث في ما يكون به الملفوظ نصّا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993.

16- أشرف عبد البديع عبد الكريم ، الدرس النحوي النصي في الكتب إعجاز القرآن الكريم، كلية دار العلوم ، جامعة مينا ، مكتبة الآداب ، القاهرة (د ط- د ت).

17- إلهام أبو غزالة وآخرون ، مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات نظرية روبرت ، وولفجانج دريسلر الهيئة المصرية العامة ، للكتاب، 1999.

18- أمير فيصل فتح ، نظرية الوحدة القرآنية عند علماء المسلمين ودورها في الفكر الإسلامي الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام أباد ،ط1، 2002م.

19- أمينة غصن ، قراءات في التلقي و التأويل ، دار الأدب ، بيروت ، ط1 ، 1999.

أوركيوني –فعل القول من الذاتية في اللغة : ترجمة محمد تطبيق ، أفريقيا الشرق (المغرب) ط1، 2007.

20- أوستن ، نظرية أفعال الكلام العامة ؛ كيف ننجز الأشياء بالكلام ، تر : عبد القادر قنيني ، إفريقيا الشرق ، ط1 ، 1991.

21- باتريك شاردو- دومنيك منغونو ، معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبد القادر المهيري – حمادي صمود ،دار سيناترا ، تونس، ط1، 2008.

22- برند سبلنر، علم اللغة والدراسات الأدبية ، دراسة (الأسلوب ، البلاغة علم اللغة النص، ترجمة: محمود جاد الرب ، الدار الفنية للنشر والتوزيع (القاهرة)، ط1 ، 1991م.

23- بشرى موسى صالح ،نظرية التلقي أصول وتطبيقات ، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط1 ،2001.

24- بن يحي طاهر ناعوس ، تحليل الخطاب القرآني في ضوء لسانيات النص ؛ دراسة تطبيقية في سورة البقرة ، دار القدس، وهران،(د ط- د ت).

25- بول ريكور ، نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى، ترجمة : سعيد الغانمي المركز الثقافي العربي – المغرب ، ط2 ، 2006

26- تامر عبد الحميد محي الدّين،الإحالة في القرآن الكريم؛ دراسة نحوية نصية دار الكتب المصرية، مصر ،ط1، 2008م.

27- تودوروف وآخرون، المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث، تر: القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2000،1.

28-ج.ب براون- ج.يول ،تحليل الخطاب ،تر :محمد لطفي الزليطني منير التركي ، كلية اللغات والترجمة ،للنشر العلمي والمطابع جامعة الملك سعود ،الرياض ،ط1، 1997 .

29-جان سيرفوني ، الملفوظية ،ترجمة : قاسم مقداد ، منشورات إتحاد العرب ،1998.

30- جميل حمداوي ، لسانيات النص وتحليل الخطاب بين النظرية والتطبيق ، ردمك ، (المغرب)، ط1 ، 2019 م.

31- جميل عبد الحميد ، البديع بين البلاغة العربية واللّسانيات النصية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط1 ، 1998م.

32- جميل عبد الحميد ، البلاغة والاتصال، كلية الآداب جامعة حلوان، دار غريب، القاهرة،ط1، 2000.

33- جميل عبد الحميد، بلاغة النص مدخل نظري ودراسة تطبيقية ، كلية الأدب ، جامعة حلوان ، دار غريب ، القاهرة ، ط1، 1999.

34- جورج يول ، معرفة اللغة ، تر: محمود أفراح عبد الحافظ ،دار وفاء لدنيا الطباعة والنشر (الإسكندرية)، ط1، 1995م.

35- جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، تر: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة،العراق،ط1، 1976.

36-جون لينز ، علم الدلالة ،تر: كاظم حسين باقي وآخرون ، كلية الآداب جامعة البصرة (د،ط،د،ت) .

37-حازم سعيد حيدر ، علوم القرآن بين البرهان والإتقان ، دراسة مقارنة دار الزمان ، المدنية المنورة ، (د.ط) 1425 هـ .

38- حافظ اسماعيلي علوي ، التداوليات علم استعمال اللغة ، عالم الكتب الحديث (الأردن) ط2 ، 2014.

39-حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1998.

40- حسن عبد الغني محمد جواد ، مفهوم الجملة عند سيبويه، دار الكتب العلمية (بيروت لبنان) ، ط1 ، 2007.

41- حسين طبل ، المعنى في البلاغة العربية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،ط 1، 1998م- 1418 هـ.

42-حسين فخري ، نظرية النص من بنية المعنى إلى سيمائية الدّال، دار العربية للعلوم ناشرون،ط1، 2007.

43-حمادي صمود وآخرون ،مقالات في تحليل الخطاب ، كلية الآداب والفنون والإنسانيات ، ط1 ، 2008 .

44- حمو حاج ذهبية ، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ، الأمل للنشر والتوزيع، (تيزي وزو) ، ط 2، 2012.

45-خلود العموش ، الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق ، عالم الكتب الحديث إربد ، الأردن ،ط 1 ، 2008 .

46- الخليل بن ياسر البطاشي ،الترابط في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير للنشر، ط1، 1430هـ 2009.

47- خوله طالب إبراهيمي ،مبادئ في اللسانيات ،دار القصبة ، (الجزائر) ، ط2 ، 2006.

48-دافيد جاسير ، مقدمة في الهيرمونطيقا ، تر: وجيه قانصو ،الدار العربية ناشرون ،ط1،2007.

49- درويش الجندي ، نظرية عبد القاهر في النظم ، دار العلوم، (القاهرة ، ط1، 1960.

50-روبرت دي بوجراند، النّص والخطاب والإجراء ،تر: تمام حسان ،علا الكتب للنشر،القاهرة،ط1، 1998.

51- زتسيسلاف وأوزيناك ، مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص ، ترجمة: د.سعيد بحيري مؤسسة المختار ، للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 ،2003 م.

52- سارة ميلز ، الخطاب ،تر : عبد الوهاب علوب ،دار الكتب والوثائق القومية (القاهرة) ط1، 2016.

53- سامي منير عامر ،مدخل أمين خولي إلى الدراسات الجمالية البلاغية ملامحه ، أثاره ، منشأة المعارف ،(الإسكندرية) ، (د.ط،د.ت).

54- سعد سرحت ، لسانيات النّص مداخل نظرية مع دراسة إجرائية في كتاب طوق الحمامة ، سلسلة منشورات تون ،ط1 ، 2016

55- سعيد حسن البحيري ، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، مكتبة لبنان ناشرون ، الشركة المصرية العالمية للنشر لوجهان ،لبنان ،ط1 ،1998

56- سعيد يقطين ، انفتاح النّص الروائي ؛ النص و السياق ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، ط2001،2

57- سعيد حسن البحيري علم اللغة النص المفاهيم و الاتجاهات الشركة المصرية العالمية للنشر، مكتبة لبنان ، ناشرون ، ط1 ، 1998.

58- سعيد حسن البحيري علم اللغة النص المفاهيم والاتجاهات الشركة المصرية العالمية لونجمان ،(مصر) ، ط1 ، 1998 .

59- سعيد حسن البحيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة الآداب،القاهرة،ط1، 2005م، 1426هـ .

60- سعيد حسين البحيري ، علم لغة النص نحو أفاق جديدة مكتبة زهراء الشرق ،القاهرة ، ط1 ،2008 .

61-السيّد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، 2010

62- الشوكاني محمد بن على ، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، مطبعة مصطفى الألباني الحلبي، مصر ، ط1 ، سنة 1306ه.

63- صابر حباشة ،لسانيات الخطاب ؛ الأسلوبية والتلفظ والتداولية، دار الحور للنشر والتوزيع ،ط1 ،2010م.

64- صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النّصي بين النظرية والتطبيق دارسة تطبيقية على السور المكتبة ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ج1 ، ط1، 2000.

65-صحراوي إبراهيم ، تحليل الخطاب الأدبي، دراسة تطبيقية ،دار الأفاق، الجزائر ، ط1 ،1999.

66-صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النّص،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،ط1، 1992.

67- طه جابر العلواني، الوحدة البنائية للقرآن المجيد، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة،ط1، 2006.

68-عبد الجليل عبد القادر ، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية ، دار صفاء ، عمان ، ط1، 2002.

69-عبد الحميد السيّد ، الدراسات في اللسانيات العربية ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، (عمان ، الأردن) ،ط1 ، 2004 .

70-عبد الرحمن بودراع، الخطاب القرآني ومناهج التأويل نحو دراسة نقدية للتأويلات المعاصرة، الرابطة المحمدية للعلماء ،الرباط، ط1، 2013.

71-عبد الرحمن عبد السلام محمود ، النص و الخطاب من الإشارة إلى الميديا مقارنة في الفلسفة المصطلح ، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات،ط 1، 2015.

72- عبد الرزاق الصنعاني ، المصنف ، دار التأصيل ، ط1، 2015.

73-عبد القادر شرشار : تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص ، منشورات الدار الجزائرية ،ط1، 2015م.

74- عبد الله البشير محمد، اللغة العربية في نظر الأصوليين، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري ، إدارة البحوث (دبي)، ط1 ، 2008م.

75- عبد المجيد جحفة ، دلالة الزّمن في العربية دراسة النسق الزمني للأفعال ،دار توبقال للنشر (الدار البيضاء –المغرب) ،ط1، 2006.

76- عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، دار توبقال المغرب، ط1، 2000.

77- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان ، ط1 ، 2004 .

78- عمارة ناصر، اللغة والتأويل مقاربة في الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، دار الفارابي منشورات الاختلاف ، ط1 ، 1428 ه.

79- عمر بالخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية منشورات الاختلاف الجزائر،ط1، 2003.

80- عمر بلخير،الخطاب الجزائري المكتوب دراسة تداولية ، دار الحكمة ، الجزائر، 2009.

81-عمر محمد أبوخرمة ، نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى، عالم الكتب الحديث،الأردن، ط1 ، 1425.

82- فاضل السامرائي، الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم، ط1، 2000.

83-فان دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة :سعيد حسن البحري ،دار القاهرة للكتاب، مصر، ط1، 2001.

84- فان ديك ، النص والسياق، تر: عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشرق، بيروت لبنان، ط1، 2000.

85- فانداياك ، علم النص ، مدخل متداخل التخصصات ترجمة :د سعيد حسن البحيري ،كلية الألسن ،جامعة عين الشمس ،ط 1 ، 2001 .

86-فاولر روجر ، النقد اللساني ، الترجمة : عفاف البطانية ، مراجعة: هيثم غالب الناهي، (بيروت)، المنظمة العربية للترجمة ،2012.

87- فرانسوا راستيلي ، فنون النّص وعلومه ، ترجمة: إدريس الخطاب دار توبقال للنشر ، (المغرب ، الدار البيضاء) ، ط1، 2010.

88- فهد الرسيوني ، النّص القرآن من تهافت القراءة إلى أفق التدبر مدخل إلى نقد القراءات وتأصيل علم التدبير القرآني ،منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، ط1 ، 1431هـ 2010 م.

89- فؤاد عفاني ، نظرية التلقي ؛رحلة الهجرة ، دار دنينوي، سوريا ،ط2011،1.

90- كارل ديبربونج ، المدخل إلى علم اللغة ، تر: سعيد حسن البحيري، مؤسسة المختار ، ط2 ، 2010 م .

91- كريسين أومتسيك ، لسانيات النص عرض تأسيسي ،ترجمة :سعيد حسن البحيري ، مكتبة زهراء الشروق، (القاهرة) ، ط1 ، 2009.

92- كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص مدخل إلى مفاهيم الأساسية والمناهج تر: سعيد حسن البحيري ، مؤسسة المختار،القاهرة ،ط1 ،2005.

93- ليندە قياس ، لسانيات النّص النظرية والتطبيق ، مكتبة الآداب (القاهرة) ،ط1 ، 1430ه.

94-المثنى عبد الفتاح ، نظرية السياق القرآني ؛ دراسة تأصيلية نقدية ، دار الأوائل ، الأردن ، ط1، 2008.

95- محمد يونس علي ، علم التخاطب الإسلامي ؛ دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص ، دار المدار الإسلامي ، (بيروت لبنان) ، ط1، 2006.

96- محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية المؤسسة العربية للتوزيع ، بيروت ، ط1 ،2001 .

97- محمد المالكي،دراسة الطبري للمعنى من خلال تفسيره جامع البيانات عن تأويل القرآن، المملكة المغربية، ط1، 1996.

98- محمد بن عمر بازمول ، التناسق الموضوعي في السور القرآنية، الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، مج1 ،ط1، 2018.

99- محمد حسين صبره، مرجع الضمير في القرآن الكريم مواضعه وأحكامه وأثره في المعنى والأسلوب، دار العلوم ،جامعة القاهر دار غريب، ط1، 2001.

100- محمد حماسة عبد اللّطيف، النحو والدلالة، دار الشروق،القاهرة ،ط2000،1.

101- محمد خطّابي ، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت ، ط1999،1

102- محمد خير البقاعي ، دراسات في النص والتناصيه ،دار المعارف (حمص) ،ط1 ،1998م.

103- محمد عبد الباسط عيد ، النص والخطاب قراءة في علوم القرآن ، تقديم صلاح رزق ، مكتبة الآداب القاهرة ، ط1 ، 2009 .

104- محمد عبد الله دراز ، النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض، ط1 ، 2000م.

105- محمد مفتاح، دينامية النص ،المركز الثقافي العربي،المغرب ،ط1، 1987.

106- محمد يونس علي ،مقدمة في علم الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الحديد المتحدة، (ليبيا) ،ط1 ،2004.

107-محمد يونس علي، تحليل الخطاب و تجاوز المعنى ، نحو بناء نظرية المسالك والغايات دار كنوز المعرفة، الأردن،ط1، 1437هـ، 2016.

108-محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ،دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية)،ط1، 2002.

109- محمود أحمد نحلة ، مدخل إلى دراسة الجملة العربية ، دار النهضة العربية ، بيروت لبنان (د.ط) ، 1988 م.

110- محمود الأطرش ، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم السورة القرآنية ، دار الإيمان ، الإسكندرية، ط1 ، 2008م.

111- مختار لزعر، اللسان اللغة والكلام من التفريط السياقي إلى الإفراط النسقي، دار الكتاب الحديث، ط1، 2011.

112-مصطفى حميدة ،نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ،مكتبة لبنان الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان (لبنان بيروت) ط1 ، 1997.

113- مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مكتبة لبنان، ط1، 1998.

114- مصطفى عبد السلام ،الحذف البلاغي في القرآن الكريم ، مكتبة القرآن ،ط1

115- منذر العياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب ،مركز الإنماء الحضاري ، ط1 ، 2002.

116- منذر عياشي ، العلاماتية وعلم النص ،المركز الثقافي العربي (الدار البيضاء – المغرب) ،ط1 ، 2004 .

117- منقور عبد الجليل ، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي ، منشورات اتحاد الكتاب ،العرب ،دمشق ،ط1، 2001.

118-ميشال زكرياء ،التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع (البنان) ،ط2، 1986

119- ناصر حامد ، أبو زيد ،الخطاب و التأويل ، المركز الثقافي العربي، ط1 ، 2000.

120- ناصر حامد أبو زيد ، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن ، المركز الثقافي العربي ، المغرب، ط1، 2014.

121-نعمان بوقرة ، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية ، جدار للكتاب العالمي ، (عمان الأردن) ، ط1، 1429 هـ ، 2009 م

122- نعمان بوقرة ، لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس و الإجراء ، دار الكتب العلمية ، (بيروت لبنان)، ط1 ، 2012.

123- نعمان بوقرة ،الخطاب والنظرية وإجراء، دار الجامعة ، الملك سعود للنشر، (د.ط.د.ت).

124- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، علم الكتب الحديث، الأردن،ط1 2008.

125- وليد محمد مراد ، نظرية النّظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني ، دار الفكر ، دمشق، ط1 ، 1983م.

126- يحي رمضان ، القراءة في الخطاب الأصولي الإستراتجية والإجراء، جدار للكتاب العالمي ،عمان ، ط2007،1.

127- يسرى نوفل ،المعايير النّصية في السور القرآنية دراسة تطبيقية مقارنة ،دار النابغة للنسر و التوزيع ،ط1، 2014.

128- يوسف نور عوض ، علم النص ونظرية الترجمة ، دار الثقة للنشر و التوزيع ،(مكة المكرمة) ، ط1 ، 1410هـ .

المجلات

1- مجلة فصول للنقد الأدبي ،العدد 1 ،عام 1991.

2- مجلة علوم اللغة ، العدد 2 ،عام 2006.

3- مجلة الفكر، العدد المزدوج 96-97 ،عام 1992.

أطروحات ورسائل ماجستير:

1-رزيق بور غاية، قيام السّاعة في القرآن الكريم مدلولية النص ومرجعيته ،رسالة دكتوراه، قسنطينة،2013.

2- شريفة بلخوت ،الإحالة دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأولى والثاني ،رسالة ماجستير ،جامعة الجزائر ،2006.

3- طارق مصطفى محمد ،رسالة ماجستير، التناسب في سورة البقرة ،جامعة القدس،2007.

4-عمارة ناصر، رسالة ماجستير، اللغة والتأويل لدى فخر الدين الرّازي قراءة في هيرمنيوطيقا في تفسيره مفاتيح الغيب ،وهران ،عام 2003.

5-مفتاح بن عروس ،أطروحة دكتوراه ، الاتساق والانسجام في القرآن ،جامعة الجزائر ، 2008 .

6-ياسين فوزي،الإحالة في النص القرآن، أطروحة دكتوراه ،جامعة اليرموك، 2003.

المراجع بالأجنبية :

1)- John lyons,linguistique general,paris,1970.

2)-George mounin, dictionnaire de la linguistique ,Quadrige ,1974

3)- Anne Rebol et jaques Moshle, Pragmatique du discour Armand colin, paris ,1998.

الفهرس

فهرس المواضيع

إهداء

مقدمة

المدخل: الخطاب القرآني ولسانيات النّص.

الخطاب القرآني.....01

الخطاب القرآني ومناهج التحليل.....07

ثنائية الاتساق والانسجام في تحليل الخطاب القرآني.....10

الفصل الأول: المرجعية المعرفية والمنهجية لحقل لسانيات النص والخطاب 28

المبحث الأول: بين لسانيات الجملة ولسانيات النص.

لسانيات الجملة.....29

الحاجة لنحو النصوص.....36

أسباب الخروج عن نحو الجملة.....42

المبحث الثاني: لسانيات النص مفاهيمها واتجاهاتها الأساسية

لسانيات النص النشأة والتاريخ.....44

وظيفة لسانيات النص وأهميتها.....53

النصية ومعاييرها.....58

المبحث الثالث: لسانيات الخطاب شمولية في التصور واستغراق في المنهج

لسانيات الخطاب النشأة والتأسيس.....65

الخطاب بين العرب والغرب.....69

لسانيات التلفظ.....71

الخطاب والتداولية.....90

الفصل الثاني: ثنائية الاتساق والانسجام في الخطاب القراني 102

المبحث الأول: شمولية النص القرآني

النظرة الشمولية للنّص القرآني عند الباقلاني..... 101

النظرة الشمولية للنّص القرآني عند الجرجاني. 106

قاعدة النظر الشمولي عند الزركشي 118

النظرة الشمولية للنص القرآني عند السيوطي 124

المبحث الثاني: وحدة النص القرآني

وحدة النص القرآني لدى الأصوليين 131

نظرة الوحدة البنائية لدى المفسرين 143

وحدة النص القرآني لدى المفسرين..... 147

المبحث الثالث: أبعاد المناسبة في النص القرآني وعلاقتها بالاتساق والانسجام والارتباط

المناسبة المفهوم والنشأة 152

علاقة المناسبة في القرآن 158

دور المناسبة في انسجام واتساق النص وترابطه..... ..162

نموذج تطبيقي للسورة مريم 169

الفصل الثالث : ثنائيتا الاتساق و الانسجام في التفسير الكبير نماذج تطبيقية

المبحث الأول: معيار الاتساق مع نماذج تطبيقية.....171

المبحث الثاني: معيار الانسجام مع نماذج تطبيقية.....190

المبحث الثالث: التلقي والتأويل وعلاقته بالانسجام.....203

الفصل الرابع: الإحالة وأبعادها اللسانية النصية في كتاب التفسير الكبير.

المبحث الأول: ماهيتها ومفاهيمها.....214

الإحالة والمرجعية والإشارة.....221

أنواع الإحالة الاتساقية.....226

الإحالة وإرهاصاتها في الموروث العربي 228

المبحث الثاني: طبيعة الإحالة عند فخر الدين الرّازي..... ..237

المعنى والإحالة 239

المرجع والإحالة..... ..242

الضمائر عند فخر الدين الرّازي.....243

المبحث الثالث: الإحالات في سورة مريم وأبعادها اللّسانية..... 245

الخاتمة.....279

الملاحق 287

قائمة المصادر والمراجع..... ...305

فهرس الموضوعات 328

ملخص :

استقر الدرس اللّساني النّصي على مفاهيم اعتبرها حجر الأساس، ومن هذه المفاهيم الاتساق الذي يسهم في تشكيل النّص عبر آليات شكلية ونحوية. من أهم المعايير التّي تضبط قاعدته هي الإحالة فهي تؤدي دورا هاما على مستوى نصية النّص تماسكه وترابط أجزائه، ولمّا كانت الإحالة النّصية فرع من فروعها التّي تخص العلاقات الداخلية ولمّا اشتمل تفسير "فخر الدّين الرّازي "على شمولية وكلية وابتعاده عن النظرة الجزئية في التعامل مع الخطاب القرآني، جاءت رؤيتنا لمقاربة الإحالة من متصور" فخر الدّين "وخاصة أنّه تعامل مع القرآن كأنّه كلمة واحدة في شروحاته التّي أخذت حيّزا شاملا من حيث ما احتوته من أبعاد معرفية اختلفت باختلاف دلائل الإحالة وأبعادها التّي تتناسق مع طبيعة الوحي والخطاب القرآني، ومن هنا ترتبت الإشكالية كالتّالي: كيف وردت الإحالة في متصور فخر الدّين الرّازي ؟ و ما هي أبعادها في رحاب النّص القرآني؟

الكلمات المفتاحية: الإحالة النّصية، الخطاب القرآني، لسانيات النّص، الاتساق، الانسجام، تفسير فخر الدّين الرّازي.

Abstract:

Some basic concepts have already been established as cornerstones in text linguistics. One of these is cohesion, which contributes to the shaping of a text through formal and grammatical devices. One essential component for cohesion is reference. It perform a significant role in the texuality of a text – its connectedness and the interrelatedness of its parts. That textual reference is one part of cohesion that pertains to its intrinsic parts, and that the exegesis (Tafsir) of Fakhr al-Dīn al-Rāzī bears witness to his comprehensiveness and all-inclusiveness and his departure from any partial perspective in dealing with the Qur'anic discourse are two rationales for this approach to reference in the conceptualization of Al-Razi, especially given that he deals with the Qur'an as if it were one word. His commentaries cover a very wide range of issues and have many cognitive dimensions that vary according to the meanings and aspects of reference, which are consistent with the nature of divine revelation and the Qur'anic discourse. The thesis of the present study may thus be formulated as follows: how is reference used by Fakhr al-Dīn al-Rāzī and what are its main aspects in the Qur'anic text?

Keywords: textual reference – Qur'anic discourse – text linguistics – cohesion – coherence – the Tafsir of Fakhr al-Dīn al-Rāzī.

.

Résumé:

La linguistique textuelle est basée sur des concepts essentiels, tel que la cohérence qui contribue à la forme du texte en utilisant des mécanismes formels et grammaticaux. Il est à noter que la référence est considérée comme l'un des critères les plus importants qui maitrise la structure du texte, car elle joue un rôle important au niveau de la cohérence et l'interdépendance du texte de ses parties, puisque la référence textuelle est une partie du texte, et étant donné que l'interprétation coranique de «Fakhr al-Din al-Razi », implique une étude de l'ensemble du discours coranique, notre étude traite de la référence selon la vision «Fakhr al-Din al-Razi», d'autant plus qu'il a étudié le Coran en un seul mot et ses interprétations, comportant des dimensions épistémique différentes par rapport aux références en concordance avec la révélation divine et le discours coranique, d'où la problématique m'amène à poser les interrogations comme suit:

Comment la référence a-t-elle été évoquée selon la vision de Fakhruddin Al-Razi? Et quelles sont ses dimensions dans le texte coranique?

Mots clés: référence textuelle, discours coranique, linguistique textuelle, cohérence, harmonie, interprétation de Fakhr al-Din al-Razi